

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
كلية الدعوة والاعلام
الدراسات العليا
قسم الدعوة والاحتساب

الحوار في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم

(دراسة دعوية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد :

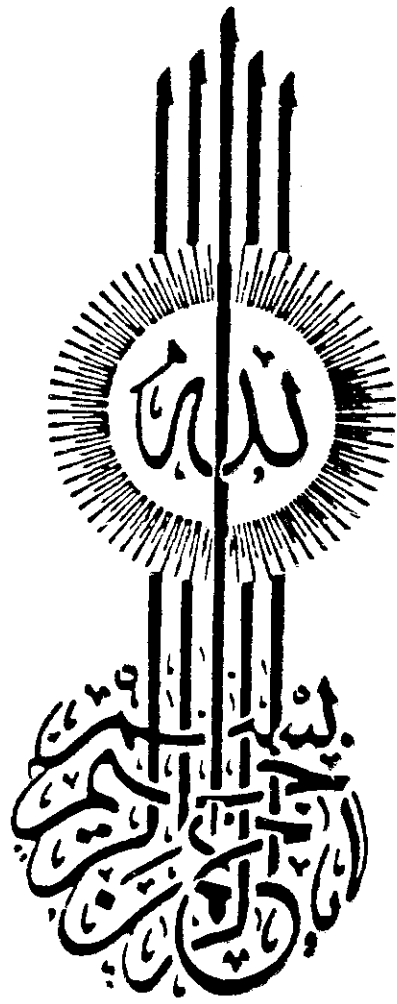
عبد الرحمن بن يوسف الملاحي
المحاضر في قسم الدعوة والاحتساب

إشراف

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور : سيد محمد ساداتي الشنقيطي

١٤٢١ هـ

الجزء الثاني



المبحث الرابع
الحلم والأناة



المبحث الرابع: الحلم والأناة

1 - : التعريف بالحلم والأناة:

الحلم نقيض السفه وخلاف الطيش^(١) وفي الحديث «ليليني منكم أولو الأحلام والنهي»^(٢)، وفي الاصطلاح جاءت تعريفات منها:

١ - ضبط الفكر بكف الغضب^(٣).

٢ - «الوقار والثبات عند الأسباب المحركة للغضب»^(٤) وربط بالأناة لأنهما متلازمان يلزم من وجود أحدهما وجود الآخر ولذا في تعريف الأناة:

البطء وما أشبهه من الحلم وغيره ثم قالوها صراحة : الأناة لحلم^(٥)، وقالوا الأناة : الحلم والوقار والثبت وهذه هي ما تدل عليه مرادات الحلم ومعانيه السابقة .

(١) انظر لسان العرب . مادة : حلم ، وابن فارس معجم مقاييس اللغة ، مادة : حلم ٢ / ٩٣ .

(٢) صحيح مسلم مع شرحه إكمال المعلم . ٢ / ٣٢٥ .

(٣) التوحيد . الامتاع والمؤانسة . ٣ / ١٢٩ . منشورات المكتبة العصرية . بيروت . بدون رقم وتاريخ .

(٤) القاضي عياض . الشفا بتعريف حقوق المصطفى . ١ / ٢١٩ مؤسسة علوم القرآن .

عمان . (ط : ٢) ١٤٠٧هـ . وانظر د . أحمد الشرباصي . موسوعة أخلاق القرآن . ١ /

١٨٢ . دار الرائد العربي . بيروت . (ط : ٢) ١٤٠٧هـ .

(٥) انظر ابن منظور . لسان العرب مادة : أين ، وابن فارس معجم مقاييس العلم ، مادة :

أين .

التمهيد:

فالحلم والأناة خلق من أخلاق القرآن، وورد ذكره نحو خمس عشرة مرة، وقال بعضهم إن الحلم أجل من العقل لأن الله تسمى به ولم يتسمى بالعقل^(١)، ووصف به رسله الكرام عليهم السلام فمنهم من وصف به صراحة، ومنهم حققه لسان حاله ومقامه وجداله مع أقوامهم بصفحهم وصبرهم على أذاهم.

والمحاور العالم لا بد أن أن يتحلم ويحلم وهكذا كان ﷺ في محاوراته ومجالات دعوته حليماً سمحاً صابراً على أعباء الدعوة، وأخطاء البشر؛ وبخاصة في أوقات الدعوة وفي مقامات الحوارات المتعددة المتنوعة في أحوالها وظروفها وأشخاصها.

فالرسول ﷺ يتصف بالحلم ويحث عليه ويحب أهله ويقربهم.

فهو يقول لأصحابه «وليلني منكم أولوا الأحلام والفهم ثم الذين يلونهم (ثلاثاً) وإياكم وهيشات الأسواق»^(٢).

وهذا التقديم لهم يدوم في كل جمع لعلم أو قضاء أو ذكر أو تشاور^(٣).

فأهل الحلم يجمعون خصائص وثيرة من كمال العلم والعقل والدين

(١) انظر ابن منصور الثعالبي . الإقتباس من القرآن الكريم ١ / ٢٢٧ .

(٢) مسلم مع شرحه . إكمال إكمال المعلم ٢ / ٣٢٥ .

(٣) انظر محمد السنوسي . إكمال إكمال المعلم ٢ / ٣٢٥ .

والشرف^(١) .

فالرسول ﷺ خير البشر ولذا هو أكثرهم حلماً وأحسنهم خلقاً^(٢) .
ومن أحوج الناس لهذا الخلق المحاور المسلم الذي ميدانه صدور
الرجال ونفوس البشر^(٣) .

ولذا فإن كل محاور عالم وليس كل عالم محاور، فالمحاور يجابه
الناس، ويأخذ ويرد معهم، ومن المعلوم إن مقام المحاور مدعاة للتحفز
والاستفزاز، فيكون الخصم في قمة الانفعال، والثوران النفسي، لأنه في
موقف دفاع عن فكرة يؤمن بها، فيرى الأمر بالنسبة له انتصاراً للنفس أو
خسارة وانهزام، فأنى له أن يذعن بسهولة حتى مع الرفق والأناة بله
العنف والتعنيف معه .

وقال أحد السلف: «ما نعت الله تعالى نبياً من أنبيائه أجل مما نعتهم به
من الحلم، فإنه قال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾^(٤)، فيدل ذلك أن
الحلم في الناس عزيز»^(٥) .

والحلم والأناة صفتان متلازمتان أساسيتان في مجال النظر والحوار،
فهما يدعوان المحاور إلى التحمل والصبر وإتاحة الفرصة كاملة كما

(١) انظر المرجع السابق نفسه والمدرک نفسه ٣٢٥ / ٢ .

(٢) انظر الرازي . التفسير الكبير ٥٠ / ٩ .

(٣) انظر د . صالح بن حميد . مفهوم الحكمة في الدعوة ١٧ .

(٤) هود - ٧٥ - .

(٥) أبو منصور الثعالبي . الاقتباس من القرآن الكريم ٢٢٧ / ١ .

وكيفاً في بلوغ مآربه في ما يريد طرحه وقوله وهما من متلازمات العالم
المحاور، وقد قيل «زين العلم حلم أهله»^(١).

وفي البخاري أن يكون فهماً، حلماً، عفيفاً صليماً، عالماً سئولاً عن
العلم^(٢).

(١) انظر ابن عمر بن عبدالبر . بهجة المجالس وأنس المجالس ٢/٦١٧ . دار الكتب العلمية .
بيروت . (ط: ٢) ١٩٨١ م . والدارمي . سنن الدارمي (المقدمة) .

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ الأحكام . باب (متن يستوجب الرجل القضاء) ١٢/١٤٦ .

٢ - الحلم والأناة في الهدى النبوي:

فالمحاور المسلم هدفه الوصول للحق، وليس الانتصار للنفس والشهرة والرياء، وإذا فلا داعي للغضب والاستكبار أما الخصم الضال فهدفه غالباً النصره لباطل أو لنفسه أو لأهداف غامضة غير واضحة فلا سواء، فالرسول الكريم ﷺ خير قدوة في حلمه وتحلمه في كل محاوراته ومجالات دعوته، فمن حين بدأ بالدعوة والندارة وهو يقابل أجناساً شتى تختلف اختلافاً كبيراً في أخلاقها، وفي عاداتها، وعلمها، ويحلم مع الكل.

فهو يتأنى ولا يتعجل في حكمه، أو في استعجال نتيجة وثمره دعوته فذا يصمه بالجنون، وآخر يلزمه ويهمزه، وثالث يتهمه بالسحر، ومنهم من يؤذيه في مجلس دعوته؛ وهو ﷺ يناديهم بأحب مسمياتهم لهم فيقول: يا أبا الحكم لأبي جهل، ويا أبا الوليد لعتبة بن ربيعة، ويا أبا الحباب لرأس النفاق ابن أبي سلول.

فقد دفعه حلمه لكظم غيظه، ومقابلة السيئة بالحسنة والغض عن الأذية، وعدم المبادرة إلى الانتقام^(١).

وهذا الذي ينبغي لكل محاور أن يتصف بالحلم وإن لم يتحلم^(٢)،

(١) انظر ابن حجر. فتح الباري ١٣/١٤٩.

(٢) من أدب الحوار أن يناديه بالاسم أو الوصف الذي يحبه.

والفقهاء يرون أنه ينبغي على المسلم أن ينادي أخاه بأحب الأسماء إليه. انظر ابن مفلح. الآداب الشرعية ٣/٥٩٥.

وحتى الصغار كان صلوات ربي عليه يداعبهم ويكنيهم، كما في قصة أنس وأنه كنى أخاه يقول ﷺ: «يا أبا عمير ما فعل النغير» البخاري مع الفتح ١٠/٥٨٢.

فلا بد أن يكون الداعي حليماً وصفة الحلم تقتضي الصبح واحتمال الأذى^(١).

وإن لم يتصف بذلك كان ما يفسده أكثر مما يصلحه^(٢) فهو في غاية العقل والرزانة وقد وصفوا الحلم بالعقل لأنه من مسببات العقل^(٣).

والرسول ﷺ هو القدوة والإمام في كل خلق حسن والحلم من أصول هذه الأخلاق ومجامعها فهو قديم في الإنسان وغريزة؛ يدل على ذلك إنه ﷺ قال لأشج عبد القيس «إن فيك لخلقين يحبهما الله ورسوله، قال: ما هما. قال: الحلم والأناة^(٤)، وفي رواية أكمل ذلك بسؤاله للرسول ﷺ: هل هما في قديمان أم أنا تخلقت بهما. فقال: بل جبلك الله عليهما^(٥).

فالرسول صلوات ربي عليه قدوة في الحلم فهو أحلم الخلق وأكثرهم أناة وثباتاً، ويحب أهل الحلم ويقربهم منه في كل مجلس ورأي.

ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله، وإن كل حلِيم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً^(٦).

(١) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير ١٢/ ١٢٣.

(٢) انظر ابن تيمية. الاستقامة ٢/ ٢٣١. طبعة جامعة الإمام. (ط: ٢) ١٤٠٤ هـ.

(٣) انظر الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن ١٢٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب (الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ) حديث رقم ١١٦، ص: ٦٨٣.

(٥) صحيح سنن أبي داود باختصار السند، أبواب النوم، باب (قبلة الرجل) ٣/ ٩٨١.

(٦) القاضي عياض. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٢٢٠.

وأحد المدعويين من الصحابة أحدث أمراً فاستشار قومه وجماعته فلاموه ولم يعينوه فذهب للرسول ﷺ وأخبره بأمره فعلمه بحلم ورفق حتى أرضاه ونوله ما يريد فرجع لقومه وقال لهم «وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة»^(١)، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول في حلمه ﷺ «ما ضرب رسول لله ﷺ خادماً ولا امرأة قط»^(٢).

وخادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك على طول خدمته يشهد بأن الرسول الكريم ﷺ لم يغضبه في يوم، يقول: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين بالمدينة. وأنا غلام، ما قال لي فيها أف قط، وما قال لي لم فعلت هذا؟ أو ألا فعلت هذا»^(٣).

ويروى من حلمه «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ عليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جندة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء»^(٤).

(١) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٤/٤١٠.

(٢) سنن أبي داود. ك/الطلاق. باب (في الطهار) حديث رقم [٢٢١٤] ص: ١٣٨٦

(٣) صحيح سنن أبي داود باختصار السند. ك/الأدب. باب (الحلم وأخلاق النبي ﷺ) ٣/٩٠٩.

(٤) صحيح سنن أبي داود باختصار السن. ك/الأدب. باب (الحلم وأخلاق النبي ﷺ) ٣/٩٠٧.

(٥) البخاري مع الفتح. ك/الأدب باب (التبسم والضحك) حديث رقم [٦٠٨٨] ص: ٥١٤

وروي أنه حينما أقبل من حنين «علقت رسول الله ﷺ الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوق رسول الله ﷺ فقال أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً»^(١).

قال ابن حجر «وفيه ما كان النبي ﷺ من الحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر على جفاه الأعراب»^(٢).

ويدخل رهط من اليهود عليه ﷺ وبحقدهم وخبثهم فيدعون عليه بالموت ويقولون «السام عليكم»^(٣).

فما عنف وما أمر بقتلهم أو معاقبتهم ، وزاد أنه نهى عائشة ونصحها بالرفق حينما ردت عليهم وعنت .

وسحره منهم لبيد بن الأعصم ، وتضرر من ذلك ﷺ وعافاه الله منه^(٤) فيقول حينما عفا عنه «قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شر»^(٥) فما ذكر ذلك اليهودي شيئاً مما صنع به ولا رآه في وجهه^(٦).

وقصة اليهودي زيد بن سحنة إذ جاءه قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ فرض الخمس . باب (ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم) ٢٥١/٦ .

(٢) ابن حجر . فتح الباري ٢٥٤/٦ .

(٣) البخاري مع الفتح . ك/ الأدب . باب (الرفق في الأمر كله) ٤٤٩/١٠ .

(٤) البخاري مع الفتح . ك/ الطب . باب (السحر) ٢٢١/١٠ .

(٥) المرجع السابق نفسه . والمدرك نفسه .

(٦) ابن حجر . فتح الباري ٢٣١/١٠ .

فجبد ثوبه عن منكبه، وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له، ثم قال: إنكم يا بني عبدالمطلب مطل فانتهره عمر، وشدد له في القول، والنبى ﷺ يبتسم، فقال رسول الله ﷺ «أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر. تأمرني بحسن القضاء. وتأمره بحسن التقاضي»^(١).

فكان هذا الحلم سبباً لإسلامه، فهو يذكر أنه من علاماته يسبق حلمه جهله^(٢).

واليهود أهل كتاب وهم يجدون من صفاته في الكتب المتقدمة «أنه ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق ولا يجزي السيئة بمثلها ولكن يعفو ويتجاوز»^(٣).

وهذه من ألزم وأهم مقومات المحاور وتكوينه إذ سبق الحديث عن الأعراض النفسية التي تعترض في ميدان المحاورات والمناظرات، فالذي لا يتصف بصفة الحلم فإنه عرضة بأن ينجر ف خلف تداعيات الهوى والشهوة بحب الانتصار للنفس فيتخلى عن الصفات اللائقة به إلى سوء الخلق من فحش في القول.

فالمدعوون بحاجة إلى حلم يسع جهلهم وضعفهم وتسلط الأهواء عليهم، وغلبة طبائعهم الغضبية، فيراعي الداعية بحلمه كل اعتواراتهم،

(١) هو حديث طويل رواه البيهقي، ووصله ابن حبان والطبراني، وسنده صحيح كما قال السيوطي. انظر القاضي عياض. الشفا ١/٢٢٦.

(٢) انظر القاضي عياض. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/٢٢٧.

(٣) الدارمي. سنن الدارمي. باب (صفة النبي ﷺ في الكتب قبل بعثه).

فعلنى كل ما فعله قومه به ﷺ فإنه لم يكتف بالسكوت عنهم، حتى عفا عنهم مع عظيم جرمهم في حقه، ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا لهم^(١).

والإساءة تناله ﷺ في مجال الشرع وعدله بين الرعية. إذ يتهمه أحد المدعويين في عدله في القسم وتوزيع المال بين الرعية فيقول: «والله ما أراد محمد بهذا وجه الله»^(٢)، فما انتقم أو عاقب هذا القائل.

ومن المعلوم أن الأنفس قد جبلت على التألم بما يفعل بها ويقال لها^(٣) والباب الذي نقل منه الحديث عنونه البخاري «الصبر في الأذى».

وابن حجر يقرر أن المراد هنا الحلم وإن أطلق الصبر في ذلك لأنه تحقق لازمه^(٤) من حبس النفس عن المجازاة على الأذى قولاً أو فعلاً^(٥).

فالحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه، ولا يغضب للغفلة،

(١) انظر أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري. نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي

عياض ١٨٢١٧/٢. دار الكتاب العربي بيروت. (ط: ١) ١٣٢٧ هـ.

(٢) البخاري مع الفتح. ك/ الأدب. باب (الصبر في الأذى) ٥١١/١٠.

(٣) ابن حجر. فتح الباري ٥١٢/١٠.

(٤) انظر نفس المرجع السابق ٥١٢/١٠.

(٥) انظر نفسه ٥١١/١٠.

ويقبل المعذرة^(١).

وهذه حاله ﷺ مع جميع أصناف الناس في زمانه؛ مؤمنهم وكافرهم، رجالهم ونسائهم، شيوخهم وأطفالهم، كبراًؤهم ودهمائهم، جيء إليه برجل فقيل: هذا أراد أن يقتلك، فقال له النبي ﷺ «لن ترع، لن ترع، ولو أردت ذلك لم تسلط علي»^(٢).

فحياته كلها مليئة بأخبار حلمه، مع كل الناس في كل ميادين الدعوة، وفي جميع الأحوال والظروف وبخاصة مجالات الحوار.

وهكذا كل من سلك سبيله بالدعوة إلى الله، وبخاصة في مقام المحاورة وأنواعها.

وحدود حلمه واسعة بسعة الدعوة ومجالاتها وأبو هريرة من العلماء الملازمين للرسول ﷺ المتبعين لسننه والمقتفين أثره يروي أن أعرابياً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فصلى ركعتين ثم قال: اللهم أرحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فقال النبي ﷺ «لقد تحجرت واسعاً» ثم لم يلبث أن بال في ناحية المسجد، فأسرع إليه الناس، فنهاهم النبي ﷺ وقال: إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين، وصبوا عليه سجلاً من ماء، ففيه ابانة حسن سجاياه ﷺ وعظيم رحمته وحلمه ولطفه، ورفقه بالجاهل الجافي.

(١) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير ٢/ ٣٨٤.

(٢) القاضي عياض. الشفا ١/ ٢٢٦.

وهذه استجابة لأمر ربه ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾^(١)، فقد فسرت بأن المراد بذلك الصبر عن الغضب، والعتو عن الإساءة، ويزيد بالإحسان والمكافئة لأن الحسنات تتفاوت مع بعضها وهو ذكر الأحسن وترف بين ذلك وبين قوله «حسن»^(٢).

ومع آخر من الأعراب الذين أقبلوا يتفقهون ويستفسرون في قضايا من الدين، فجاء وقت الصلاة وفي أثنائها عطس رجل من القوم فقال الأعرابي: فقلت: «يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه: ماشأنكم؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم؛ فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي؛ ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني، ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس. إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»^(٣).

فهذا من عظيم خلقه ﷺ وكمال إحسانه ولطفه^(٤).

والرسول ﷺ لم يعبس في وجهه ويقابله بما يكرهه^(٥)، بل تأني به

(١) انظر البغوي. شرح السنة ٧٦/١٣.

(٢) انظر ابن تيمية. الرد على المنطقيين، ص: ٤٦٨، والبقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٥٧٣/٦.

(٣) صحيح مسلم ومعه شرح النووي. ك/ المساجد باب (تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته) ٥/٢٣، ٢٤.

(٤) انظر النووي. شرح النووي على صحيح مسلم ٣/٢٤. وأبي الطيب محمد أبادي. عون المعبود شرح سنن أبي داود ٢/١٤٠. دار الكتب العلمية. بيروت. (ط: ١) ١٤١٠هـ.

(٥) انظر الحافظ جلال الدين السيوطي. سنن النسائي. ٣/٢٠. دار المعرفة. بيروت.

حتى فرغ من الصلاة، ثم بحلمه علمه بين له في غاية الرقة والشفقة حتى قال بتأثر من حسن تعليمه «بأبي هو وأمي» .

فهو ﷺ لا يواجه أحداً بما يكره إلا في حق من حقوق الله^(١) .

ومما يلاحظ أن الأخبار الدالة على سعة حلمه كثيراً ما تشير إلى طلاقة وجهه، وتبسمه، فقد مر ما فعله الأعرابي من شدة جبذته حتى آذاه فيلتفت مبتسماً ضاحكاً ثم يزيد ذلك بالإحسان إليه وإعطائه ما يرضيه .

وفي قضية وحوار مع صحابية كريمة في مسألة تهمها، فتحاور وتراجع القول فيما أشغلها فيأتي في الخبر «وما يزيد رسول الله ﷺ على التبسم»^(٢) .

وأحد صحابته (رضوان الله عليهم) يقول في وصفه: «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ»^(٣) .

فجملة هذه الأخبار تشير إلى أن الداعي المحاور سوف يواجه في الغالب بما يكدر مزاجه ويدعوه للغضب، وليحرص على الإلتزام بهذه الصفة النبوية، ولا ينفك عنها لذا ينبغي أن يتخلق بكل سلوك ومظهر يقرب منها، ويثبت عليها ومن ذلك التبسم، ومن المعلوم أن البشاشة

(ط: ٣) ١٤١٤هـ .

(١) انظر ابن حجر . فتح الباري . ٤٧/٧ .

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ الأدب . باب (التبسم والضحك) ٥٠٣/٢٠ .

(٣) صحيح سنن الترمذي باختصار السند . الألباني . ك/ المناقب . باب (٢٢) ١٩٦/٣ .

والطلاقة والتبسم من دواعي الحلم ومن مظاهره .

والحلم يقابله الغضب ، وبما أن الحلم غريزة قديمة فكذلك يفهم أن الغضب كذلك .

ومجالات المحاورات والمناظرات ، من أشد الآفات فيها إذا ظهرت امارات الغضب .

ففي المحاورة قد يتهم بأنه مخطئ، فيغضب فلا يبقى حينئذ سداد الفكر، وعند اختلاله لا مطمع في الفهم فيفوت الغرض^(١)، ولأنه مدعاة للتعصب ويدعوه ذلك إلى المجادلة بالباطل، ومحاولة الانتصار للنفس لا للحق الذي يراد الوصول إليه فالغضب هيجان النفس لتعمل عملاً أمام من أذنب، فكان الغضب يلح عليه ويقول للغاصب: اشتم اضرب افعل كذا وكذا^(٢).

وهذا توجيه من قدوة المحاورين عليه السلام وفي مجال الكلام «مر عليه السلام على قوم يصطرون فقال: ما هذا؟ قالوا: فلان ما يصارع أحداً إلا صرعه، قال: أفلا أدلكم على من هو أشدُّ منه؟ رجل كلمه رجل فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه»^(٣).

فالمحاور الحليم تغلب على ثلاثة هي:

١ - تغلب على غيظه .

(١) انظر الرازي . التفسير الكبير ٢٥ / ٢٢٢ .

(٢) الشعراوي . تفسير الشعراوي ٧ / ٤٣٧٠ .

(٣) ابن حجر . فتح الباري ١٠ / ٥١٩ .

٢- تغلب على شيطان نفسه .

٣- تغلب على شيطان الطرف الآخر .

وبالحلم وعدم الغضب ينتصر على محاوره ومبارزه، فله الفوز في الأولى وفي الأخرى .

والذي يهم في هذا المقام ما الذي يفعله الغضب في مجال المحاورة وخاصة إنه يقابل الحلم؟ .

والجواب في حوار حدث في توجيه نبوي لغاضب فقد جاء في البخاري . . «استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس . . وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد أحمر وجهه، فقال النبي ﷺ إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقالوا للرجل ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال : إني لست بمجنون»^(١) .

ألا يكفي المحاور أن يعي عاقبة الغضب من هذا النص بأن هذا الرجل رد نصيحة الرسول الكريم ﷺ بما لا يتناسب مع المقام؟ .

فالذي يتحكم بغضبه هو المحاور الجدير وفي القرآن ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾^(٢) ، وقبلها جاء آية فيها ذكر المجادلة مع الناس مما يشير

(١) البخاري مع الفتح . ك/ الأدب . باب (الحذر من الغضب) ١٠/٥١٨ ، ٥١٩ .

(٢) الشورى - ٣٧ .

أن لها علاقة بأدب الحوار وهو العفو والمغفرة عند الغضب أي امسك
أنفسهم عن الاندفاع مع داعية الغضب فلا يعوض الغضب أحلامهم^(١).

فهم يتجاوزون ويحلمون عمن ظلمهم^(٢). وسبب نزولها ترددت
الأقوال فيه حول أن بعض كبار الصحابة شتم فحلم^(٣) ﴿والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين﴾.

فالرسول الكريم ﷺ يوجه أولي النهى والأحلام أن القوة الفعلية
الفاعلة المؤثرة المنتصرة هي ضبط النفس وملكها عند الغضب. ولذا يقول
الرسول ﷺ «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند
الغضب».

وما أحوج المحاور لأن يملك نفسه عند الغضب، ومما يدل على ذلك
في مقام المحاورة، ما جاء في ثنايا قضية الحديدية؛ وفي إبرام الصلح قال
الرسول ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل بن عمرو: أما
الرحمن فوالله ما أدري ماهي؟ ولكن أكتب «باسمك اللهم، كما كنت
تكتب، فقال: المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم،
فقال النبي ﷺ: أكتب «باسمك اللهم» ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد
رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك

(١) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير ١١٠/٢٥.

(٢) انظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٤/.

(٣) انظر القرطبي. الجامع لأحكام القرآن ١٧/٣٥، ٣٦.

والله إني لرسول الله ، وإن كذبتُموني ؛ اكتب محمد بن عبد الله .

وبعد يستمر حلمه صلوات ربي عليه إذا طلب أن يخلو بينه وأصحابه وبين البيت يطوفون به . فيقول سهيل رافضاً حتى هذا الطلب : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضُغْطه ، ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتبت ، فقال سهيل : وعلى أن لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا ، قال المسلمون : سبحان الله ، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟^(١) .

فقد كان ﷺ قدوة لكل العلماء ، وأفضلهم على الإطلاق حليماً ، وما يميز مواقف الحلم الماضية أنها في مجال محاورة ومجادلة وما يوضح مبلغ حلمه أن الصحابة كانوا متبرمين ومتعجبين من حلمه ﷺ .

فرجل واحد والمسلمون أولي قوة الآن ، وليسوا كما كانوا من قبل حتى يتجرأ عليهم أحلاس الشرك ، فهذا المشرك بين ظهرائي المسلمين يأمر ويرفض ويلبى طلبه رفض قيد اسم «الرحمن» ورفض الاعتراف برسالة الرسول ﷺ ، ثم اعترض عليهم أن يكملوا ما جاءوا إليه وقطعوا هذه المسافات من أجله فتركوا العمرة ؛ حتى أن عمر أتى يناقش الرسول ﷺ غاضباً على أعداء الله وناقش أبا بكر في ذلك ، مما يبين أن حلم الرسول ﷺ تميز عن سواه من خيرة البشر حتى جاء في اعتراف عمر ومبلغ تأثيره يقول «فعملت لذلك أعمالاً»^(٢) .

(١) البخاري مع الفتح . ك/ الشروط . باب رقم (١٥) / ٥ / ٣٣١ .

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ الشروط . باب رقم (١٥) / ٥ / ٣٣٢ .

والأمر ليس في عمر وحده بل كل الصحابة يدل على ذلك بعد انتهاء الكتاب، قال صلوات ربي عليه لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال فوالله ما قام منهم رجل واحد، حتى قال ذلك ثلاث مرات^(١).

فذكر ابن حجر في تعليل ذلك أنه بسبب تأثرهم كيف يمنعون من بيت الله مع ظهور قوتهم واقتدارهم ولما لحقهم من الذل^(٢).

أما أثر هذا الحلم عند الطرف الآخر فقد وقع موقعاً بعيداً في تحويل المسار لدى المحاورين وخاصة العقلاء منهم وبعض الكبراء فهذا عروة بن مسعود^(٣) يستمع ويسمع لحلم الرسول ﷺ فيتأثر ويتحول إلى موالي للمسلمين حتى قال عن عروض الرسول ﷺ «قد عرض عليكم خطة رشد» فهو يرى بواعث ومظاهر الحلم تصدر من الرسول الكريم ﷺ يقابلها الرد العنيف على من يجيء من رسل المسلمين^(٤).

فالحليم بعيد عن العنف، رقيق في دعوته وفي جداله، بعيد عن الغلظة والفحش لتكون الحجة عليهم أظهر والجدد منهم أنكر وهي سنة الأنبياء عليهم السلام مع الأمم عند الدعوة والمجادلة^(٥).

فالعنف والغلظة مدعاة للنفرة، وانصراف العقول عن التدبر للقول

(١) البخاري مع الفتح. ك/ الشروط. باب (الشروط في الجهاد..). ٣٣٢/٥.

(٢) انظر ابن حجر. فتح الباري ٢٤٧/٥.

(٣) وهذا هو أحد الرجلين الذين قيل أنهما نزلت فيهما الآية «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الزخرف - ٣١ - انظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم.

(٤) انظر ابن حجر. فتح الباري ٣٣٩/٥.

(٥) انظر ابن نجيم الحنبلي. استخراج الجدال من القرآن ٥٣.

وللبينات ، فلا تتضح لهم المحجة ولم تقم عليهم الحجة ، والشاهد في ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (٢٧١) .

وهكذا كان في موقفه الحليم من مواقفهم العنيفة ، واتهاماتهم المتنوعة ، والقرآن يشهد بحلمه في مواضع كثيرة ويؤكد كيف كان الرسول ﷺ يتلقى التوجيه الرباني بالاستمرار في هذا الحلم ومن ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) أي ليس بي جنون^(٤) من غير أن يقابلهم على ذلك بقول خشن^(٥) .

فالمحاور المسلم يسعى لنقل الناس إلى الخير ، وسبلهم التي يتيهون بها كثيرة ، والمؤثرات قوية ومتعددة الأطراف ، من شيطان ، وهوى ، وشهوة ، ونفس أمارة ، فالحلم من أهم المقومات الفاعلة ، في اتجاه هذه الأعداء ، فهو يدعو إلى الصبر على أذاهم ، والعضو عن اساءاتهم ، والمداومة بلا ملل وضجر في دعوتهم ومحاورتهم .

وينقل ابن تيمية عن بعض السلف قولهم : « لا يأمر بالمعروف وينهى

(١) البقرة- ٢٠٦ .

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ٥٤ .

(٣) الأعراف- ١٨٨ .

(٤) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ٣٣٧ / ٧ .

(٥) انظر ابن نجم الحنبلي . استخراج الجدل من القرآن الكريم ٥٤ .

عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه»^(١).

والمحاور عمله يبين ذلك إذ هو إما أمراً بمعروف أو مزيلاً شبهة فنهاياً عن منكر، ومجادلة أهل الأهواء والباطل من أكبر المعروف.

فيتعين حينئذ للمحاورين أن يصغوا، ويتفهموا، ويقبلوا على الحق، ولو رأوا أنه يخالف آرائهم ومعتقداتهم، فهذا الحلم الدائم الذي لا يراد به إلا وجه الله فإنه يبلغ شأوه ولو بعد حين، لأنهم يعيدون الكرة مرات عديدة مع الفكر وجولاته في حقيقة الدعوة وصدق الداعي.

وتأسيساً على ما مضى من أدلة صريحة وواضحة ويتضمن بعضها حوارات نبوية دعوية، يتضح من ذلك أن صفة الحلم راسخة في الرسول ﷺ وخاصة في مقامات الدعوة، وبالذات حواراته مع جميع أصناف الدعوة.

(١) ابن تيمية. الاستقامة ٢/ ٢٣٣. (مرجع سابق).

الفصل الثالث
أساليب الحوار النبوي
المبحث الأول: التقرير
المبحث الثاني: التساؤل
المبحث الثالث: التذكير بالنعمة
المبحث الرابع: الترغيب والترهيب

البحث الأول

التقرير



المبحث الأول: التقرير

التقرير ماهو؟:

بالعودة إلى أصل مادته في اللغة له معان عدة منها:

١ - الإذعان للحق والاعتراف به .

٢ - التبع ، والاستقرار^(١) .

٣ - إثبات الشيء .

٤ - حصول الأمر^(٢) .

٥ - قرر فلاناً على الحق جعله معترفاً به مدعناً له^(٣) .

وفي القرآن ﴿ثم أقرتم وأنتم تشهدون﴾ . أي أظهرتم الالتزام بموجب المحافظة على الميثاق المذكور^(٤)^(٥) .

ومن الحوارات التقريرية التي جاءت في القرآن وهي سند للرسول ﷺ في حواراته مع وثنيي العرب لأنهم مقرون بأن إبراهيم (عليه السلام) أب

(١) انظر ابن منظور . لسان العرب . مادة: «قر» .

(٢) انظر الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن . ٣٩٨ .

(٣) انظر د . إبراهيم أنيس وآخرون . المعجم الوسيط . مادة «قر» .

(٤) القاسمي . محاسن التأويل . ١٨١ / ٢ .

(٥) قد يلاحظ عدم وجود تعريفاً اصطلاحياً للتقرير لعدم عثور الباحث عليه .

لهم ، فقد جاء هذا الحوار التقريري في قوله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (١) .

فأسلوب التقرير يختصر على المحاور مسافات عديدة ويصل لما يريد بأقصر طريق . فهو - عليه السلام - يعلم حقيقة أمرهم وعبادتهم ولكنه سألهم مقررأ: «ماتعبدون»؟ . فهو عليه السلام يعلم إنهم عبدة أصنام ، ولكنه سألهم ليريههم ويوقفهم على الحقيقة الأليمة بأن مايعبدونه لا يستحق العبادة في شيء كما تقول لتاجر الرقيق ما مالك؟ وأنت تعلم إن ماله الرقيق ، ثم تقول الرقيق جمال وليس بمال (٢) .

ثم استمر - عليه السلام - يبين فساد مذهبهم بهذا الأسلوب التقريري ، فقال «هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون» فيقررهم مستفهماً : كيف تستجيزون أن تعبدوا ما هذا وصفه؟ (٣)

فأنطقهم الله بعد ذلك بالحجة إذعاناً لها وإقراراً بها ، بقولهم «لقد

(١) الشعراء (٦٩ - ٧٧) .

(٢) انظر الرازي . التفسير الكبير . ١٢٢ / ٢٤ .

(٣) انظر المرجع السابق ١٢٣ / ٢٤ .

علمت ما هؤلاء ينطقون» فأجابهم إبراهيم عليه السلام بعد اعترافهم بالحجة^(١).

وواضح مبلغ أثر هذا الأسلوب فقد ترددوا بين أمرين:

١- إما أن يقولوا نعم إنها تسمع وتنفع وتضر، فيشهد عليهم بلغة أقوامهم أنهم كذبوا.

٢- ينكرون لأصنافهم صفة السمع والنفع والضر عن أصنامهم فلا يعترفون لآلهتهم بها.

الحاصل أنهم علموا أن الحجة له عليهم في أي القولين، لذا حاروا وحاصوا عن الجواب المباشر إلى جواب لم يسألهم عنه.

ومن الحوارات التقريرية المباشرة لمشركي زمان الرسالة ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، فهذا احتجاج عليهم والمعنى قل لهم يا محمد «لمن ما في السموات والأرض»^(٣)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ تقرير للجواب نيابة عنهم، فهو

(١) انظر عبدالعزيز بن يحيى بن مسلم الكناني . الحيدة ص ٢٩ (ط: ٤) ١٤٠٩ هـ.

(٢) الأنعام- ١٢ - .

(٣) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ٦ / ٣٩٥ .

الله لا خلاف بين المحاور والمحاورين في ذلك^(١).

يقول ابن عطية^(٢): «إن الله عز وجل أمر محمداً ﷺ بقطعهم بهذه الحجة الساطعة والبرهان القطعي الذي لا مرافقة فيه عندهم ولا عند أحد ليعتقد هذا المعتقد الذي بينه وبينهم ثم يتركب احتجاجه عليه، وجاء ذلك بلفظ استفهام وتقرير في قوله: لمن مافي السموات والأرض» والوجهة في المحاجة إذا سأل الإنسان خصمه بأمر لا يدافعه الخصم فيه أن يسبقه بعد التقرير إليه مبادرة إلى الحجة، كما تقول لمن تريد غلبته بأية تحتج بها عليه، كيف قال الله في كذا؟ ثم تسبقه أنت إلى الآية فتنصها عليه.

وفي موضع آخر: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾^(٣).

(١) انظر القاسمي . محاسن التأويل . ٤٦٩/٤ .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٢/٦ .

(٣) المؤمنون (٨٤ - ٩١) .

فهذا حوار تقريرى يوجه المولى رسوله ﷺ ليقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد إنه تعالى لا إله إلا هو ولا تنبغى العبادة إلا له وحده لا شريك له^(١) ولأن المحاورين قد أنكروا البعث هذا الإنكار المؤكد، فأمره أن يقررهم بأشياء هم مقرون بها، ولها عارفون يلزمهم التسليم بها ومن ثم الإقرار بالبعث قطعاً^(٢)، ولذا قال «قل» أي مجيباً لإنكارهم البعث ملزماً لهم^(٣) ثم تابعت الأدلة التقريرية لتصل بهم عبر هذه القضايا الأساسية التي يقرون بها إلى نتيجة صحيحة.

فهو يمهّد للدليل بهذه الاستفهامات التقريرية كي يتنزع اعترافهم بالمقدمات اليقينية التي لا يمكن إنكارها وفي النص توجيهات تبين لهم تناقضهم الواضح فيما يعتقدون^(٤).

فإذا كانوا يقرون بهذه الحقائق وأن الله مالك الأكوان العلوية والسفلية وخالق كل شيء ومدبره والأمر كله بيده لذا قرره «أفلا تذكرون» «فأنى تسحرون» «أفلا تتقون».

ولذا قال «بل آتيناهم بالحق» وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك «إنهم لكاذبون» أي في عبادتهم مع

(١) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٣٩ .

(٢) انظر البقاعي . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥/ ٢١٧ .

(٣) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٤٠ .

(٤) انظر د . عبدالغنى سعد بركة . أسلوب الدعوة القرآنية (بلاغة ومنهاجاً) ٣٤١ .

الله غيره ولا دليل لهم على ذلك^(١).

وفي الزخرف يتابع القرآن بهذا الأسلوب التقرير موجهاً الرسول ﷺ أن يستعمله في حوارهم معهم لقول تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٢) فهذا التقرير جاء بكلمة جامعة في ابطال أن يكون إله غير الله، فهو سؤال تقرير عن خلقهم فإنهم يقرون بأن الله خلقهم، وهذا معلوم من حال المشركين، ولاجل ذلك أكد أنهم يقرون لله بأنه الخالق فقال: «ليقولن الله» وذلك كاف لسفاهة رأيهم إذ كيف يكون إلهها من لم يخلق^(٣).

ولذا في حوارهم ﷺ مع عدي بن حاتم - رضي الله عنه - جاء فيه: «يا عدي . . أخبرك ألا إله إلا الله؛ فهل من إله إلا الله؟ وأخبرك أن الله تعالى أكبر؛ فهل من شيء هو أكبر من الله عز وجل؟ ثم قال «يا عدي أسلم تسلم»^(٤).

وضمام - رضي الله عنه - حينما جاء متشبتاً من أمر الرسالة أعتمد في حوارهم على أسئلة تقريرية جاء فيه: «أسألك بربك ورب من قبلك الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ . فقال: اللهم نعم . قال: أنشدك بالله الله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة؟ قال: اللهم نعم . .»^(٥)

(١) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٤٠ .

(٢) الزخرف - ٨٧ - .

(٣) انظر ابن عاشور . التحرير والتنوير ٢٥ / ٢٧٠ .

(٤) الصالحى ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ٦ / ٣٧٨ .

(٥) البخاري مع الفتح ، ك / العلم ، باب (ما جاء في العلم وقوله تعالى: ﴿وقل ربي زدني علماً﴾) ،

١٤٨ / ١ ، ١٤٩ .

ويكفي أن هذه الأسئلة التقريرية نالت استحسان الصحابة حتى شهدوا إنهم مارأوا أحداً، أفقه منه ولا أحسن مسألة .

وجاء في فتح الباري : «ثم أقسم عليه أن يصدقه عما يسأل عنه وكرر القسم في كل مسألة تأكيداً وتقريراً للأمر ثم صرح بالتصديق، فكل ذلك دليل على حسن تصرفه وتمكن عمله»^(١) .

ومن نوع هذا الحوار، جاء في مجادلة لليهود في تقرير أمر شرعي، فقد جاء في الحوار : «مرَّ على النبي ﷺ يهودي محمماً مجلوداً، فدعاهم ﷺ فقال : هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا : نعم، فدعنا رجلاً من علمائهم، فقال : أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى! أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال : لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد»^(٢) .

فالشاهد أنه حين حاورهم مقررراً انتزع منهم الاعتراف بالحق، وهو لم ينفذ حكم الرجم إلا بعد أن أقام الحجة عليهم حتى أفحمهم فلم يستطيعوا أن يشككوا في صواب الحكم، ولم يقرروا لذا من منعه من تنفيذه^(٣) .

(١) ابن حجر . فتح الباري ٤ / ١٥١ .

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي . ك / الحدود . باب (رجم اليهود أهل الذمة في الزنى) . ٢٠٨ / ١١ .

(٣) انظر د . محسن بن محمد بن عبدالناظر . حوار الرسول ﷺ مع اليهود ٦٢ .

وقد كان أسلوب التقرير من ضمن الأساليب التي أثرت على الأنصار في بداية دعوتهم جاء في الحوار «قلنا: أعرض علينا الإسلام، فعرض، وقال: من خلق السموات والأرض والجبال؟ قلنا: خلقهن الله عز وجل. قال: فمن خلقكم؟ قلنا الله عز وجل. قال: فمن عمل هذه الأصنام التي تعبدون؟ قلنا: نحن. قال: الخالق أحق بالعبادة أم المخلوق؟ قلنا: الخالق. قال: فأنتم أحق أن تعبدوا ربكم وأنتم عملتموهن، والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه، وأنا أدعوكم إلى عبادة الله عز وجل وشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. وصلة الرحم، وترك العدوان وإن غضب الناس...»^(١).

(١) الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشد فى سيرة خير العباد. ٣/ ١٩٠. وقال المؤلف فى الرواية «رواها أبوزرعة الرازى فى دلائل النبوة له بسند حسن والحاكم وصححه» ٣/ ١٨٩.

المبحث الثاني: التساؤل

التمهيد:

السؤال هو مفتاح الحديث، في أسلوب الحياة ككل، تسأل لتتعرف، وتسأل لتعرف، وتمضي في درجات عمرك لتزداد في حرصك أن تعرف كل ما حولك؛ فتنوع الأسئلة في شتى مناحي الحياة الخاصة والعامة لدى الإنسان لذا فعنصر السؤال له مجال ومقال لدى المهتمين، في شتى العلوم والفنون؛ في اللغات ومجالاتها، وفي علم الوصل والاتصال، وعلوم الاجتماع والنفس.

وعلاقة السؤال بالحوار علاقة وطيدة؛ فالسؤال مفتاح للحوار إضافة إلى استخدام المحاور للسؤال لإثراء الحوار، واستدراج المدعو ليصل إلى المقصود.

وأسلوب السؤال طريقة ناجحة قديماً وحديثاً، وهي شائعة في الكتاب والسنة وفي أخبار السلف، فالقرآن الكريم مليء بأنواع الأسئلة الهادفة لحث المدعويين بإعمال عقولهم، وشحذ هممهم؛ ليقبلوا على الخير ويبعدوا عن دروب الردى.

فالمحاور المسلم لا بد أنه سيواجه أصنافاً شتى من المدعويين وكل منهم يريد طرحاً لسؤاله مستفسراً عن مبهم، وباحثاً عن تجلية غامض أو حضور غائب.

فالأصحاب يسألون، والأعداء يسألون، والجاحدون يسألون
للتحدي، الأولون مثبتون، ومن يليهم راغبون وراهبون.

كم هائل من الأسئلة ينحدر كالسيل، في شتى مناحي الحياة، فإذا استل
عنصر دال على أهمية ذلك، أعني لو مثل واختير من الأدلة قضية الطفل
من حين يبدأ لسانه بالحديث لهالك خطورة الأمر؛ فإن هذا الطفل الذي لم
ينضج، وما انتشر بعد في ردهات وسبل الحياة الواسعة المتعبة، فإنك تسمع
منه العجب من التساؤلات التي لا يحصرها نوع، أو وقت، أو موضوع.

وهذا حق للإنسان الذي أكرمه الله، بأن وهبه أدوات الفهم والإدراك
حيث يقول تعالى في سورة النعم^(١) ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا
تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

وقبل وبعد هذا النص الكريم حشد عظيم من الآلاء والنعم وتنقل واضح
في ظواهر الكون العظيم المشاهدة، ثم إلى الغيب المكنون، ومخلوقات
شتى، وحيوانات وطيور، وجن وشياطين، ألا يدعو ذلك كل إنسان ألزم
طائره في عنقه أن يسأل ويتساءل ويبحث عن جواب ممن يستطيع الإجابة،
ولعله يتكشف هنا خيط رفيع من سر حرص الرسول ﷺ على أن يطلب
بين حين وآخر من أصحابه بأن يسألوا عن كل ما يريدون^(٣).

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج ٤ / ٤٢٧

(٢) النحل - ٧٨ .

(٣) انظر فتح الباري ٨ / ٢٨١ .

ولأنه يعلم أن هذا الإنسان فيه غريزة فاعلة مؤثرة ينبغي استغلالها واستثمارها، وهي غريزة حب الاستطلاع، ويقابل ذلك صفة من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها المحاور وهي الثقة والمكنة بعلمه ومعلوماته ونفسه .

فيندفع السائل أيضاً بثقة وبلا تردد مستجمعاً كل قواه غير مسقط لأي حرف من سئله؛ وهنا يبرز ويتميز محاور عن آخر، وبحق يصف السلف حسن السؤال «بأنه نصف العلم»^(١) وابن عباس - رضي الله عنهما - تلميذ النبوة يتعجبون من سعة علمه وعمقه، فيبين عمر - رضي الله عنه - حقيقة حصول هذا العلم له فيقول «ذلك فتى الكهول؛ له لسان سؤال، وقلب عقول»^(٢) والقرآن الكريم خير وأصدق شاهد إذ عرض لنوعية الأسئلة التي يواجهها الرسول من شتى الأصناف؛ وسرعة الانتقال وتوقيته، فمن صنف جحود يملك سلاح العلم والكتاب المنزل ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾^(٣)، إلى صنف آخر تشغله أمور الغيب الكبيرة التي تحتل حيزاً واسعاً في أفكار كثير من المتسائلين ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾^(٤)، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥).

(١) انظر ابن حجر، فتح الباري، ١/ ١٤٢.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٤٥.

(٣) النساء - ١٥٣ - .

(٤) الأحزاب - ٦٣ - .

(٥) الإسراء - ٨٥ - .

وفي التشريع ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١)، وحتى المرأة التي كانت تعد كسقط المتاع لا تسأل ولا تُسأل أصبح لها أثر وتأثير تتفاعل مع الأجواء حولها وبقوة الحق تسأل فتقول قائلة إن الله لا يستحي من الحق، ثم تسأل عن أدق وأخص ما يميس المرأة المسلمة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٢)، والمجادلة تدفعها قوة الحق فتأتي مجهزة درر الأسئلة تحاور بها الرسول ﷺ في قضيتها حتى نزل فيها قرآن يتلى، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٣)، وقد قرر بعض أهل العلم أن المقصود هنا كثرة مساءلتها للرسول ﷺ فيما تعرضت له من خطأ زوجها.

ونقلة أخرى إذ هم يسألونك وأيضاً أنت تسأل لتستوضح عن حقيقة هذا الطريق الشاق (طريق الدعوة)، ومستخبراً عن أخبار من سلف ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّن آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٤)، ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ

(١) المائدة - ٤ - .

(٢) البقرة - ٢٢٢ - .

(٣) المجادلة - ١ - .

(٤) البقرة - ٢١١ - .

الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ ﴿١﴾ .

وتسأل لتستفهم، وتسأل لتقرر، وتسأل لتصل بالمدعو إلى الحق . .
إلى غير ذلك .

وأياً كان الغرض من ذلك؛ فإنه يفهم من خلال ذلك أنه يأتي وقت
تسأل أنت وهم يحرصون على الإجابة .

وتجد دائرة التساؤل في القرآن تشمل كل سؤال يخطر على بال بشر
يبحث عن الحق وفاق من صدره وغيه وعلته .

فالقرآن نزل ليزيل الظلمات بدرجاتها وأشكالها، ويوجه الإنسان
وينقله إلى النور؛ فكم من التساؤلات الإلهية التي توجهت إلى الشرك
بالله فسحقته وأوضحت تهافته وضآلته، أسئلة إلهية مباشرة، وعلى
لسان رسل الله، وحتى الطيور تنقد الإنسان إذ تنكب الصراط المستقيم
فاستمع إلى قوة المنطق ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾^(٢)، وهذا أنموذج أريد به إشارة بأن
الدعاة وهم أنصار دعوة الحق التي تشمل كل ما ذكر من فنون - من أكثر
الناس حاجة لئن يتقنوا فن السؤال .

فالداعي يقابل خلقاً لا عد لهم ولا حصر لهم وهم يتفاوتون في
درجات مداركهم وتقبلهم، ويختلفون في أمزجتهم، وطبائعهم،
ورغباتهم، فيحتاج أن يتمكن من طرح السؤال الذكي المفيد، فيسأل

(١) الزخرف - ٤٥ . .

(٢) النمل - ٢٥ . .

ليعرف من يدعوا ويسأل ليهيئ المدعو ليفهم ويقبل ولا يدبر، فهناك من الأسئلة ما يتضمن أسلوب استفزاز فيوجه في غير حاجة فيأتي بنتيجة سيئة .

وسيتضح من خلال الحوارات النبوية وأسئلته ﷺ مبلغ عنايته بالأسئلة وصحابته، إذ يختار الوقت المناسب، والموضع المناسب، والأشخاص، والموضوعات، فيسلم أناس ويتأثر آخرون .

إذاً الذي يجيب بثقة له أن يسأل بصدق ودراية إذا سنحت الفرصة وكان راغباً في الوصول إلى الحق .

ويتضح مما سبق أن السؤال له مكانة في الحوار النبوي؛ فالذي يطلع على أخبار أسباب النزول ويتبعها في التساؤلات القرآنية في معظمها يعلم أنها أصلاً حوارات جرت بين الرسول ﷺ وبين المحاورين زمن الرسالة المحمدية .

وبعد هذه الإشارات المجملة بلا فص ولا تفصيل ينتقل الحديث بشيء من التفصيل المتناسق مع مادة هذا البحث من خلال حوارات الرسول الكريم المتناثرة بين دفتي كتاب الله الكريم وسنة الرسول المشرفة .

حقيقة السؤال:

ما السؤال؟ .

السؤال هو الإستخبار، والإستعطاء^(١)، فتسأل مستخبراً عن طريق النظر وتستعطي ما تحتاجه حساً؛ إذ يقول الراغب^(٢) عن السؤال بأنه «استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، فيتضح من كلامه الجانب النظري والسؤال يأت على وجهين:

١ - طلب المقال وجوابه المقال .

٢ - وطلب النوال وجوابه النوال^(٣) .

والسؤال في القرآن فيما ذكره الفيروزآبادي^(٤) أنه ورد على عشرين وجهاً ونوعاً .

والسؤال في الحوار النبوي يثار لأغراض صحيحة، ولأهداف مرسومة فما يطرح سؤال إلا وهو يعود بالخير العميم على أطراف السؤال، فهو يسأل للفت الإنتباه، وليثير في نفس المستطلع الاهتمام، فيعده ليتلقف ما يراد منه بكل اقبال .

والنبي ﷺ كثيراً ما يستخدم هذا المفتاح المهم ليفتح مجالاً للحوار في شتى القضايا، ولا يدع فرصة أو مناسبة إلا ويستفيد منها في توجيه

(١) انظر لسان العرب . مادة: سأل .

(٢) المفردات في غريب القرآن . ص ٢٥٠ .

(٣) انظر بصائر ذوي التمييز . ١٦٢/٣ .

(٤) انظر المرجع السابق ١٦٥/٣ - ١٦٧ .

أصحابه، وتثقيفهم، وتنشيط قدراتهم الذهنية، وإجالة الفكر على حقائق هذا الكون البديع فيربطهم بالخالق جلا وعلا.

ومن ذلك يؤتى بجمار في طبق ليأكله، فيستغل ذلك؛ فيسأل عن النخلة لينتقل إلى حقيقة الإيمان والمؤمن وشبه ذلك.

وموضع آخر في مناسبة أخرى يمر على السبي وإذا امرأة بوله ودهشة وخوف وهلع تبحث عن وليدها، فيسأل سؤالاً يناسب هذا المقام ويلفت الإنتباه إلى وضع هذه المرأة لينطلق منه إلى ما يريد.

ونص الحوار هو: «قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته، فالصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: أترون هذه طارحة ولدنها في النار، قلنا: لا، وهي قادرة على ألا تطرحه، فقال: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»^(١).

وخبر ثالث يرى بهيمة ميتة جيفة فيستفسر من يريد تلك؟ وكانت معيبة أيضاً، ليبين حقيقة هذه الدنيا، وماتساويه عند الله عز وجل.

الشاهد أنه يسأل ليثير اهتمام المسؤول محل الدعوة عن ظواهر ملموسة مشاهدة، ليست في جوانب منها ذات بال - لينتقل إلى معاني وموضوعات وقضايا كبرى يصحح من خلالها خللاً طراً، أو خطأ وقع، أو شبهة بدأت تطل برأسها، أو يعيد حقاً، أو يضيف معلومة، وكل هذا بأنجع الأساليب، وليصل إلى هدف محدد واضح.

(١) صحيح البخاري. ك/ الأدب. باب (رحمة الولد وتقبيله ومعانقته) ص: ٥٠٨.

وعلى هذا فحقيقة فن الحوار تعتمد على السؤال والجواب وترتبط به فمن يتقن فن السؤال والجواب فهو محاور متمكن .

وقد استغل قدماء اليونان هذه الحقيقة التي هي كلية ، وهي القدرة على السؤال وطرحه ، بل إن الحوار ليس في السؤال والجواب بقدر ما هو بالسؤال ^(١) ، فلكي تستطيع الإجابة يجب أن تفهم السؤال ففيه يكمن الجواب ولذا لاحظوا على سقراط أنه يسأل دائماً ولا يجيب ^(٢) .

والأخبار الصحيحة تثبت أهمية ذلك ، فالصحابة الكرام كانوا يبحثون عن سائل فطن يتوسلون بأسئلته إلى استخراج العلم من الرسول ﷺ ويصل الأمر بهم بأن يغروا أعرابياً ثم يأمرونه بأن يسأل ^(٣) ، ويدل هذا على قناعتهم بأن السؤال مفتاح للعلوم وأيضاً يعرفون أنه يتبع ذلك أسئلة أخرى ونقاش مفيد .

ولذا بين ﷺ أن جبريل (عليه السلام) أتى يعلم الناس دينهم ؛ والمراد أن يسأل عنه باتقان وهذا يسمى علماً وتعليماً ؛ لأن جبريل عليه السلام لم يصدر منه إلا السؤال ^(٤) .

وقد أسند التعليم إلى جبريل عليه السلام مجازياً لأنه الوسطة في

(١) د. الطاهر عزيز. المناهج الفلسفية. ١٢٠ .

(٢) المناهج الفلسفية ١٢١ (مرجع سابق).

(٣) ابن رجب. جامع العلوم والحكم. ٩٩ .

(٤) سياسة الرسول ﷺ التعليمية. أ.د. محسن محمد عبدالناظر. ١٣٢ . بحث مركز

البحوث السنة والسيرة. جامعة قطر .

استخراج العلم بحسن سؤاله «ولذا قيل حسن السؤال نصف العلم»^(١).

وأخبر الرسول ﷺ أن من أسباب هلاك الأولين هو السؤال، وهذا فيه عبرة، إذ أن هذا العنصر يكبر أمره وخطره حتى يفعل هذا الفعل بزوال أم وذهاب خيراتها والإساءة إليها تاريخاً، ويقول الرسول ﷺ «دعوني ماتركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»^(٢).

ويعنون البخاري حول ذلك باب (ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لا يعنيه)^(٣)، وقد أثر عن السلف الصالح بأن أحدهم يظل يتردد في نفسه أمرٌ ذو وبال فتذهب السنة لا يسأل الرسول ﷺ هيبة^(٤).

وقد تعددت أقوال شراح الحديث بياناً لحقيقة هذا التحذير نوعاً وكماً ونسخاً وتأويلاً، وما يخرج به من تلك الأقوال أنه ينبغي الانتباه والمراقبة قبل طرح السؤال وأثنائه وبعده^(٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال»^(٦).

ومن الشواهد الشاهدة والمشاهدة قصة تساؤلات بني إسرائيل في

(١) انظر . دراز . من كنوز السنة النبوية . ٣٠٢ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٢٥١/١٣ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٢٦٤/١٣ .

(٤) انظر فتح الباري ٢٦٦/١٣ .

(٥) انظر فتح الباري ٢٦٦/١٣ .

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/١٣٦ .

قضية ذبح البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لُونُهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴿١﴾.

وفي هذا البحث مغزى دقيق يستخلص من جملة أخلاق أهل العلم حول حقيقة هذه التساؤلات أمراً وحثاً، وتحذيراً ونهيًا، فهناك آيات كريمات ماثولات بين دفتي المصحف تحمل كثيراً من المدح والحث في أمور التفكير والتدبر والتعقل، وإعمال الإنسان ما وهبه الله من أدوات فهم وإدراك.

ومع أن السؤال في وقعه وموضعه ذو مكانة لا تبارى، فكما كان سبباً في إهلاك أم فقد أحيا الله به أمماً.

ومما يشير إلى ذلك حديث جبريل (عليه السلام) المشهور والمنشور وبتساؤلاته المتضمنة أصول دين الإسلام؛ يدل على ذلك قوله ﷺ في

(١) البقرة (٦٧ - ٧٣).

نهاية القصة «هذا جبريل جاء يعلمكم أمر دينكم»^(١)، مما يؤكد بركة هذه الأسئلة ومبلغ تأثيرها «كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال متى الساعة: قال: ما المسؤول عنها أعلم من السائل. وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها. وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان. في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي ﷺ ﴿إِن اللّٰهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية. ثم أدبر. فقال ردوه: فلم يرو شيئاً. فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»^(٢).

وتتوالى هذه الأسئلة الدعوية على الرسول ﷺ فهذا وفد عبدالقيس يوجه أسئلة يبحث من خلالها عن أصول يتعبد ربه بها إذ يحول بينهم وبين دولة الإسلام بعض القبائل التي لم تسلم وتعرض طريقهم وهذه حياة وأي حياة.

ونص الحوار هو: «إن وفد عبدالقيس لما أتوا النبي ﷺ قال: «من القوم أو من الوفد؟» قالوا: ربيعة. قال: «مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى» فقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام

(١) البخاري مع الفتح ١/ ٧٨.

(٢) صحيح البخاري. كتاب الإيمان. باب (سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان... ص: ٦). (موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة).

وبيتنا وبينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بأمر فصل نخبر به من ورءنا
وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة. فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع،
أمرهم بالإيمان بالله وحده. قال: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟»
قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا
من المغنم الخمس» ونهاهم عن أربع عن الحنتم والذبء والنَّقير والمزقت، -
وربما قال المقير - وقال احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم»^(١).

وأعرابي من أهل البادية يتحقق من صحة الرسالة وما جاءت به وعن
أمرها ونهيها، وكل ذلك عن طريق التساؤلات التي طرحها ثم يعود إلى
وبره يحمل معه برأ ينثره بينهم.

وهو ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه يفد إلى الرسول ﷺ بتساؤلات
مركزة صادرة من قلب منيب فيعود إلى قومه مجيباً مستجيباً لأمر الله
وينقل قومه إلى النور «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل
رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟
والنبي ﷺ متكيء بين ظهرا نبيهم، فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكيء، فقال
له الرجل: ابن عبدالمطلب، فقال له النبي ﷺ: قد أجبتك. فقال الرجل
للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك،
فقال: سل عما بدا لك. ، فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، الله
أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم، قال: أنشدك بالله، الله

(١) صحيح البخاري . ك/ الإيمان . باب (أداء الخمس من الإيمان). ص : ٦ .

أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة؟ قال : اللهم نعم ، قال : أنشدك بالله ، الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال : اللهم نعم ، قال : : أنشدك بالله . الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ، فقال النبي ﷺ : اللهم نعم ، فقال الرجل : آمنت بما جئت به . وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضممام بن ثعلبة آخر بني سعد بن بكر^(١) ، وعن مبلغ أثر هذه التساؤلات جاء في الخبر «قال لقومه بعد أن عاد إليهم وقد أوفدوه : إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا ، وقد جئتمكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه . قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً»^(٢) .

وقبله يقول للرسول ﷺ مباشرة استماعه لإجابته ﷺ : «آمنت بما جئت به»^(٣) .

وعمر رضي الله عنه يقول : ما رأيت أحسن مسألة ولا أوجز من ضممام^(٤) .

وابن عباس رضي الله عنهما يقول عن ذلك : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضممام بن ثعلبة^(٥) .

وقد تعددت الأغراض التي استخدم الرسول ﷺ فيها السؤال ، ومن

(١) صحيح البخاري . ك/ العلم . باب (القراءة والعرض على المحدث) ، ص : ٨ ، الفتح ١ / ١٤٨ .

(٢) فتح الباري ١ / ١٤٩ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١ / ١٤٨ .

(٤) انظر ابن حجر . فتح الباري ، ١ / ١٥٣ .

(٥) الموسوعة الحديثية . مسند الإمام أحمد بن حنبل . ٢١١ / ٤ .

أهمها نقل المدعو من حال ظلمة هو عليها إلى حال النور، فيلجأ إلى التساؤلات، سنداً وحجة، وإجمالاً، عن أبي أمامة قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه، فزجروه قالوا: مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتجبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتجبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتجبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتجبه لعمتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتجبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه. قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

وحوار آخر في قضية أخرى، إذ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود، فقال: ألك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حمر، قال هل فيها من أورك؟ قال: نعم، قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعله عرقاً نزعته، فقال رسول الله ﷺ «وهذا الغلام لعل عرقاً نزعته»^(١).

فالرسول ﷺ يعرف خطورة هذه التهمة وحساسية هذه القضية،

(١) البخاري مع الفتح. ك/ الطلاق. باب (إذا عرض بنفي الولد) ٩/ ٤٤٢.

فتدرج بهذه التساؤلات حتى يصل لما يريد من غير إثارة روع السائل .
وفي موضوع عقدي يروي ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول
الله ﷺ : « لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة » ، فقام إليه رجل أعرابي
فقال : يا رسول الله أرأيت البعير يكون به الجرب فيجرب الإبل كلها :
قال : فمن أجرب الأول؟ ^(١) ، فيلاحظ بوضوح أن الرسول ﷺ لم يفعل
غير استخدام عنصر السؤال بطريقة واضحة ، مبنية على أسس منطقية ،
أوصلت المدعو إلى قناعة ملزمة .

فهذه التساؤلات أفادت من عدة أوجه :

- ١ - منها ما يخص المدعو لتهدئة روعه وتسكينه .
- ٢ - ومنها اختياره ﷺ ما يناسب حال المحاور الفكرية والنفسية .
- ٣ - استخدام التعبيرات المفهومة والمتزعة من بيئة المحاور .
- ٤ - وهذه الأسئلة المركزة اشتملت ما سبق وأبعد منها إذ أن أهل العلم
يعدون هذه التساؤلات أصلاً في الحوار والقياس ، مع ما فيها من ضرب
الأمثال ، وتشبيه المجهول بالمعلوم ^(٢)

(١) صحيح سنن ابن ماجه ، باب في القدر ، حديث رقم ٧٠ ، ١ / ٢١ .

(٢) انظر القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ٤ / ١٠٨ ، وابن حجر ، فتح الباري ٩ / ٤٤٤ ، وابن
جماعة الكناني ، تذكرة السامع والتكلم في أدب العالم والمتعلم ٢٠ ، والإمام ناصر الدين
عبدالرحمن الأنصاري المعروف بابن الخنيلي أقيسة النبي المصطفى محمد ﷺ ٧٧ ، ١٣٧ ،
٢٠١ ، ٢٠٤ . المكتبة العصرية ، بيروت ١٤١٥ هـ . بدون رقم للطبعة .

تغير الجواب مع اتحاد السؤال:

وهذا شائع في حواراته ﷺ ومن أشهر ذلك أنه مرة سئل: «أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لمن تعرف»^(١).

وسئل: «أي الإسلام أفضل: قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٢).

السؤال واحد فلماذا اختلف الجواب؟ لأهل العلم إجابات في ذلك من أدقها:

١- إنه سؤال عن الأحاد في الثاني وفي الأول عن الخصال ولذا افرق الجواب^(٣).

٢- إنه اختلف لاختلاف الأشخاص والأحوال^(٤).

٣- إن السؤالان بمعنى واحد والجواب مختلف^(٥).

وفي هذه التوجيهات النبوية الكريمة إرشادات ودلالات لمن يتعرض

(١) صحيح البخاري . ك/ الإيمان . باب (إفشاء السلام من الإسلام)، ص: ٤ .

(٢) صحيح البخاري . ك/ الإيمان . باب (أي الإسلام أفضل؟)، ص: ٣ . (موسوعة الحديث الشريف).

(٣) انظر إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم . الأبي، ٢٢٧/١، دار الكتب العلمية . بيروت . (ط: ١) ١٤١٥ هـ .

(٤) انظر فتح الباري ١/ ٨٧ .

(٥) انظر فتح الباري ١/ ٥٦ .

لمثل هذه المواقف من المحاورين الدعاة الى الحق ، فقد يختلف الناس في سعة مداركهم ، وتقديرهم للأمر، وإن سأل أحدهم عن أمر ظاهر جوابه وتوجهه ، ورأى المسؤول أن المصلحة تقتضى أن ينتقل به إلى ما هو أهم وأوجه له؛ وهذا واضح في السنة مشتهر عنه صلى الله عليه وسلم يسأله أشخاص عدة عن أفضل الأعمال التي تقرب إلى الله فيبدأ لأحدهم بذكر « الجهاد في سبيل الله » .^(١)

وأخر يجيبه « الصلاة على وقتها » .^(٢) فأجيب كل سائل بالحال اللائق به .^(٣) سواء في درجة إيمانه ، أو قربه وبعده من دار الدعوة أو غير ذلك، ومن ذلك اختلاف تعليمه صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس وضمَام بن ثعلبة النجدي فعلمهم ما لم يسعهم جهله .^(٤) ، وما يكون لهم زاداً يتزودون به حتى يكتمل سفارات دعوية، وغيرها، أما من كان قريب الوطن يمكنه الاتيان كل وقت بحيث يتعلم عليالتدريج، أو عرف ما لا بد منه إجابة بحسب حاله وحاجته على ماتدل قرينة حال السائل .^(٥)

فالنصوص الكريمة السابقة واضحة تبين أهمية ضبط السؤال ووزنه وتحمده أهدافه ؛ لئلا يخرج عن حدود الأدب ، ولذا جاء في الأخبار الصحيحة النهي عن أمور عظيمة ، وكبيرة فـي جرمها وجـزائها قرن مـعها هذا النوع من الاسئلة « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات

^(١) صحيح البخاري باب ك باب (أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) ، حديث رقم (٢٧٨٦) ص ٢٢٤

^(٢) صحيح البخاري ك / الجهاد باب (فضل الجهاد والصبر) حديث رقم (٢٧٨٢) ص ٢٢٤

^(٣) انظر ابن حجر فتح الباري ١ : ٧٨ .

^(٤) انظر ابن أبي العز الحنفي . شرح العقيدة الطحاوية ٤٧١ .

^(٥) انظر المرجع السابق نفسه والمدرک نفسه ٤٧١ .

ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»^(١)،
 فالعقوق والوآد من كبائر الذنوب التي حذر منها في نصوص الكتاب
 والسنة ، فكون السؤال الخاطيء يدخل ضمناً معها ففي ذلك دلالة
 وتوجيه إلى الاحتراز عن طرح أو وضع السؤال وتصحيح النية فيه وتتبع
 ضوابط الشرع في طرحه ومما يدعو إلى وضع هذه الضوابط إضافة إلى
 ما سبق ما جاء في القرآن الكريم في قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
 تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ
 عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾^(٢) .

ومن خلال الاطلاع على تفسير هذا النص الكريم يتبين مايلي :

١ - هناك أسئلة فيها إساءة للسائل ينبغي الإعراض عنها .

٢ - فيه تشديد وتضييق على المسلمين بسبب هذه التساؤلات وفي
 قصة من قصص سبب نزول هذا النص الكريم يتبين هذا ذكر أن الرسول
 ﷺ قال : « كتب عليكم الحج » فقام رجل من الأعراب فقال : أفي كل
 عام؟ فغلق كلام رسول الله ﷺ وأسكت ، وأغضب ، واستغضب ،
 ومكث طويلاً ، ثم تكلم فقال : « من السائل؟ » فقال الأعرابي : أنا ذا ،
 فقال : « ويحك ماذا يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت نعم لوجبت ،
 ولو وجبت لكفرتم ؛ الا إنما أهلك الذين من قبلكم أئمة الحرج . . . »^(٣) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب (ما يكره من قيل وقال) ، حديث رقم [٦٤٧٣] ، ص : ٥٤٣ .

(٢) المائدة - ١٠١ - .

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ١٤٥ .

ويلاحظ من خلال النص الوصف الذي بين حالة الرسول ﷺ بسبب هذا السؤال من غضب وضيق ففي رواية أنه بعد السؤال أعرض عن السائل ولم يجبه.^(١) وبين ذلك سر تخوف الصحابة من السؤال وتركه لغيرهم ممن يجروء على طرحه لجهله ، أو لعجلته ، أو لحاجته ، واستجابة لقوله ﷺ « إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته ».^(٢)

٣- إن ذلك يتعدى الى فتنة السائل حتى يخرج عن الملة وبقية النص تفيد ذلك ﴿ قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ﴾.^(٣) ففي عبارات دقيقة قليلة واضحة يقول ابن كثير « أي قد سأل هذه المسائل المنهي عنها قوم من قبلكم بأجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها، فأصبحوا بها كافرين؛ أي بسببها ».^(٤)

فزبدة الحديث : أن هذه التوجيهات الشرعية تدل على أنه ينبغي الاحتراز عند طرح السؤال، وأنه لا بد أن يتوجه تحت ضوابط شرعية واضحة .

(١) انظر المرجع السابق ٢ / ١٤٤ .


(٢) صحيح البخاري ك / الاعتصام باب (ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف مالا يعني) حديث رقم (٧٢٨٩) ص ٦٠٧

(٣) المائدة - ١٠٢ -

(٤) تفسير ابن كثير . ٢ / ١٤٦

الفصل الثالث

المبحث الثالث
التذكير بالنعم



المطلب الأول: التعريفات:

أ - : التعريف بالتذكير:

بالعودة إلى قواميس اللغة العربية في مادة: «ذكر» يجد المطلع معان عديدة منها:

١ - الحفظ للشيء تذكيره .

٢ - الشيء يجري على اللسان .

٣ - الدراسة للذكر^(١) .

وهما ضربان ذكر عن نسيان، وذكر عن إدامة الحفظ وقد ذكر معنى رحمه الله هو المناسب لمقام التذكير بالنعم في مقام المحاورات، إذ أنه أثناء حديثه عن الذكر والذكرى والتذكير، وعند قوله تعالى مذكراً بني إسرائيل بالنعم التي لا تعد ولا تحصى: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾، ذكر أن المراد هنا هو التبصر بنعمته جلّ وعلا الموصلة إلى معرفته سبحانه^(٢) .

(١) انظر ابن منظور. لسان العرب. مادة: «ذكر»، .

(٢) انظر الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ١٧٩، ١٨٠ .

ب - : التعريف بالنعم :

مادة «نعم» في اللغة تدل على مايلي :

١ - المنة والصنيعة ، وما أنعم به عليك .

٢ - الخفض والدعة والمال وهو ضد البأساء والبؤس .

٣ - النعمة واللين^(١) .

وأضاف صاحب اللسان معنى يتناسب مع وجهة هذا المبحث إذ يقول :

«ونعمة الله ، منه وما أعطاه الله العبد مما لا يمكن غيره أن يعطيه إياه؛

كالسمع والبصر»^(٢) .

فالنعمة هي الحالة الحسنة ، وبناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها

الإنسان^(٣) .

والأنعام إيصال الإحسان إلى الغير ، ولا يقال ذلك إلا إذا كان الموصل

إليه من جنس الناطقين^(٤) .

(١) انظر ابن منظور . لسان العرب . مادة «نعم» .

(٢) المرجع السابق نفسه والمدرك نفسه .

(٣) انظر الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن ٤٩٩ .

(٤) انظر المرجع السابق نفسه والمدرك نفسه .

والحاصل أنها على كثرتها ترجع إلى أصل واحد يدل على ترفه وطيب عيش وصلاح؛ فالنعمة: ما ينعم الله تعالى على عبده به من مال وعيش^(١)، ومن كل نعمة ظاهرة وباطنة.

ومما سبق من التعريفات، فيكون المراد في هذا المبحث هو: «تذكير وتبصير المحاورين بما من الله عليهم من حالة حسنة، ليصلوا بذلك إلى الله عز وجل المنعم الأول».

وعن وظيفة القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾^(٢).

ونوعٌ وصرفٌ من كل آية ومثل وذكر نعمه في هذا القرآن ليتذكر من ألقى السمع وهو شهيد.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾^(٣).

وهؤلاء الذين يتذكرون فيعقلون ويهتدون، ليسوا كغيرهم من عامة البشر؛ بل هم خواص لهم صفات إذا تحلوا بها جاءت الذكرى على وجهها، فنفعت وأفادت.

(١) انظر ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. مادة: «نعم».

(٢) ص-٢٩.

(٣) الإسراء-٤١.

والقرآن بين أهم الصفات لهؤلاء من ذلك أنهم أصحاب عقول واعية
مدركة حاضرة .

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(١) .

وأن استجابتهم جامعة للقلوب والأسماع، يقول تعالى: ﴿ إِن فِي ذَلِكَ
لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾^(٢) .

إن الله سبحانه وتعالى أسبغ على خلقه نعماً كبرى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾^(٤) .

وكل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب مؤثر فإنه يسمى نعمة^(٥)، يقول
تعالى: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ
﴿ ٥٣ ﴾^(٦)، ﴿ وَأَتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَآ سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا
تُحْصُونَهَا ﴾^(٧) .

(١) الرعد- ١٩ .

(٢) ق- ٣٧ .

(٣) انظر د. أحمد الشرباصي . موسوعة أخلاق القرآن ١ / ١٤١ .

(٤) لقمان- ٢٠ .

(٥) انظر أبو حامد الغزالي . إحياء علوم الدين ٤ / ٩٤ .

(٦) النحل- ٥٣ .

(٧) إبراهيم- ٣٤ .

وهذا تبيان لعجز الخلق عن تعداد نعم الله ، فكيف بشكرها^(١) ، فهي كثيرة لا تحصر كالسمع والبصر وتقويم الصور إلى غير ذلك من العافية والرزق ، وهي وغيرها كثير من الله فلم تبدلوا نعمة الله بالكفر؟ وهلا استعنتم بها على الطاعة؟^(٢) .

وأقوال كثيرة عند المفسرين في حقيقة هذه النعم وصعوبة عدها جملة فضلاً عن عدها حصراً وتفصيلاً .

ولذا فالله جل ذكره في معرض دعوة الخلق إلى توحيدِهِ يعرض النعم الطائلة العريضة في الآفاق وفي أنفسهم ليصل بهم إلى توحيدِهِ ، وهذا كثير في كتاب الله تعالى مما يدل على أهمية استخدام هذا الأسلوب ، وخاصة في مقام المحاورات إذ فيه التذكير الدائم لمن هو مستحق للعبادة وحده .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْتِغِي لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ

(١) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٧١٢ / ٢ .

(٢) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن ٣٦٧ / ٩ .

مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ (١).

وبعد عد كريم لقسم من نعم الله وآلائه، بين تعالى أنه هو المستحق للعبادة أما دونه: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْثُونَ﴾ (٢١) (٢).

فإذاً يثبت بأن خالق الخلق والمنعم عليهم هو الإله الواحد المستحق بأن ينفرد بالعبادة: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢٢) (٣).

فهو تعالى ينبه رسوله الكريم ﷺ في محاوراته لهؤلاء الكافرين بأن العلة بعد عرض هذه النعم العميمة وأن ما دونه مخلوقين لا خالقين، فالعلة تكمن في أن قلوبهم تنكر ذلك (٤).

وابن كثير (٥) رحمه الله في تفسير هذه الآية، يربطها ويذكر بموقف آخر لهم في توحيد العبادة في قوله تعالى: ﴿اجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (٦).

(١) النحل (١٠-١٤).

(٢) النحل (٢٠-٢١).

(٣) النحل - ٢٢ - .

(٤) انظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٧٤٧/٢.

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ٧٤٧/٢.

(٦) ص - ٥ - .

ولذا يعرض القرآن الكريم أكبر النعم وأجلها وهو انزال الله الكريم هذا القرآن لدعوتهم .

فإذا سألوا عن القرآن والوحي، وهو أكبر نعمة، فما قولهم؟ وهل يشكرون هذه النعمة؟ ويعترفون بها؟ أم يكفرون؟ ويعاندون؟ .
فيجيبون بما ذكره تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢٤) ﴿^(١) .

وهذه الآيات التي تشتمل على قدرة الله في الخلق والتكوين واسباغ النعم، عادة ماتكون مصحوبة بامتنان الله على الإنسان، لما فيها من نعم جلية وافرة لا ينكرها إنسان، وتعود عليه بالنفع العام والخاص، وكونها حقيقة بالاعتراف والشكر للمنعم جل وعلا، مما يحتمل على توحيد، وكمال تعظيمه، فهو لوحده مصدر كل نعمة ابتداءً .

والأدلة في القرآن في هذا الخصوص تتنوع وتتخذ صوراً في التدرج والمرحلية في عرض هذه النعم بغية الوصول بهم إلى أحسن النتائج .

ومن ذلك وهو نص ابتدئه تعالى بقوله «قل» وهو يدل على مقام محاوره بين الرسول الكريم ﷺ، وبين مشركي زمانه من الوثنيين .

من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ

(١) النحل - ٢٤ .

وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا
الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي
لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يُتَّبَعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴿١﴾

فهو تعالى يقيم الحجة الدامغة باعترافهم بهذه النعم العظيمة وهو اعتراف
بربوبيته، فالخالق الرازق المدبر المنعم هو أولى استحقاقاً بالعبادة ممن لا
يتصف بذلك، مع ضعفه عن دفع الضر عنه نفسه وحل النفع إليها^(٢).

وإبراهيم عليه السلام وهو من يقر العرب بنسبهم إليه ويفخرون، يورد
القرآن مواضع فيها محاجاته مع مشركي وكفار زمانه.

ومن ذلك ما جاء في معرض حوارهِ مع صنف من منكري الألوهية، إذ
عرض بفتنة ودراية مستفيداً من هذا الأسلوب (أسلوب التذكير
بالنعم).

(١) يونس (٣١-٣٦).

(٢) انظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ٥٤٧/٢، ٥٤٨.

فقد ألهمه الله الحجة إذ تدرج بعرضه لموضوعات وأساليب دعوته ثم عرَّج بذكر النعم العظيمة التي أنعم الله بها عليه بعد أن قال في معرض حوارهِ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾^(١).

فإبراهيم (عليه السلام) يبين القرآن كيف يترقى في استخدام هذا الأسلوب، ومن ذلك أنه أضاف الشفاء إلى الله ولم يصف المرض لأن الشفاء محبوب وهو من أصول النعم، فمقصوده تعديد النعم؛ فهذه الألفاظ المجملة جمع أكبر النعم من الله من أول الخلق إلى آخر الأبد في الدار الآخرة^(٢)، - والرسول الكريم ﷺ أفاد من هذا التوجيه القرآني ووضح ذلك في حوارهِ للأنصار رضوان الله عليهم وسيأتي ذكر ذلك تفصيلاً -.

فالحاصل أنه - عليه السلام - يقول بوضوح وثقة: «لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء»^(٣).

(١) الشعراء (٦٩ - ٨٢).

(٢) انظر الرازي . التفسير الكبير ٢٤ / ١٢٥ .

(٣) محمد نسيب الرفاعي . تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير . ٣ / ٣٣٦ .

وهو لا ريب يقصد به المحاورين للرسول ﷺ وبخاصة وثنيي العرب
لادعائهم الصلة بإبراهيم عليه السلام^(١).

وربما كان هذا النص الكريم ضرب من ضروب التوجيه للرسول ﷺ في
محاورته مشركي زمانه: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٦٩ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا
تَعْبُدُونَ﴾^(٢). إذ فيه توجيه للرسول ﷺ وأمر بأن يحذو حذو أبيه إبراهيم
عليه السلام.

وهذا امتثله ﷺ فمن أخبار الدعوة وفي بداية عرضها على الأنصار جاء
في الخبر إنهم قالوا: «قلنا اعرض علينا الإسلام، فعرض وقال: من خلق
السموات والأرض والجبال؟ قلنا: خلقهم الله عز وجل. قال: فمن
خلقكم؟ قلنا الله عز وجل. قال: فمن عمل هذه الأصنام التي تعبدون؟
قلنا: نحن. قال: الخالق أحق بالعبادة أم المخلوق؟ قلنا: الخالق. قال:
فأنتم أحق أن تعبدوا ربكم وأنتم عملتموهن والله أحق أن تعبدوه من شيء
عملتموه، وأنا أدعوكم إلى عبادة الله عز وجل وشهادة أن لا إله إلا الله،
وأني رسول الله، وصلة الرحم وترك العدوان، وإن غضب الناس»^(٣).

وبعد تمكن الإيمان فيهم، وحين فتح مكة، وإعطائه ﷺ المؤلفه قلوبهم

(١) انظر الرازي . التفسير الكبير ١٢٥/٢٤ .

(٢) الشعراء (٦٩ - ٧٠) .

(٣) الإمام الصالحى . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣/١٩٠ .

حسب توجيه المولى جل وعلا، بغية استئلافهم، وقد عددهم القرآن من أصناف الزكاة^(١). «تحدث بعض الأنصار حول ذلك وساعة وصل الخبر إلى الرسول ﷺ أمر بجمع الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم بي؟ كلما قال شيئاً، قالوا: الله ورسوله أمن. قال: لو شتم قلتم: جئتنا كذا وكذا، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرء من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار»^(٢).

في الحوار الأول ركز على المنعم الأكبر جل وعلا، واستثمر ما يقربه العرب من توحيد الربوبية بخلق الآيات الكبرى وفي الحوار الثاني ولتمكن الإيمان، ذكرهم بنعمة الهداية، وبنعمة الرسالة، وبنعمة الإسلام، ثم خصوصية حماية الدعوة والداعي، وبعد ذلك ذكرهم بالنعمة العظمى والخاصية الدقيقة، وهي تمكن حب الله ورسوله من قلوبهم.

ومن هنا وضع صلوات ربي عليه الكلمات المذكرات، والتي تبين لهم

(١) انظر ابن تيمية. مجموع الفتاوى ٢٨٨/٢٨.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح. ك/ المغازي. باب (غزوة الطائف في شوال سنة ثمان) ٨/

الفرق والبون الشاسع بينهم وبين غيرهم إذ قال بحق إن الناس أرادوا الدنيا، وأنتم أتريدونها؟ أم تريدون الآخرة؟ أنتم تحمون الدعوة، وتجتهدون في نصرتها، فمضى دهر، فيه بذلتم النفس والنفيس، وفارقتم الأوطان، وفقدتم عدداً وعدة، فمن قدم لله وتقدم في سبيله هل يتراجع من أجل حثالة الدنيا، وينافس أهلها في دنسها، «ففيه تنبيه لهم على ما غفلوا عنه من عظيم ما اختصوا به بالنسبة إلى ما اختص به غيرهم من عرض الدنيا الفانية»^(١).

فهو قال ذلك تواضعاً منه وانصافاً وإلاً فإن له في جميع ذلك الحجة البالغة والمنة الظاهرة، فلولا هجرته إليهم وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق^(٢).

ويقول ابن حجر^(٣) «وأما قصة الأنصار وقول من قال منهم فقد اعتذر رؤساهم بأن ذلك كان من بعض أحداثهم ولما شرح لهم ﷺ ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع رجعوا مذعنين ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله إلى بلادهم، فسلوا عن الشاة والبعير، والسبايا من الأنثى والصغير، بما حازوه من الفوز العظيم، ومجاورة النبي الكريم ﷺ

(١) الإمام بدر الدين العيني، عمدة القاري ٣٠٨/١٧.

(٢) انظر نفسه ٣٠٨/١٧.

(٣) فتح الباري ٤٩/٨.

لهم حياً وميتاً، وهذا دأب الحكيم يعطي كل أحد ما يناسبه».

وقد رتب ﷺ التذكير بالنعم ترتيباً بالغاً على نحو ما يلي :

١ - نعمة الإيمان، وذلك في قوله ﷺ « ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله

بي ».

فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وهي لوحدها تشمل كل ما جاء بعدها، وتضمنت أيضاً الباعث لهذه المحاورة، فمن يصدق بإيمانه مع الله، ينال الدنيا والآخرة، وهذا مانبه إليه الرسول ﷺ هرقل عظيم الروم حينما قال له : « اسلم تسلم »^(١).

ولقد صدق بذلك النجاشي فسلم له ملكه في الدنيا وهو من المفلحين في الآخرة إن شاء الله .

وكأنه يذكرهم المواقف التي لا تنسى مثل ما قالوه ودفعهم إليه إيمانهم حينما استشار في قضية الحرب من عدمها فأجابه رؤساهم جواباً ماثوراً وكان حواراً منهم وبين الرسول ﷺ قالوا : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال : أجل . قالوا : فقد آمننا بك فصدقناك ، وشهدنا إن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموثيقنا على السمع والطاعة ، فأمض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به

(١) البخاري مع الفتح، ك/ بدء الوحي، باب (٧)، ٣٢/١.

عينك ، فسر بنا على بركة الله»^(١) .

فالبحر لا مانع عندهم أن يخوضوه معه بقوة إيمانهم وصدقهم ، ثم هم صبر في الحرب ، فهو تحدث وحاور بما يعرفه عن هؤلاء الأنصار من قوة إيمان وبعد عن زخرف الدنيا وبهرجها ، ولذا حاورهم بما يتناسب مع حالهم التي لا تخفى عليه .

٢ - نعمة الألفة : وهي أعظم من نعمة إعطاء المال من الناس ، ولذا امتن الله تعالى عليهم بقوله : ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾^(٢) ، وكانوا أشد خلق الله حمية ، فألف الله بالإيمان بينهم حتى قاتل الرجل أقرب الناس إليه بسبب الدين^(٣) .

فأتى هذا التذكير أكله إذ من فورهم وبعد ذكر كل نعمة يقولون «الله ورسوله أمن»^(٤) .

٣ - نعمة الغنى إذ يقول في حواره ﷺ «وعالة فأغناكم الله بي» ، فالعالة أي الفقراء الذين لا مال لهم^(٥) . وهذا آخر النعم في عدها إذ همهم الآخرة ، وفي نهاية حصر النعم ذكرهم أن الله أغناهم وفتح عليهم بأموال

(١) انظر ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٣٩٢ / ٢ .

(٢) الأنفال - ٦٣ - .

(٣) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن ٤٢ / ٨ .

(٤) انظر ابن حجر . فتح الباري ٥٠ / ٨ .

(٥) المرجع السابق نفسه ٥٠ / ٨ .

وأنعام لا تعد، مما أفاء الله به عليهم .

وأهل الكتاب، وهم صنف بارز من المدعوين زمن الرسالة المحمدية، وبخاصة اليهود بحكم جوارهم للمسلمين في المدينة .

والقرآن يوجه بوضوح للمحاور الكريم ﷺ بأن يستثمر هذا الأسلوب أبلغ استثمار معهم، ومن ذلك أن القرآن يذكرهم بنعم الله جملة عليهم: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٧) (١)، فهذا التذكير بالنعمة وعظاً وتحذيراً وحشاً (٢)، ويتكرر بأشكال ومضامين لا تعد ولا تحصى .

يذكرهم بأيامهم، وبأنبيائهم، وبكتابهم، وبالصالحين من آبائهم، وبأفعالهم المشكورة، وبمواقفهم المذكورة .

ومن ذلك في حواره ﷺ معهم الذي يورده ابن عباس (رضي الله عنهما) « حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ يوماً فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن، لا يعلمهن إلا نبي، قال: سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب (عليه السلام) على بنيه: لئن حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعني على الإسلام»، ومرة يقول يستحلفهم: فأشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى (ﷺ) (٣) .

(١) البقرة- ٤٧ - .

(٢) انظر ابن سعدي . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣٤ .

(٣) المسند ٤/ ١٧٦ ، ١٧٧ حديث رقم (٢٥١٤) .

فهو يذكر ﷺ أحب أنبيائهم إليهم ، وذا توجيه من الله في كتابه الكريم ويعقوب وموسى (عليهما السلام) من أشهر أنبيائهم .

وهذا تذكير بأهم النعم وأجلها إذ هم من الأمم التي أكرمها الله بكثرة الرسل الكرام (عليهم السلام) ، ثم ذكر التوراة وهي من الكتب المنزلة على موسى أعظم وأشهر أنبيائهم ومن أولي العزم وهذا التذكير بين ثنايا الحوار يتوجه إلى أدق انفعالاتهم ، وهو مما يخفف حدة وحسد الطرف الآخر إذ فيه تذكير لهم بأنهم لم يحرموا من الخير والرزق العميم وكان الرسول الكريم ﷺ يتذكر قول المولى جل وعلا : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ (٥٤) ﴿^(١) .

فنعمة الله على الرسول الكريم ﷺ صارت سبباً لحسدهم ، فبين ما يدفع ذلك فقال : « فقد آتينا آل إبراهيم » والمعنى أنه حصل في أولاد إبراهيم (عليه السلام) جماعة كثيرون جمعوا بين النبوة والملك وأنتم لا تتعجبون من ذلك ولا تحسدونه فلم تتعجبون من حال محمد وتحسدونه؟^(٢) .

ومن قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٠) ﴿^(٣) .

(١) النساء - ٥٤ .

(٢) انظر الرازي . التفسير الكبير ١٠ / ١٣٣ .

(٣) المائدة - ٢٠ .

المبحث الرابع
الترغيب والترهيب



التمهيد :

إن هذين الأسلوبين لهما المكانة البارزة من بين الأساليب الدعوية ، من حيث شيوعهما ، ومن حيث تأثيرهما المباشر والفعال .

وقد يكونان في مقدمة أساليب الحوار الدعوي .

فمردهما العاطفي النفسي يوطد ويؤكد فعاليتها؛ إذ لهما قدرة نافذة في فتح مغاليق النفوس ، فقد تؤثر على الناس أساليب شتى ، ولكن الأساليب النفسية تفوق غيرها كثيراً في أهميتها وخطورة استعمالها في نتائج الدعوة من نجاح وإخفاق ، فيحتاج هذان الأسلوبان إلى قدرة فائقة في التعامل معهما من حيث حسن اختيار كل منهما ، ومتى ، وكيف يستخدمهما؟ .

فإن تحريك العاطفة وجذبها من الأولويات في أسلوب الداعي ، وبالذات المحاور .

ومما يؤكد أهميته في الحوار الدعوي ، إنك تجد حوارات الكتاب والسنة لا تكاد تخلو من ترغيب وترهيب أو هما معاً وهذا الغالب .

وأسلوب الموعدة الحسنة ، الذي هو من أعمدة أساليب الدعوة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(١) .

(١) النحل - ١٢٥ .

يرى ابن القيم، أن الموعظة الحسنة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب^(١).

والقرآن في سوقه لحوارات الأنبياء الكرام (عليهم السلام) مع أقوامهم، تجده يتضمن حشداً عظيماً من الآيات التي تتضمن ترغيباً وترهيباً لجذب المحاورين إلى دين الحق وتوحيد الله جل ذكره.

يقول الإمام الغزالي: «لا يقود إلى قرب الرحمن إلا أزمة الرجاء، ولا يصد عن نار الجحيم إلا سياط التخويف»^(٢)، والإنسان بطبعه يخاف أن يصاب بمكروه يتوقعه، أو يحرم مما يتمتع به أو يطالبه، فيسعى جاهداً ليدفع عن نفسه الألم، ويجلب لها اللذة.

فالخوف والرجاء هما اللذان يرسمان اتجاهه في الحياة ويحددان سلوكه ومشاعره وأفكاره، فعلى قدر هذين المؤشرين تجده يتخذ لنفسه منهج حياة^(٣).

فهما قوى نفسية هائلة التأثير تعمل على البناء أو الهدم في تكوين الشخصية^(٤).

(١) انظر ابن القيم، التفسير القيم، ص: ٣٤٤ جمعة/ محمد أويس الندوي، دار العلوم الحديثة، بيروت، بدون رقم وتاريخ للطبعة.

(٢) محمد جمال الدين القاسمي. موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ٣٣٠.

(٣) انظر منهج التربية الإسلامية ١٥٦.

(٤) انظر مصطفى فهمي. مجالات علم النفس؛ ٣١٨/١-٣١٩. وعباس حافظ. العقل الباطن وعلاقته بالأمراض النفسية ١٥٣-١٦٠.

وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(١).

فأكبر الوظائف التي تتعلق بعمل المحاور، وبخاصة وظيفة الإقناع عند التدقيق يُرى أن أسلوب الترهيب والترغيب هما عمادها، فقد جاء في أول ذكر لقصة نوح - عليه السلام - في القرآن^(٢).

فنوح (عليه السلام) في أول خبر وحوار عن دعوته، في سورة الأعراف تحديداً يقول تعالى في ذلك: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٣). ففي النص الكريم زجر ووعيد لهذه النفوس العاصية لتلين لنداء وحوار الحق.

وفي مواضع أخرى وتفصيل لمجمل دعوته وحواره، لا يخلو حوار من الترغيب. ومن ذلك وهو كثير ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾^(٤) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا^(٥) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا^(٦)، وهكذا بقية حوارات أخوته من الرسل والأنبياء الكرام.

(١) الأعراف - ٥٦ - .

(٢) انظر د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي. وظيفة الأخبار في سورة الأنعام ٦٦ (مرجع سابق).

(٣) الأعراف - ٥٩ - .

(٤) نوح (١٠ - ١٢).

والحوارات النبوية في عرض الدعوة سارت في نهج القرآن الكريم في ذلك استنباطاً وتوجيهاً، وفي حواراته ﷺ في عهد الدعوة الأول ذكرت كتب السيرة، جاء في حوار الرسول الكريم ﷺ عندما قرأ على محاوره عتبة بن ربيعة أوائل سورة «حم السجدة» إلى أن بلغ قوله جلا جلاله: ﴿فإن أعرضوا فقل أذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ أمسك عتبة على فيه وناشده الرحمن أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم^(١).

وبعد متابعة وتحقيق من صناديد قريش لما حصل له واستجواب، جاء في جوابه لهم؛ بأنه خاف أن يقع العذاب، ولذا سأله أن يكف^(٢).

وقد اختلف هذان الأسلوبان في الحوارات النبوية في نوعهما، وفي قدرهما، وفي حاجة المدعو إليهما، فما هما؟ وما الأصل في استخدامهما؟.

(١) انظر: نص الحوار في ابن كثير. السيرة النبوية. ٥٠٢/١ (مرجع سابق).

(٢) انظر المرجع السابق والمدرک نفسه ٥٠٣/١.

تعريف الترغيب والترهيب:

في اللغة: جاء تعريف الترغيب في معانٍ عديدة منها:

١- الضراعة والمسألة^(١)، قد جاء في القرآن: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(٢).

ولذا جاء في حديث الدعاء «رغبة ورهبة إليك».

٢- السؤال والطمع.

٣- ما يرغب فيه من الثواب العظيم.

وتوسعوا فيه بما يدل على سعة مدلوله، وحتى شمل ما يريده الداعي من ترغيب المدعو فقالوا في مراده ومفهومه:

٤- رغب النفس، سعة الأمل، وطلب الكثير^(٣).

والراغب يبين أن أصل الرغبة السعة في الشيء، وفي الإرادة.

فهو حد وحدد ما تبلغه معانيه إذ تنحصر في السعة، والإرادة.

والمعاني اللغوية تضمنت معاني تدل على ذلك، وتؤكد من السؤال، والتضرع، وكثرة الطلب، والطمع، والداعي يحقق ذلك، باستناده إلى

(١) انظر ابن منظور. لسان العرب. مادة: رغب.

(٢) الأنبياء - ٩٠.

(٣) انظر ابن منظور. لسان العرب. مادة: رغب.

توجيهات الشارع، وما حده في ذلك .

وأما الترهيب ففي اللغة من مراداته :

١ - الخوف والفرع .

٢ - وترهب غيره إذا توعدته^(١) .

٣ - وعند الراغب «مخافة مع تحرز واضطراب»^(٢) .

ولا يتعدى تعريفهما في الإصطلاح الدعوي هذه المفاهيم المستقاة من اللغة؛ ومن ذلك ما ذكره د . عبدالكريم زيدان والتعريف المراد بهذا البحث هو بقوله «نقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه . ونقصد بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله»^(٣) .

فالتعريف الماد هنا هو : «دعوة الإنسان إلى الإسلام بكل مشوق مراد، وتحذيره من غيره بكل مخوف مفرع مبغوض»^(٣) شريطة موافقة الشرع في استخدامهما .

(١) انظر ابن منظور . لسان العرب . مادة : رهب .

(٢) الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن . ٢٠٤ .

(٣) أصول الدعوة ، ٤٣٧ (مرجع سابق) .

الترغيب والترهيب في الحوارات النبوية:

لقد تباينت أساليب الترغيب والترهيب في الحوار النبوي بحسب حال الدعوة والداعي والمدعو وموضوع الدعوة ففي بداية الدعوة والحوارات ورد هذان الأسلوبان في حوارهِ ﷺ مع عتبة بن ربيعة، وبعد أن أتاح له الفرصة الكاملة يقول ما يريد، قال ﷺ: «أفرغت يا أبا الوليد. قال: نعم. قال: اسمع مني. قال: نعم. فقال الرسول ﷺ ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون...﴾».

فمضى رسول الله ﷺ يقرأها، فلما سمع بها عتبة أنصت لها، وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليهما ليسمع منه.

حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجدها ثم قال: «سمعت يا أبا الوليد. قال: نعم سمعت. قال: فأنت وذاك»^(١).

وكانت نتيجة هذه المؤثرات النفسية فعالة وفورية بعد الحوار مباشرة إذ نقل كتاب السير أن عتبة تأثر حتى أن قومه شهدوا بذلك عند رؤية وجهه مباشرة إذ قال بعضهم لبعض: «نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به»^(٢).

وهذه الآيات تضمنت حشداً من آيات الترغيب والترهيب، فجاء ذكر

(١) ابن كثير. السيرة النبوية ١/٥٠٤ (مرجع سابق).

(٢) المرجع السابق نفسه والمدرک نفسه ١/٥٠٤.

لوصف الله جل وعلا بالرحمة وهذا في غاية الترغيب .

إذ من عظيم رحمته أن أنزل هذا الكتاب الذي هو النور والهداية ، وهو الطريق للسعادة في الدارين^(١) ثم بين أنه مشتمل على البشارة والإنذار ، فهو بشير في العاجل والآجل ، ونذير بالعقاب العاجل والآجل وذكر تفصيلهما^(٢) ، فصفته في هذا الكتاب بأنه بشير ونذير^(٣) .

قد فسر بعض السلف «فصلت» بأن المقصود بها الوعد والوعيد ، وبالثواب والعقاب^(٤) .

وأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) تقول في أهمية هذين الأسلوبين وأوليوتهما : «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام»^(٥) .

فقد أشارت رضي الله عنها إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد ، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة ، وللكافر والعاصي بالنار ، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام^(٦) .

(١) انظر ابن سعدي . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - ٨١٥ (مرجع سابق) .

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ٨١٥ .

(٣) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ٣٣٨ / ١٦ .

(٤) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ٣٣٧ / ١٦ (مرجع سابق) .

(٥) البخاري مع الفتح . ك / فضائل القرآن . باب (تأليف القرآن) ٣٩ / ٩ .

(٦) انظر ابن حجر . فتح الباري . ٤٠ / ٩ .

وهذا مما يفسر حرصه (ﷺ) بأن يعتمد القرآن الكريم في بداية الدعوة وبخاصة على آيات الوعد والوعيد وكان يحرص بأن يذكر المحاور ما له في الآخرة.

وفي حوارهِ مع الأنصار وبعد أن دعاهم إلى عبادة الله عز وجل، وأخبرهم بما يريد منهم قالوا: فما لنا؟ قال: الجنة^(١).

فالمدعو بشر تتوق نفسه لمحظوظاتها ومشتهاها، قال ﷺ: «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره»^(٢).

وقوله ﷺ: «يكبر ابن آدم، ويكبر معه اثنتان: حب المال وطول العمر»^(٣).

وكان أيضاً ﷺ على اعتماده على ما في الآخرة من وعد ووعد لا يخلي حواراته من اغراءات الدنيا ومن ترهيب من تعلق فيها وإهمال للآخرة.

ومن ذلك في حوارهِ مع الملأ من قريش عند عمه أبي طالب فكان مما حاورهم به مغرياً مرغياً قوله كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم^(٤).

ويفصل هذا الترغيب بصورة أوضح إذ قال لقوم من العرب حينما كان يدعوهم إلى الله ودينه وكانوا ممن يوالون تخوم بلاد فارس، قال لهم مرغياً: «أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم

(١) ابن كثير . السيرة النبوية . ١٩٦/٢ .

(٢) البخاري . ك/ الرقاق، باب (حجبت النار بالشهوات) حديث رقم [٦٤٨٧] ص : ٥٤٤ .

(٣) نفسه والمدرك نفسه، حديث رقم [٦٤١]، ص : ٥٣٩ .

(٤) ابن هشام . السيرة النبوية ٢٧/٢ .

ويفرشكم بناتهم، اتسبحون الله وتقدسونه»^(١).

واستخدم صلوات ربي عليه أسلوب التهيب بما يفزع في الدنيا، من جنس ما ذكر أنه خرج ﷺ على صناديد قريش في يوم واستلم البيت يطوف فلما مر بهم غمزوه وفعلوها عدة مرات فقال: تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح»، فما الأثر الذي أحدثه هذا القول؟ ففي تنمة القصة جاء: فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة من قبل ذلك ليرفأه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً^(٢).

ومما يجمع بين الترغيب والتهيب في حواراته الموجزة، الجامعة ما جاء في رسالته المتضمنة حواراً مع النصاري إذ بعث إلى هرقل كتاباً يدعو فيه إلى عبادة الله وحده وجاء فيه: «من محمد بن عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»^(٣).

(١) ابن كثير. السيرة النبوية. ١٦٨/٢.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل. ٢١٨/٢.

(٣) البخاري مع الفتح. ك/ بدء الوحي. باب (٧) ٣٢/١.

فهذا الكتاب على وجازته تضمن من أساليب الترغيب والترهيب الشيء الكبير؛ ويستحق بأن يكون منهجاً للدعاة في كل عصر ومصر.

فقوله عظيم الروم لأن هذا ملك وكبير في قومه واعتاد على عبارات الإطراء والمديح، فهو ﷺ لم يغفل عن هذه الرغبة في نفوس هؤلاء فوصفه بالعظمة، وعدل عن وصف الملك لأنه معزول بحكم الإسلام ولكنه مع ذلك لم يتركه بلا إكرام^(١).

يقول النووي^(٢): «ولم يقل إلى هرقل فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة، فقال عظيم الروم، أي الذي يقدمونه، وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام».

وقوله: «أسلم تسلم» فهي في غاية البلاغ، وفي الترغيب والإغراء فلو حمل الجزاء على عمومته في الدنيا والآخرة لسلم لو أسلم من كل ما يخافه^(٣).

ويستمر هذا الترغيب، ويتوسع استخدامه في شتى المناحي، ويصبح منهجاً نبوياً في مجالات الدعوة كلها، ويأخذ مساحة كبيرة في أسلوب الحياة ككل.

(١) انظر ابن حجر. فتح الباري ١/٣٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم. ١٠٨/١٢.

(٣) انظر ابن حجر. فتح الباري ١/٣٧.

فمن تبسمه ﷺ وهو كثير في حواراته الدعوية فالأعرابي الذي جاء إليه وجبذه حتى آذى عاتقه ﷺ، فما زاد «أن ألتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء»^(١).

وجرير (رضي الله عنه) يقول عن ديمومة هذه الإبتسامة الصادقة منه ﷺ: «ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ولا اراني إلا تبسم في وجهي»^(٢).
فالذي يظهر من هذه الأحاديث وغيرها إنه ﷺ في معظم أحواله يكون مبتسماً.

والإبتسامة الصادقة بالغة التأثير في جذب المحاورين، والرسول ﷺ مع ديمومة إبتسامته يقول منبهاً لأهميتها لعامة المسلمين «تبسمك في وجه أخيك صدقة».

وقد أثر في سيرة ابن قدامة - رحمه الله - أنه ما رأى مناظراً إلا وهو يتبسم^(٣).

ومن الترغيب الملازم للمحاور الكلمة الطيبة، والقرآن يوجه الرسول ﷺ لذلك في مواضع ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٤).

(١) البخاري مع الفتح. ك/ الأدب. باب (التبسم والضحك)، ٥٠٤ / ١٠.

(٢) البخاري مع الفتح. ك/ الأدب. باب (التبسم والضحك)، ٥٠٤ / ١٠.

(٣) انظر الذهبي. سير أعلام النبلاء، ١٧٠ / ٢٢.

(٤) طه - ٤٤ - .

فمعنى الآية قولوا لهم الطيب من القول، وحاوورهم بأحسن ما تحبون أن تحاوروا به؛ وهذا كله حض على مكارم الأخلاق فينبغي للإنسان وبخاصة المحاور المسلم أن يكون قوله لينا ووجهه منبسطة طلقاً مع البر والفاجر، والسني والمبتدع من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه؛ لأن الله قال لموسى وهارون (عليهما السلام) ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾^(١)، فالمحاور ليس بأفضل من موسى وهارون (عليهما السلام)، والفاجر ليس بأخبث من فرعون وقد أمرهما الله باللين معه^(٢) فالذي يفهم من النص الكريم إن المحاور يقول الطيب من القول، ويجب محاوره بأحسن ما يحب^(٣).

والقول الحسن هو القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به، والقول الأصل فيه أن يكون عن اعتقاد، فإذا قالوا للناس حسناً فقد أضمروا لهم خيراً وذلك أصل حسن المعاملة مع الخلق^(٤).

وجاء في أخبار السيرة وأثناء تنقله ﷺ بين القبائل يدعوهم إلى الله، إنه أتى كلباً في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى أنه ليقول: «يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم»^(٥).

(١) طه - ٤٤ - .

(٢) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢ .

(٣) انظر الألوسي . روح المعاني . ٣٠٨ / ١ . دار الفكر . بيروت .

(٤) انظر ابن عاشور . التحرير والتنوير . ٥٨٣ / ١ .

(٥) ابن كثير . السيرة النبوية ١٥٧ / ٢ .

فالقول الحسن يزيل مافي نفس القائل من الكدر، ويرى للمقول له الصفا فلا يعامله إلا بالصفا^(١).

وأحد المحاورين يستشير أحد السلف بأنه يجتمع عنده ناس ذوو أهواء مختلفة وفيه حدة فيغلظ القول، فقال: لا تفعل، يقول تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾^(٢) فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي^(٣).

وهذه كلمة حق، فتأثير الكلمة الطيبة الموزونة، الصادرة من قلب منيب، على المسلم أولى وأبقى.

وبعامة فالكلمة الطيبة، لها تأثير أثير يبلغ مداه في نفوس المحاورين: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾^(٤).

فالتوفيق للنطق بالكلمة الطيبة الموزونة الهادية المؤثرة هبة ربانية وفي القرآن تأكيد لذلك: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾^(٥).

(١) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير ١/ ٥٨٣.

(٢) البقرة- ٨٣.

(٣) انظر: القرطبي. الجامع لاحكام القرآن ٢/ ١٦.

(٤) إبراهيم (٢٤- ٢٥).

(٥) الحج- ٢٤.

فالقرآن عبر بكلمة «هدوا» كأن النطق بالكلمة الطيبة لون جليل من ألوان الهداية والتوفيق، وكان تحقيق التمسك بطيب الكلام، إنما هو من صفات أهل الاهتداء والاستقامة على الطريق^(١).

فالكلام الطيب، والقول الحسن، يتمثل في مناحي دعوية كثيرة، في الدعوة إلى الخير، ومن أخص ذلك في مقامات الحوار.

وجاء في توجيه القرآن في محاوراة أهل الكتاب: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

وأكثر من هذا، أنه يدعو إلى لين القول مع طاغية من أعتى الطغاة، مع فرعون، فينبه ويوجه تعالى كليمة موسى وأخاه هارون (عليهما السلام) بأن يلينا له في القول في مقام المحاوراة، يقول تعالى في ذلك: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾^(٣).

فهو ﷺ يحرص على طيب القول، ويوصي به، ويبدأ بذكره مع خصال عديدة توصل إلى الجنة.

(١) انظر د. أحمد الشرباصي. موسوعة أخلاق القرآن. ١٠١/٣.

(٢) العنكبوت - ٤٦ -

(٣) طه (٤٣ - ٤٤).

(٤) انظر المرجع السابق نفسه ١١٠/٣.

يقول ﷺ: «أطيب الكلام، وأفش السلام، وصل الأرحام، وصل بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام»^(١).

فما يعنيه طيب الكلام في الحديث هو مخاطبة الناس بالملاينة، والملاطفة، وتجنب الغلظة، والفضاضة^(٢)، والمحاوِر أولى الناس بهذا الخلق، واستعمال هذا الأسلوب، ليقرب النفوس ولا ينفرها.

والطيب ماتستلذه الحواس، ويختلف باختلاف متعلقه^(٣)، فطيب الكلام يعده العلماء من جليل عمل البر^(٤).

ولذلك قال ﷺ «الكلمة الطيبة صدقة»^(٥)، فهذه الكلمة الطيبة مع المحاورين، ففيها منع لكيد الشيطان، لثلا يتزع بين أطراف الحوار، إضافة إلى أنه يؤدي إلى إطفاء الخصومة، ويكسر الحدة، وإن لم يكن ذلك فإنه على أقل تقدير يوقف تطور الشر واستطارة شره^(٦).

ومن حواراته ﷺ التي تدل على طيب كلامه ومبلغ أثره في المحاورين، أنه قدم إلى مكة سويد بن الصامت الأنصاري حاجاً أو معتمراً، فتصدى له

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) حديث رقم (١٠٣٠) / ١ / ٣٤٠.

(٢) انظر المناوي. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير / ١ / ٦٨٤.

(٣) انظر ابن حجر. فتح الباري / ١٠ / ٤٤٨.

(٤) انظر المرجع السابق نفسه / ١٠ / ٤٤٨.

(٥) البخاري مع الفتح. ك/ الأدب. باب (طيب الكلام) / ١٠ / ٤٤٨.

(٦) انظر الشيخ محمد الغزالي. خلق المسلم. ٧٧ - ٨٠.

رسول الله ﷺ حيث سمع به فدعاه إلى الإسلام، فقال له سويد فلعل معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك؟» قال: مجلة لقمان - يعني حكم لقمان - فقال له رسول الله ﷺ: «اعرضها علي» فعرضها عليه فقال له: «إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى علي وهو هدى ونور».

فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن الكريم ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: «إن هذا القول حسن»^(١).

فواضح من هذا الحوار مبلغ الأثر الذي أحدثه الكلام الحسن، فقد صدر سويد بن الصامت كلامه بشيء من الاعتزاز بما معه والانتشاء بما يحمله من حكم، وبعد أن أنصت له الرسول ﷺ. وبدأ حديثه بشيء من الاستئلاف، والثناء الطيب على ما جاء في طيات أوراقه التي يكن لها إعجاباً وتقديراً فلم يخله من شيء من الثناء مفتاحاً لمغاليق نفسه فكانت النتيجة أن الرجل لان ومال لنداء الحق وأثنى عليه.

ومع أهل الكتاب كان يرغبهم بذكر ما يحبونه، فيأتون محاورين سائلين فيقول لهم ﷺ: «سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب عليه السلام على بنيه لئن حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعنني على

(١) ابن كثير. السيرة النبوية، ١٧٤/٢.

الإسلام»^(١)، وفيه قوله لهم: «فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى»^(٢).

فيخاطبهم بما يحبونه مذكراً لهم بأيامهم المشهودة، وبأسماء أحب الأنبياء إليهم، ويكرر ذلك في كل بداية جواب.

كما استخدم ﷺ الترهيب في دعوته من ذلك ما جاء في خبر حوارهِ ﷺ مع عتبة بن ربيعة وخوفه من آيات الترهيب التي وردت فيما تلاه ﷺ عليه^(٣).

وأيضاً في رسالته إلى هرقل وفيها «... فإن توليت فإن عليك إثم الآريسين»^(٤).

فهذا فيه وعيد مخيف إذ أنه إضافة إلى وزره أضاف أوزار أمة بأكملها؛ ففيه مبالغة في الاثم؛ حيث يحمل مع ذنبه ذنب الأتباع^(٥)، وفي حوارهِ مع بني يهود جاء فيه «اسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله»^(٦).

الحاصل أن هذا الأسلوب تنوع وروده في الحوارات، بغية الوصول بالمدعو إلى أفضل النتائج، وسبق بيان أثر ذلك على المدعوين.

(١) المسند. حديث رقم ٢٥١٤. ٣١١/٤.

(٢) نفسه والمدرك نفسه.

(٣) انظر: القصة في ص: ٤٠٩ من هذا المبحث.

(٤) صحيح البخاري. ك/ بدء الوحي. باب (٧) ٣٧/١.

(٥) انظر: ابن حجر. فتح الباري، ٣٩/١.

(٦) البخاري مع الفتح، ك/ الجزية والموادعة، باب (اخراج اليهود من جزيرة العرب)، ٢٧٠/٦.

الفصل الرابع

معوقات نجاح الحوار النبوي

- المبحث الأول : التعصب للميراث الفكري .
- المبحث الثاني : حب الشرف والرئاسة .
- المبحث الثالث : التكبر والغرور .
- المبحث الرابع : الجدل والمراء .
- المبحث الخامس : الإنتصار للنفس .

المدخل:

مما تكشفه النصوص القرآنية والنبوية أن طريق الدعوة طريق صعب محفوف بمؤثرات خطيرة ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(١).

في أول السورة الكريمة ومبدأها بهذه الصيغة الاستفهامية المؤثرة «أحسب»، فهو استفهام انكار^(٢) وتقريع وتوبيخ^(٣).

يقول ابن كثير «ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان»^(٤).

واستدل رحمه الله بقوله ﷺ «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء»^(٥).

فالإيمان لا بد أن يمتحن الله صاحبه بأنواع المحن، حتى يبتلى صبرهم،

(١) العنكبوت - ٢ - .

(٢) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٥٣٦/٣ (مرجع سابق).

(٣) انظر الإمام أحمد بن علي الشوكاني . فتح القدير ١٩٢/٤ . دار الفكر .

(٤) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ٥٣٦/٣ (مرجع سابق).

(٥) المسند ١٧٢/١ .

وثبات قدمه، وقوة اخلاصه، وصحة عقيدته^(١)، فيظهر المدعي من الصادق، والراسخ المخلص في دينه من المضطرب^(٢).

ومن الملاحظ أنه بعد آيات يقص القرآن جملاً عما وقع للأمم السابقة من محن وفتن لرسولهم ودعاتهم فعند ذكره تعالى لخبر نوح عليه السلام مع قومه بقول الشوكاني «أجمل سبحانه قصة نوح تصديقاً لقوله ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ وفيه تثبيت للنبي ﷺ»^(٣).

وعلاقة ذا بموضوع البحث محل الدراسة، أنه إذا كان عامة المؤمنين تحيط البلاءات بهم لامتحانهم وتمحيصهم ففي الدعوة هي أشد وأقوى لأنهم أقرب الناس للأنبياء وهم ورثتهم وحملة المهمة من بعدهم.

فالمحاور المسلم لا بد أن يعي ذلك ويحسب حسابه، فهذا يهيء نفسيته عند الصدمات بما يقابله من المدعويين، فلا تحدث ردة فعل تعيقه من السير في هذا الطريق.

(١) انظر الزمخشري . الكشاف . ٣ / ١٩٥ . وانظر القاسمي . محاسن التأويل . ١٣ / ١٣٦ .

(٢) انظر الزمخشري . الكشاف ٣ / ١٩٥ .

وفي ذلك عبرة وتثبيت للمؤمنين في هذا الزمان، ليثبت المؤمن عند الزلازل والقلاقل، حسيه ومعنوية فلا يتضعضع في أول الطريق، ويختل فكره، وتنهار نفسه، فهذا الشمن المناسب للايمان، وهل نعمة الإيمان قليلة؟ وهل ثمراتها وآثارها على المؤمن، في أسلوب حياته كله تقدر بشمن وتمحسب بحساب؟ يتطايير الناس كل إلى ظنه وعزوته، ومن تكون؟، أما المؤمن فإن إيمانه حصن حصين إذ يلجأ ويستند إلى الله العلي القدير.

(٣) الشوكاني . فتح القدير ٣ / ١٩٦ .

فما المعوقات؟ وكيف جاء التنبيه لها في أخبار الدعوة النبوية؟ وما أهم المعوقات من خلال الحوارات النبوية؟.

فما المعوق؟

في كتب اللغة ومطائنها تدل على ما يلي:

- ١ - الأمر الشاغل، وعوائق الدهر: الشواغل من أحداثه^(١).
- ٢ - العائق: الصارف عما يراد من خير؛ ورجل عوق يعوق الناس عن الخير^(٢).

وقد جاء في التنزيل ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣).

- ٣ - وذكروا أنه: ما يعوق انتشار البذور أو الثمار أو النبات من العوامل^(٤).

٤ - ويدل على الاقتناع والتشيط^(٥).

فالدلالة واضحة في معنى المعوق؛ فهو يعني الشاغل والصارف، ومنع انتشار الخير.

(١) انظر ابن منظور. لسان العرب، مادة (عوق).

(٢) انظر الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن ٣٥٣.

(٣) الأحزاب - ١٨ - .

(٤) انظر المعجم الوسيط. مادة: (عاقه).

(٥) انظر ابن منظور. لسان العرب مادة: (عوق). وانظر المعجم الوسيط. مادة: (عاقه).

والمعوقات المعنية محل البحث هي : «الصوارف المانعة من الاستجابة للحوار الدعوي، فهذا التعريف شامل للعوائق التي تحول بين الداعي وبين الوصول إلى النتائج المرجوة الخيرة بين كافة المدعويين سواءً من باشرتهم الدعوة أو من ورائهم .

فإن الرسول الكريم ﷺ، كان يحاور أناساً ويتحدث مع أشخاصهم وهو يتغيا وصول الدعوة إلى أبعد من ذلك .

المعوقات في العهد النبوي:

من خلال استقراء النصوص الدعوية المستقاة من سيرته ﷺ، وأخبار دعوته، فإنه يتبين أنه (عليه السلام) نُبِّه وتنبَّه للشواغل والصوارف التي قد تعوق دعوته (عليه السلام).

ففي حوارهِ ﷺ بعد نزول الوحي يعرض ذلك على ورقة بن نوفل فيقول له: «يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم؛ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»^(١).

فأمر الدعوة أمر صعب المراس، فاستعد لما سوف ينالك من الأذى، وقال له ذلك ليوطن نفسه ويستعد له فتخف مشقته عند الوقوع^(٢)، وتدرج مواقف الإعاقة؛ فحينما أمر ﷺ بإعلان الدعوة والإنذار، يجمع قومه ويدعوهم إلى الله في حوار، فينبري له أبو لهب فيقول: «تبأ لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟»^(٣).

وفي خبر المرأة صاحبة المزادتين، يحاورها الصحابة الكرام، ويأمرونها أن تذهب معهم إلى رسول الله ﷺ فترد وتقول متشعبة بما وصلها عن

(١) صحيح البخاري مع الفتح. ك/ بدء الوحي. باب (٣). ٢٣/١.

(٢) مكمل إكمال الإكمال. ١/ ٤٨٥، الأبي.

(٣) صحيح البخاري ك/ التفسير، باب (سورة تبت يدا أبي لهب)، حديث رقم [٤٩٧١]، ص: ٤٣١.

الرسالة والرسول «الذي يقال له الصابي»^(١).

فهذه امرأة بأقصى البادية، ومنعزلة عن قومها فتقول بدون تردد أو وجل هذه المقالة التي أطلقها كبراء الإعاقة بمكة، حينما كانوا يحاربون الدعوة فيسيرون مع الرسول ﷺ فإذا دعا أحداً إلى الإسلام قالوا: إنه صابي، بل عمه يتبعه في كل محفل ويقول لا تصدقوه إنه صابي^(٢).

ولمبلغ خطورة هذا الحائل فإن المرأة بعد أن شاهدت الرسول ﷺ وشاهدت المعجزات البيّنات على يديه، فما بلغت حد الاقتناع التام بأنه رسول الله بل تقول لقومها بعد تردد واحتباس عنهم حتى سألوها عن سبب احتباسها فقالت بعد ذلك كله «لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الرجل الذي يقال له الصابي، ففعل كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر الناس من بين هذه وهذه (تعني السماء والأرض) أو أنه لرسول الله حقاً»^(٣).

فهذا الخبر يكشف بحق مبلغ الأثر الذي يحدثه عائق من العوائق فكيف بما عدا ذلك؟

وعن شخصيته وحمله للرسالة، إذ ذهب إلى الطائف فدعا كبرائها إلى

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح ك/ التيمم باب: (الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه عن الماء) ٤٤٨/١.

(٢) انظر ابن كثير. السيرة النبوية ١٤٦/١ (مرجع سابق).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٤٤٨/١.

الله ، وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال أحدهم وهو يمرط ثياب الكعبة : إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك؟

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً؛ لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك^(١) .

هل بعد ذلك ايضاح؟ فهؤلاء مثال ، من يصبر ويتحمل كل هذه الحرب النفسية المركزة من أصحاب الطول والحول بين أتباعهم .

وإذا كان هذا حال هؤلاء فما بالك بأتباعهم الذين يقتفون أثرهم؟ .

يقول ابن كثير في تمة الخبر : « وأغروا به سفاهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه . . . »^(٢) .

فإذا لم يقبلوا منه ، وأصابوه بسهام نفسية مؤذية ، ثم انتهى الأمر إلى أن يعلن ذلك على صناديد مكة الأعداء أصحاب السبق في الأذية والسخرية فابنا ربيعة كانا في البستان الذي لجأ إليه .

(١) انظر ابن كثير . السيرة النبوية . ١٤٩/٢ .

(٢) المرجع السابق ١٥٠/٢ .

فكلمة واحدة تعدت وطارت في الآفاق وعلى ألسنة الناس في وصف
الرسول الكريم ﷺ فكيف بما بعدها من مواقف صارمة جادة في تغييب
معالم الحق ومحاولة طمسه، وإذلال من ينصره ويعينه .

وزبدة القول أن الرسول الكريم ﷺ في محاولة وصوله إلى نفوس الناس
وعقولهم اعترضته عقبات متنوعة وهذا يعني أن المعوقات كثيرة بكثرة الناس
واختلافهم في كل شيء في أخلاقهم وطبائعهم، ومعيشتهم، وأماكنهم،
ومقاماتهم .

ولذا فإن البحث سوف يركز على أهم المعوقات التي حالت بين الرسول
ﷺ وبين المدعوين أثناء دعوته .

المبحث الأول
التعصب للميراث الفكري

التوطئة:

وإن اختلفت المواقف وتفاوتت في حدتها وفي بعدها، فإن هذا المانع أو العائق يمثل العقبة الكبرى، الكؤود أمام استقبال نداء الحق وحوار الدعاة، وليس في زمن الرسالة المحمدية فقط، وإنما هو قديم بقدم الرسالات.

يقول تعالى بعد أن بين حال أمم تتلوها أم لا يحصيهم إلا الله ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

أفي وجود الله شك؟ اسألوا فطركم؟ شاهدوا مخلوقاته وآياته العظيمة؟ انظروا وتبصروا إلى أي شيء يدعوكم؟ إذن لا شريك له بالعبادة والإلهية فهل تشكون في ذلك؟ وأنتم مقرون وغيركم بالخالق، ولكنكم تتخذون الشفعاء والوسطاء^(٢)، فكل ذلك يلزمهم ويحجهم ومع ذلك يعتذرون بأن هذا صد عما كان عليه الآباء.

وفي موضع آخر يقول تعالى حكاية عنهم ﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا

(١) إبراهيم - ١٠ - .

(٢) انظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٦٩١/٢. والقاسمي. محاسن التأويل ١٠/

كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اثْبُوتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١﴾ ، أي أنشروهم أحياء
ومن؟ إنهم آباؤهم من شدة التعلق بهم ، وبعد ذلك نصدق أن هناك
بعثاً^(١٢) .

فهذه شذرات مجملة عن مبلغ تعلق كثير من الأمم بأسلافهم وبما توارثوه
عنهم ، وإن اشتهر العرب وخاصة في جاهليتهم بتعلقهم بالآباء فإن الميراث
لا يقتصر فقط وينحصر في ذلك .

بل أصناف أخرى في زمن الرسالة من المدعوين تعلقوا بكبرائهم من
أحبار ورهبان ، وبين من يزعمون أنهم أهل كتاب .

إنه من التعصب الكريه أن يجمد المرء على فكرة وصلت إليه بطريقة ما ؛
فلا يقبل لها مناقشة ، ويرفض أن ينظر في أي رأي آخر يعرض عليه ، بل إنه
يعجز عن استبانة الرأي الآخر ، وما فيه من حق ، فاستغلق على كل
جديد^(٣) .

ومن نوع هذا التعصب تقليد كثير من الكافرين السابقين
واللاحقين ، فيما أكده وحكاه القرآن الكريم عنهم ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم
مُقْتَدُونَ ﴾^(٤) .

(١) الجاثية - ٢٥ .

(٢) انظر القاسمي . محاسن التأويل ١٤ / ٣٩٥ .

(٣) انظر محمد الغزالي . الحق المر . ١٠٨ . دار الجليل . بيروت (ط : ٢) ١٤٠٧ هـ .

(٤) الزخرف - ٢٣ .

فدين كثير من المنكرين مبني على أصول، أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار من الأولين والآخرين، فكانوا في ربة هذا التقليد لا يحكمون لهم رأياً، ولا يشغلون فكراً، ولذلك تاهوا في أودية الجهالة، والتعصب لما كان عليه المتبوعون^(١).

والعرب كانوا في جاهليتهم يمثلون أشد الأصناف في تقليد الأسلاف. ومن أوضح الأدلة عليه في حواراته ﷺ قصة أبي طالب، فهذا الرجل دافع عن الإسلام ونبي الإسلام، وبذل ما في وسعه في حماية الدعوة ورد الأذى عنها، يضاف إلى ذلك أنه كان ممن يعرف برجاحة العقل ورزاقته.

زبدة القول: أن جميع الفرص توافرت لإسلامه. ومع هذا كله لم يسلم وقد حرص الرسول ﷺ وألح عليه أن يقول لا إله إلا الله.

ف فعل التقليد ما عجزت عنه كل هذه العوامل الكبيرة ونسف كل خير، فالعقيدة وإن كانت فاسدة، وكانت قوية السلطان، غلبت العقل والفؤاد، فأصر عليها من كان أولى به أن يعافها ويكرهها.

وهذه حقيقة موقف أبي طالب في حوار الرسول ﷺ معه يدعو إلى توحيد الله، وهاذا ما تركز عليه الحوار، فقد جاء في البخاري «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فقال: أي عم. قل لا إله إلا الله كلمة

(١) انظر شيخ الإسلام. محمد بن عبد الوهاب. مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ٨.

أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية : أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : على ملة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله^(١) .

وفي رواية أخرى أنه قال : «يا ابن أخي ملة الأشياخ»^(٢) ، فيلاحظ أن الرسول الكريم ﷺ حرص في حوارهِ ودعوته أن يبذل كل وسيلة لنقل عمه إلى الإسلام ، فابتدأ قوله «أي عم» يذكره بصلة القرابة والعمومة وصلة القرابة في العرب لها شأن كبير ؛ فهذا مدخل نفسي له تأثيره ، فأنت عمي استمع أريد الخير لك .

ثم إنه واضح من خلال الخبر أنه كرر هذا مراراً وفي ذلك حرص من الداعي ، وثم لعله في أحد هذه المرات تتضح مغاليق نفسه ، فالهداية من الله سبحانه وتعالى المقصود هداية التوفيق .

ففي هذا توجيه للدعاة بأن لا يأسوا من الدعوة ، وأن يستمروا فيها .

فتأثير هذه العلة يبلغ مداه ، فمعها لا عقل يعمل ولا روية وحسن نظر .

فالرسول الكريم ﷺ لم يزل يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة ، حتى

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ التفسير . باب (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) ٥٠٦/٨ .

(٢) انظر : فتح الباري ٥٠٧/٨ .

قال أبو طالب آخر ما كلمهم : على ملة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله .

ولبلغ هذا التأثير بمن سلف يذكر ابن حجر (رحمه الله) في شرحه لقوله يعيدانه بتلك المقالة «أي يعيدانه إلى الكفر بتلك المقالة ؛ كأنه قال كان قارب أن يقولها فيردانه»^(١) .

فقد بالغوا بالوسوسة له وتذكيرهم بعبدالمطلب ، فهم يعرفون ماذا يعني هذا الاسم له ، فهو سيد قريش وكبيرها الذي يصدر عن رأيه وبه تضرب الأمثال ، وبأخباره تسير الركبان .

فإذا تمكن هذا الداء منه ، حتى وافته المنية ، وهو يردد في نفسه اسم أبيه . فالإنسان لحظات وفاته يردد ما هو مستقر بما في نفسه ، وقد جاء في الخبر ما يدل على ذلك قوله «لما حضرت أبا طالب الوفاة» . وقوله «آخر ما كلمهم» .

ففي ذلك دلالة على أن التقليد وإن كانت بدايته سلوكاً اجتماعياً ، فهو مع الزمن يتحول إلى دافع نفسي يستكن ويتمكن في النفس .

ففي أول الأمر يكون اختيارياً معللاً بأسباب ومبررات ، ثم لا يلبث أن يتحول إلى علة نفسية قهرية ، فالرسول الكريم ﷺ يردد بحرض اسم الله ويكرر تلقينه الشهادة ، ومع هذا نطق باسم أبيه وترك اسم الله ؛ لشدة

(١) فتح الباري ٨ / ٧٠٥ .

تعصبه لما ورثه عن أسلافه .

وليست هذه العلة لدى أبي طالب وحده، بل متفشية بين العرب كلهم، وما هو إلا أنموذج، وقف عنده لما تضمنه من حوار، ولشهرته ومبلغ دلالاته على الإعاقة والتعصب، ولمعرفة تفاصيل هذا الخبر وما أحاط به من دلالات واضحة المعالم في هذا العائق .

فإذاً هو داء قد تفشى بين العرب، وأكد هذا القرآن الكريم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(١) .

فهو الذي تقلدوه من ساداتهم وكبرائهم، إذ يخبر سبحانه عن جهالة العرب في تعصبهم لما ورثوه من نحل وعادات، فأحتجوا بأنه أمر وجدوا عليه آبائهم فاتبعوهم في ذلك، وتركوا ما أنزل الله على رسوله وأمر به في دينه^(٢) .

وهذا الموروث الفكري الذي تعصبوا له كان حائلاً مستطيلاً بينهم وبين وصول الحوار النبوي بهم إلى طريق الرشيد، فكثيراً ما يرددون في حواراتهم مع الرسول ﷺ بأنه يسفه من سلف من آبائهم يقول له عتبة في معرض حوارته معه «يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ أنت خير أم عبد المطلب . . . حتى قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا

(١) البقرة - ١٧٠ - .

(٢) انظر القرطبي . الجامع لاحكام القرآن ٢ / ٢١١ .

الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم إنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك»^(١).

وهذا الصحابي الكريم عمرو بن العاص (رضي الله عنه) وهو من عرف بذكائه واشتهر بقدرته العقلية الفذة، منذ الجاهلية، حتى أن قريشاً انتدبته رسولاً لها إلى النجاشي، ليرجع من فر إليها من المسلمين^(٢).

الشاهد أن عمرواً قال له قائل: «ما ابطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك، قال: كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن يوازي خلوبهم الخيال، فلما بعث النبي ﷺ أنكروا عليه فلذنا بهم فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا فإذا حق بين وقع في قلبي الإسلام، فعرفت قريش ذلك مني من ابطائي، عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه فبعثوا إلي فتى منهم، فناظروني في ذلك»^(٣).

وفي حواراته الأولى مع صناديد مكة عند أبي طالب حاورهم فدعاهم إلى توحيد الله فقال أبو جهل: «نعم وأبيك وعشرة كلمات، قال ﷺ: «تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه».

فصفقوا بأيديهم. ثم قالوا: يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟

(١) انظر ابن كثير. السيرة النبوية ١/ ٥٠١.

(٢) المسند ٣/ ٢٦٣.

(٣) ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٢. دار الكتاب العربي بيروت.

إن أمرك لعجب .

ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكُم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا^(١) .

فمن حيث العقل والقدرة على التفكير ، فقد حازوا على السبق فيه ، مما يعني توفر العوامل التي تعين على وزن أمر الدعوة وتقبلها إن كانت حقاً ، ولكن استمروا في كفرهم فالأول ماتوا والآخرون تأخر إسلامهم ، وما ذلك إلا بسبب التعصب لما كان عليه المتبوعون من موروث فكري ويؤكد ذلك قوله «وكانوا ممن يوازي خلوبهم الختال» فهذا عمرو وذكائه وفطنته حتى ضرب به المثل ومع هذا يشهد لهم بل ويقرر إنه انزوى خلفهم وفق ما يقررون .

وابن القيم - رحمه الله - يعد ذلك من أقوى الأسباب المانعة من قبول الحق ، فهو يرى إنهم ألفوا وربوا ما كان عليه آبائهم ومن يعظمونه^(٢) .

وكان ذلك في معرض بداية حديثه وحواره مع النصارى وهم من أصناف المحاورين زمن الرسالة المحمدية وقد كان أيضاً تعصبهم لأسلافهم متمثلاً في ما ورثوه من ديانة باطلة محدثة وهذا واضح في حواراته ﷺ

(١) ابن كثير . السيرة النبوية ١٢٤ / ٢ .

(٢) انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ص : ١٦ ، مؤسسة مكة للطباعة (توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) .

معهم فهذا عدي بن حاتم - رضي الله عنه - يقول « أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال : يا عدي اطرح عنك هذا الوثن » وسمعتة يقرأ في سورة براءة ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَأِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(١) ، قال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ؛ ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه^(٢) ، فتلك عبادتكم إياهم فهي نقلة في صنف المقلدين هم رجالات الدين من النصارى الذين يحرمون ويحللون على حسب أهوائهم .

ولذا يرى ابن القيم - رحمه الله - أن أكثر النصارى مقلدون وفي حوار جعفر الطيار - رضي الله عنه - مع النجاشي - رحمه الله - إذ وصل الحق له ، وعرفه قال يؤيد ما قاله جعفر في حقيقة المسيح وأمه ، ما عدا عيسى ابن مريم - عليه السلام - ما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقتة حوله حين قال ما قال فقال : وإن نخرتم والله .^(٣)

فهم مستمرون في عبادة الصليب وما كان الأسلاف عليه من ضلال وانحراف .

(١) التوبة - ٣١ - .

(٢) صحيح سنن الترمذي باختصار السند . أبواب تفسير القرآن (سورة التوبة) ٥٦ / ٣ .

(٣) المسند ٢٦٧ / ٣ .

ولذا يقول ابن القيم عن تعصبهم لباطلهم «ولما عرف النجاشي ملك الحبشة أن عباد الصليب لا يخرجون عن عبادة الصليب إلى عبادة الله وحده اسلم سرّاً، وكان يكتُم إسلامه بينهم هو وأهل بيته».

فالقناعة جاءت بعد حوار وسؤال مع جعفر - رضي الله عنه - بين فيه حقيقة الإسلام وما يدعو إليه، وجاء في الحديث أنهم بعد أن سمعوا آيات من القرآن تلاها بكوا حتى اخضلوا لحاهم.

ثم بعد ذلك وفي الحوار الذي يليه وفيه ذكر حقيقة المسيح عليه السلام نخروا وارتدوا على أعقابهم.

الشاهد أن هذا دليل على أن التعصب لما كان عليه الأسلاف من أفكار منحرفة في حقيقة بشرية عيسى عليه السلام، قد عاقهم عن قبول الحق.

وفي حوارهِ المكتوب ﷺ مع هرقل عظيم الروم تدل جملة الخبر أنه صدق ما جاءه، وكتب إلى صاحب له عالم بالكتاب ووافقه بأنه الرسول الذي سوف يخرج ومعلوم عندهم، فجمع هرقل عظماء الروم ودعاهم إلى متابعة النبي ﷺ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي وقال: إني قلت مقالتي أنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت؛ فسجدوا له ورضوا عنه^(١).

فما المراد بقوله «شدتكم على دينكم»..؟ إلا أنها العصبية البالغة لما كان

(١) البخاري مع الفتح . ك/ بدء الوحي . باب (٧) ٣٢/١، ٣٣.

عليه أوائلهم من انحراف استمروا عليه بلا تمحيص وتدقيق .

فإذا تغلبت على الإنسان فكرة فتجتاز عقله وتسيطر عليه ، وتمنعه من أن تصل إليه فكرة تناقضها ، أو خاطرة تنازعها ، وتهتاج أعصابه ، وتثور ثورته إن هوجم فيها ، فحيثما كان التعصب لزمته المكابرة والمعاندة للحق ، وقد يخفى على الإنسان موضع التعصب في نفسه ، وقد يتبين له الحق إذا راجع نفسه وحاسبها حساباً دقيقاً صادقاً^(١) .

فهرقل حينما أعمل فكره وتدارس مع صاحبه في العلم أقرروا أنه نبي مرسل صادق فيجب إتباعه ونبذ ما سوى ذلك ولكن عامة رجالات الدين تعصبوا لباطلهم .

فكان هذا التعصب للموروث مانعاً لهم من التفكير في الحق والاعتراف ثم الإيمان به ، إذ كان الأولى أن يتيحوا الفرصة لعقولهم بالتدبر والتفكر في أمر هذه الرسالة وحقيقتها ، ولكن هذا العائق منعهم ابتداء من النظر والمناظرة بحق في هذا الأمر .

(١) انظر محمد أبو زهرة . تاريخ الجدل . ١١ (مرجع سابق) .

المبحث الثاني
حب الشرف والرئاسة

١. - : التعريفات:

أولاً: كلمة (حب).

وهي تدل على:

١ - نقيض البغض .

٢ - الميل إلى المحبوب .

٣ - الوداد والصدقة .

٤ - لزوم المكان^(١) .

يقول الراغب^(٢) في تفسير هذه المادة إذ يرى المحبة بأنها «إرادة ماتراه أو تظنه خيراً، وهي على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: محبة اللذة كمحبة الرجل المرأة ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً﴾ .

الوجه الثاني: محبة للنفع كمحبة شيء ينتفع به ﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾ .

الوجه الثالث: محبة للفضل كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم .

(١) انظر ابن منظور . لسان العرب . مادة «حب» .

(٢) الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن ١٠٥ (مرجع سابق) .

ثانياً: كلمة «الشرف» وهي في اللغة تدل على:

- ١ - الحسب بالآباء
- ٢ - تقدم الآباء في الشرف .
- ٣ - كل ما نشز عن الأرض .
- ٤ - واستعمل في القوآن فأشرف آية آية الكرسي^(١) .

ثالثاً: كلمة «الرئاسة»، ولها في اللغة مدلولات واضحة من أهمها:

١ - رأس كل شيء أعلاه .

٢ - العظمة .

٣ - الكثرة، والعز .

٤ - سيد القوم .

٥ - التقدم .

٦ - الشرف^(٢) .

ومن جملة المعاني اللغوية يتضح المراد من هذه المعاني، ومبلغ لزومها لمادة هذا المبحث، والمعنى المراد هو «الرغبة في السيادة والشرف على الآخرين» .

(١) انظر المعجم الوسيط مادة «شرف» وابن منظور . لسان العرب . مادة «شرف» .

(٢) انظر ابن منظور . لسان العرب . مادة «رأس» .

حب الشرف والرئاسة من خلال الحوارات

الواردة في القرآن والسنة

ومن أوضح النصوص في ذلك ما ذكره تعالى عن خبر موسى (عليه السلام) وفرعون إذ من سياق الحوار القرآني في خبرهما أن فرعون يتهم موسى (عليه السلام) بأنه يريد الاستئثار بالكبرياء .

يقول الله تعالى حكاية عن ذلك : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٨) ^(١) ، فالنص الكريم يكشف حقيقة امتناعهم وهي خشيتهم على العظمة والرئاسة في الأرض أن تزول منهم وتكون لموسى وهارون ^(٢) فهما لا يريدان صلاحاً للمدعوين وإنما غرضهما من هذه الدعوة الاستحواذ على سيادة مصر بالحيلة ^(٣) .

وفي موضع آخر تبين ذلك الحب للترأس إذ يقول تعالى : ﴿ فَقَالُوا أَنْزُلْنَا لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ (٤٧) ^(٤) أي وهم من فريق هم عباد لنا

(١) يونس - ٧٨ - .

(٢) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٦٦١ / ٢ .

(٣) انظر ابن عاشور . التحرير والتنوير ٢٥٢ / ١١ .

(٤) المؤمنون - ٤٧ - .

وأحط منا فكيف يسوداننا^(١).

وعن قوم نوح (عليه السلام) أيضاً جاء في حوارهم ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾^(٢) «فإن سادة القوم ظنوا أنه ما جاء بتلك الدعوة إلا حباً في أن يسود على قومهم فخشوا أن تزول سيادتهم وهم بجهلهم لا يتدبرون أحوال الناس ولا ينظرون مصالح الناس ولكنهم يقيسون غيرهم على مقياس أنفسهم فلما كانت مطامح أنفسهم حب الرئاسة والتوسل إليها بالانتصاب لخدمة الأصنام؛ توهموا أن الذي جاء بابطال عبادة الأصنام إنما أراد منازعتهم سلطانهم»^(٣).

فعاقهم عن قبول الحوار أنهم يتهمونه إنه يريد أن يكون أفضل الناس لأنه نسبهم كلهم إلى الضلال^(٤).

وفي السنة يبرز هذا العائق بوضوح فيحول بين المحاورين وبين قبول الحق.

(١) المرجع السابق نفسه ٦٥ / ١٨ .

(٢) المؤمنون - ٢٤ - .

(٣) ابن عاشور . التحرير والتنوير ٤٢ / ١٨ .

(٤) انظر المرجع السابق نفسه ٤٢ / ١٨ .

فأهل الشرف والرئاسة لا ريب أنهم يمتازون بمميزات مادية، وأدبية،
وسياسية، واجتماعية، فمزلتهم إذاً هي العالية ومنزلة غيرهم هي الدون.
والاستجابة للداعي تعني بالنسبة لهم التنازل عن كل سيادة وعظمة،
وتعني مساواتهم بغيرهم من عامة الناس.

وكثيرة هي الأخبار التي تؤكد ذلك، إذ جاء في السيرة أن رأساً من
رؤوس نجران كاد أن يسلم بعد محاورته الرسول ﷺ فما الذي منعه؟ يقول
مبيناً ذلك بنفسه «ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا، ومولونا، وأخدمونا،
وقد أبوا إلاً خلافه ولو فعلت نزعوا منا كل هذا»^(١). إذاً الذي منعه من
الاستجابة للحق مخافة أن ينتزع منه الشرف.

وكانت للأخبار رياسة ومكاسب، فخافوا إن بينوا الحق أن تذهب
مآكلهم ورياستهم^(٢).

وفي الحوار المكتوب مع هرقل عظيم الروم، إذ كاد أن يسلم وبين
احترامه وتقديره للنبي ﷺ حتى قال «فلو أنني أعلم إنني أخلص إليه
لتجشمت لقائه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه»^(٣).

وقال هو عن سبب امتناعه عن قبول الحق «إن فعلت ذهب ملكي وقتلني
الروم»^(٤).

(١) ابن كثير. السيرة النبوية ١٠٧/٤.

(٢) انظر القرطبي. الجامع لاحكام القرآن ٩/٢.

(٣) البخاري مع الفتح. ك/ بدء الوحي. باب (٧) ١/٣٢.

(٤) ابن حجر. فتح الباري ١/٣٧.

وأبو جهل يقول «إني لأعلم إنه لنبي، ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعاً»^(١).

وعامر بن الطفيل وهو رأس من رؤوس العرب يقول «والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش»^(٢).

فهؤلاء يتوهمون أن الحق الذي دعوا إليه يحول بينهم وبين جاههم وعزهم وشهواتهم وأغراضهم.

وبعض صناديد قريش يجتمعون سرّاً لسماع القرآن فيرون بعضهم ويتعاهدون على عدم العود لمثل ذلك، ويعودون^(٣).

فيأت أحدهم لأبي جهل في بيته محاوراً له في حقيقة الرسالة والرسول ﷺ فيرد مبرزاً العائق لديه بقول «تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف اطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع به ولا نصدقه»^(٤).

(١) ابن كثير . السيرة النبوية ٢/٢٠٨ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٤/١٠٩ .

(٣) انظر ابن كثير . السيرة النبوية ١/٥٠٥ .

(٤) المرجع السابق نفسه والمدرك نفسه ١/٥٠٦ .

وفي القرآن تصديق لذلك فعند قوله تعالى: ﴿ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُرُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ (١)، «أي يريد محمد بدعوته الشرف والاستعلاء عليكم» (٢)؛ وأن يكون له منكم أتباع ولسنا نجيبه إليه (٣)، وهذه نزلت بعد حوار جرى بينه ﷺ وبين صناديد مكة فكان هذا العائق سبباً في صدودهم وشرودهم عن الحق.

وفي حوار تفصيلي يبين أن رأس النفاق عبدالله بن أبي منعه حب الرئاسة من الاستجابة للحوار، فقد جاء أنه ﷺ «مر بمجلس فيه عبدالله بن أبي، وذلك قبل أن يسلم عبدالله بن أبي فإذا في المجلس أخلاطاً من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبدالله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبدالله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: قال تغبروا علينا فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبدالله بن أبي ابن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذينا به في مجلسنا ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبدالله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا، فأنا نحب ذلك. فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتشاورون، فلم يزل النبي ﷺ يُخفضهم حتى سكنوا.

(١) ص-٦-.

(٢) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ٣٦/٤.

(٣) انظر: المباركفوري، تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي. ١٠١/٩.

ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار، حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي ﷺ: يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا. قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعفُ عنه واصفح عنه فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطلح أهل هذه البُحيرة على أن يتوجوه فيعصبونه بالعصاة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك - فذلك فعل به ما رأيت!«^(١).

فقد رفض الحق من خلال حوارهِ مع الداعي ﷺ وتبين بشهادة بني قومه أن العائق الرئيس هو حبه للرئاسة والملك، إذ كاد قومه أن يتوجوه ملكاً عليهم لولا مقدم الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة. فهو يرى أن الرسول ﷺ قد استلبه ملكه^(٢).

فحب الرئاسة قعد به عن قبول الحق إذ حسد حامل الحق وعن مبلغ هذا الحسد جاء في الخبر قوله فشرق بذلك؛ وهو كناية عن مبلغ الحسد يقال: تمص بالطعام وشجى بالعظم وغص بالماء، إذا اعترض شيء من ذلك في الحلق فمنعه الإساغة^(٣).

(١) البخاري مع الفتح. ك/ التفسير. تفسير سورة آل عمران (١٥). باب (٢٥) ٨/ ٢٣٠، ٢٣١.

(٢) انظر ابن هشام. السيرة النبوية ٢/ ١٦٨.

(٣) انظر ابن حجر. فتح الباري ٨/ ٢٣٢.

وعدي بن حاتم - رضي الله عنه - يبين في بداية سوقه لخبره مع دعوة الإسلام فيقول «ما رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله حين سمع به مني ، أما أنا فكنت أمرء شريفاً وكنت نصرانياً وكنت أسير بالمرباع وكنت في نفسي على دين وكنت ملكاً في قومي لما كان يصنع بي ؛ فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته»^(١) ، فجمع الشرف والرئاسة والملك وكان يأخذ ربع الغنيمة من قومه ؛ فهذا حال بينه وبين أن يستجيب لداعي الحق ، إذ شاع بين القبائل العربية أمر الرسالة جراء انتشار الخبر من المحاورين الذين كان لهم لقاء مع الرسول ﷺ أو مع سفراء الدعوة .

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣١٣ / ٤ ، والخبر في المسند مع اختلاف في الالفاظ ، ٢٥٨ / ٤ .

المبحث الثالث
التكبير والغرور

المطلب الأول: التكبر

أولاً: تعريف التكبر:

أ - : تعريف التكبر في اللغة.

لقد أسهب اللغويون في تعريف مادة «كبر» وذكروا لها مدلولات عديدة من أزمها:

١ - يدل على العظمة .

٢ - الملك والرفعة .

٣ - الشرف والتجبر .

وقد أشاروا إلي ما يفيد معناه في الإصطلاح وإلى أثره الذي ينتهي إليه ؛ ومن ذلك ما ذكره ابن منظور إذ يقول «واستكبار الكفار: أن لا يقولوا لا إله إلا الله، وهذا من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١) (٢) .

ب - : تعريف التكبر في الإصطلاح:

جاء ذكر الكبر ومعناه في حديث صحيح، وهو قوله ﷺ «الكبر بظـر

(١) الصافات - ٣٥ . .

(٢) انظر: ابن منظور . لسان العرب مادة «كبر»، وابن فارس معجم مقاييس اللغة . مادة «كبر»، والمعجم الوسيط . مادة «كبر» .

الحق وغمط الناس»^(١).

وكل تعريف بعده، فهذا الحديث سنده ومحوره ومردده، فقد عرفه العلماء بحسب تخصصاتهم وتوجهاتهم.

فعند المفسرين ذكر القرطبي^(٢) بأنه: الاستعظام، وابن عاشور^(٣) ذكر أنه «العظمة وإظهار التفوق على الناس».

وغيرهم أشار إلى أثره وموضعه النفسي من هؤلاء الغزالي في الإحياء^(٤)، والجاحظ في تهذيب الأخلاق^(٥).

٢- : أقسام التكبر:

من الحديث السابق يتبين أن التكبر قسمان:

١- التكبر على الحق.

٢- التكبر على الخلق.

فواضح من التقسيم أنهما متفاوتان في الدرجة وفي الأثر وفي الحكم، فمن يدفع الحق ويرده فهو متكبر على الله ورسله والدعاة إلى سبيله، وإن

(١) صحيح مسلم. كتاب (صفات المنافقين) باب (الكبر والتحذير منه).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٢٩٦/١.

(٣) التحرير والتنوير، (٢٥٢/١١).

(٤) إحياء علوم الدين، (٣٢١/٣).

(٥) تهذيب الأخلاق. دار الصحابة للتراث (ط: ١) ١٤١٠هـ.

كان ظاهره للخلق التواضع والتطامن .

ولعل الخبر الذي جاء في قصة أبي طالب خير برهان على ذلك ؛ فإنه محب لرسوله ﷺ حب طبع ، وقد دافع عنه دفاعاً طويلاً ، وأثنى على الدين الإسلامي ، وله قصيدة منشورة في كتب السيرة في مدح الإسلام ونبي الإسلام^(١) ، ومع هذا ما يدل عليه الحديث ، فإنه داخل في دائرة التكبر لأنه لم يسلم ويقر بتوحيد العبادة .

وهناك صنف يتكبر على الخلق ، وهو القسم الثاني في الحديث في قوله ﷺ « غمط الناس » بمعنى احتقارهم وازدراؤهم^(٢) .

وهذا الصنف إذا كان صاحبه مسلماً ، فإنه أخف حكماً من الصنف الأول الذي يكفر بتكبره على الحق ، ورسل الله والكتب التي أنزلت .

وفي القرآن ما يدل على تنوع كبرهم هذا ، يقول تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾^(٤) ، وغير ذلك من النصوص القرآنية المتفرقة في

(١) انظر : ابن كثير . السيرة النبوية ، (١/٤٦١ و ٤٦٢ ، ٤٧٧) .

(٢) انظر : ابن تيمية . مجموع الفتاوى ، (٧/١١) .

(٣) لقمان - ١٨ .

(٤) البقرة - ٨٧ .

كتاب الله في مواضع متعددة .

ومن السنة وهو كثير ما جاء في موقف كسرى ملك الفرس فإنه تكبر على الحق ورسول الحق ، فقد جاء في البخاري « أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبدالله بن حذافة السهمي ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفع عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه»^(١) .

وفي السيرة ذكر من بواعثه لهذا التكبر استحقاقه للرسول ﷺ إذ قال :
يبعث بهذا وهو عبد^(٢) .

وبتبع الأخبار النبوية ، وتحركات الرسول ﷺ الدعوية يظهر التكبر ويبرز بأوضح حال بكل أشكاله وصوره وأقسامه .

فمن حين بدأ بالندارة ، والمتكبرون يبرزون بأعيانهم في كل دعوة وحوار .

ففي البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ « خرج إلى البطحاء ، فصعد إلى الجبل ، فنادى : يا صباحاه ، فاجتمعت إليه قريش فقال : أرايتم إن حدثتكم أن العدو وصبحكم أو مساكم أكنتم مصدقي؟ قالوا : نعم ، قال : فإني ذير لكم من بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب :

(١) صحيح البخاري ، ك / المغازي . باب (كتاب النبي ﷺ إلى كسرى ، وقيصر) حديث رقم [٤٤٢٤] ص : ٣٦٣ .

(٢) انظر : ابن كثير . السيرة النبوية ، (٣ / ٥٠٨ ، ٥٠٩) .

ألهذا جمعنا تباً لك ، فأنزل الله عز وجل ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾^(١) .
فداء الكبر يزري بأشخاصه ، ويشتد هذا الداء كلما جد الداعي في دعوته
ففي كل محفل حوار يحرض الرسول ﷺ أن يبلغ فيه أمره . .

وأبو لهب يشمر في إعاقه وصول الحوار إلى المدعوين بكل مايتأتى له ،
فبعد النداء الأول لم يكف أبو لهب بل تتبع الرسول ﷺ يعانده ويصد
الناس عنه ومن ذلك ما جاء عند الإمام أحمد بن حنبل في المسند «قال أخبر
رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الديلي ، وكان جاهلياً فأسلم ، قال :
رأيت الرسول ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز ، وهو يقول «يا أيها
الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل
وضيء الوجه أحول ذو غدирتين يقول : إنه صابيء كاذب يتبعه حيث
ذهب . فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب»^(٢) .

وأبو لهب وأبو جهل ليسا بدعاً من صنديد مكة وملاؤها فإنهم جميعاً
اشتركوا في التآليب على رسول الله وأصحابه والحيلولة بينهم وبين الناس
لدعوتهم إلى الحق^(٣) .

وبدأت حواراتهم تتركز في أذية رسول الله ﷺ والسعي لعزله عن

(١) البخاري مع الفتح . ك/ التفسير . باب (وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب) ٧٣٧/٨ .

(٢) المسند ، ٣٤١/٤ . وانظر ابن كثير . السيرة النبوية ٤٦٢/١ .

(٣) انظر ابن كثير . السيرة النبوية . ٤٧٢/١ .

مناصره عمه أبي طالب إذ مشوا إليه محاورين محاولين أن يألوه عليه^(١).

ثم اجتمعوا وقرروا محاورة الرسول ﷺ جاء في ذلك «اجتمع عليه نفر من أشرف قريش، وعدد أسماءهم، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعوث إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدو، وكان حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم»^(٢).

ثم بدأوا يعرضون عليه رأيهم فيه، ثم حاولوا استمالته بعروض هزيلة. وبعد ذلك انتقلوا إلى التحدي والتعجيز، وطلبوا تسيير الجبال، وسعة البلاد، وجري الأنهار، وبعث من مضى من الآباء ثم طلبوا بعد ذلك أن ينزل الله ملكاً يصدق قوله ويؤيده فيما يقول ويراجعهم القول عنه.

والقرآن نزل شاهداً لذلك مبيناً حالهم وحوارهم ومطالبهم تلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ

(١) انظر: المرجع السابق نفسه ١/ ٤٧٢، ٤٧٣.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ١/ ٤٧٩.

سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ (١).

فالأيات نزلت في الملأ من قريش (٢)، وضمير الجميع عائد إلى أكثر الناس الذين أبوا إلا كفوراً باعتبار صدور هذا القول بينهم وهم راضون به ومتماثلون عليه حتى علموه، والحاصل أنهم خاطبوا وحاوروا بذلك الرسول ﷺ إما في مقام واحد أو مقامات مختلفة (٣).

وهذه الاقتراحات ماهي إلا ملاحجة وعناد، فمرة يتحدونه بالإتيان بخوارق فيها منافع لهم، ثم ينتقلون إلى خوارق فيها مضرتهم (٤).

فيلاحظ من طلباتهم التعجيزية أنهم معاندون مكابرون لا يعون مايقولون، إذ تفاوتت طلباتهم من خوارق مادية نافعة أو ضارة، ثم يضيفون لذلك مطلب العروج إلى السماء ومجيء الله وملائكته وهذا ما يفعله الكبر بالمتكبر، فلا يورد حججاً، وأدلة قائمة وإنما يتخبط في ظلمات في بحر لجى .

ويصف تعالى لنبيه حالهم في نص معجز وجيز: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ

(١) الإسراء (٩٠ - ٩٣).

(٢) انظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٣، والقرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٢٨، ٣٢٩.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٥٠/ ٥٠٦.

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه ١٥/ ٢٠٩.

الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١﴾

والجحود معناه: نفي ما في القلب إثباته وإثبات ما في القلب نفيه^(٢).

فهذا المتكبر الجاحد لا تنفعه الحوارق وتنشئ الإيمان في قلبه فإن الكبر قد حال بينه وبين كل حوار حق.

وفي القرآن بيان لذلك إذ يقول تعالى عن حقيقة أمرهم وانقفال طرق الإجابة في آيات الله عن أدوات الفهم والإدراك لديهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾^(٣)، فهذا النص يكشف ما تكنه صدور المجادلين من أسباب جدالهم بغير حق، وفي هذا توجيه للمحاور الكريم ﷺ ولمن يقتدي به من بعده فلا يحسبون أن سبب تكذيب هؤلاء طلب الحق والصدق وإنما هو التكبر عن أن يكونوا تبعاً لغيرهم^(٤).

وقد أثبت في النص أن الكبر الباعث على المجادلة بطريق القصر لينفي أن يكون داعيهم إلى المجادلة شيء آخر غير الكبر على وجه مؤكد، فإن القصر تأكيد على تأكيد لما يتضمنه من إثبات الشيء بوجه مخصوص

(١) الأنعام- ٣٣- .

(٢) الأصفاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ٨٨.

(٣) غافر- ٥٦- .

(٤) انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ١٧٢/٢٤.

مؤكد، ومن نفي ما عداه متضمن جملتين^(١).

وقد وصف ابن كثير حوارهم ذلك بقوله «وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملاء ظلم وعدوان، وعناد، ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية والرحمة الربانية ألا يجابوا إلى ما سألوا، لأن الله أعلم إنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب»^(٢).

وفي الخبر أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «سأل أهل مكة من رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا، ف قيل له: إن شئت أنن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا وهلكوا كما أهلكت من قبلهم الأمم. قال: بل استأني»^(٣).

وأكبر من ذلك أن القرآن الكريم بين بوضوح أن أقواماً عصوا وحدثت معجزات متنوعة من ضراء وسراء ولم يؤمنوا، لأن التكبر سيطر عليهم فهزمهم وأجهز على كل خير لديهم فتمر الآية تلو الأخرى ولا يزدادون إلا بعداً وضلالاً.

ومن أولئك قوم فرعون يحكي القرآن عنهم: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾^(١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ

(١) ابن عاشور. التحرير والتنوير، ١٧٣/٢٤.

(٢) ابن كثير. السيرة النبوية، ٤٨١/١، ٤٨٢.

(٣) المرجع السابق نفسه، ٤٨٢/١.

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴿١﴾ (٢)

فهو يخبر تعالى بأنه ابتلاهم بالسراء والضراء؛ فلم ينتفعوا ولم يرتدعوا بل تمردوا واستمروا على كفرهم وعنادهم (٣).

وكانوا يسألون موسى مع كل آية يشاهدونها، وإذا جهدوا، حلفوا وعاهدوا موسى: ﴿إِنْ مَا تُوْعَدُونَ لَاتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴿٤﴾

الحاصل أن هذا الاستكبار يعيدهم بعد كل آية إلى أشد معاندة ورفض للحق ولا يتلفتون إليه وكل آية أشد وأقوى من أختها فيقولون ويكذبون ويعدون ولا يفنون، والله مع ذلك ينظرهم ولا يعجل عليهم ويؤخرهم، وبعد إقامة الحجة عليهم والإعذار إليهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر فجعلهم عبرة ونكالا لكل المستكبرين.

(١) الأعراف (١٣٠ - ١٣٣).

(٢) ابن كثير. قصص الأنبياء. ٤٣١. دار القلام. بيروت (ط: ٨) ١٤١١ هـ.

(٣) انظر المرجع السابق نفسه ٣٤١.

(٤) الأعراف (١٣٤ - ١٣٥).

الحاصل أن الحوار لم يؤت ثماره، وينقل هؤلاء إلى دروب الخير، بل ارتكسوا في باطلهم ومعتقداتهم، وكان داء الكبر هو الحائل بينهم وبين الاستجابة لحوار الحق.

وحصل هذا مع قريش إذ دعا عليهم الرسول ﷺ فقال «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم السنة حتى حصت كل شيء، حتى أكلوا العظام، وقال أحدهم: حتى أكلوا الجلود والميتة، وجعل يخرج من الأرض كهيئة الدخان، فاتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إن قومك قد هلكوا، فادعوا الله أن يكشف عنهم فدعا، ثم قال: تعودوا بعد هذا»^(١).

وتختلف دواخل التكبر وبواعثه من صنف لآخر، فبعد الهجرة وفي المدينة، وقد قويت شوكة الإسلام، وكثر أتباعه كان للمتكبرين وضع مختلف.

ومن مواقف الحوار ما جاء في البخاري إنه ﷺ مر بمجلس فيه عبدالله بن أبي سلول وذلك قبل أن يسلم عبدالله بن أبي، فإذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبدالله بن رواحة، فلما غشيت المجلس بمحاجة الدابة خمر عبدالله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبدالله بن أبي بن سلول: «أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذينا به في مجلسنا، إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه»^(٢).

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) ٥٧٢/٨.

(٢) البخاري مع الفتح. ك/ التفسير. باب (١٥) ٢٣٠/٨، ٢٣١.

فواضح من النص تكبره، فقبل بدء المحاور خمر أنفه مما يوحيترفعه وتعالیه؛ ثم أول من رد هو ليقطع بين المحاور والمحاورين لثلا يتأثر أحد، وزاد في بواعث كبره أن طلب من المحاور الكريم ﷺ أن يجلس في بيته ولا يسعى لدعوة أحد إلا من جاءه.

ومع نتائج علة التكبر هذه إلا أنه ما فعل كما فعل صناديد مكة، إذ للإسلام قوة وشوكة وفي المجلس بعض المسلمين، ولذا اتخذ هذه الأساليب التي دعت لها علة التكبر بغية صد الناس عن الحق، ويلاحظ بوضوح أنه تهرب من مواجهة الداعي الحجة بالحجة، والبرهان بمثله، فخاص عن ذلك وألقى هذه الشبه ليحول بين المحاور وبين الوصول لما يريد من حق يبلغه إلى المدعوين.

والإسلام دين عالمي لجميع الناس بشتى أجناسهم، ومعتقداتهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) ﴿١﴾.

واليهود وهم أهل كتاب كانوا من أبرز الأمم التي تعايشت مع المسلمين في المدينة، وتبعاً لذلك فقد كثرت محاوراتهم ومجادلاتهم، وإن اختلفت عمن سبق ذكرهم، وهذا الاختلاف في أساليب ومضامين الحوار معهم لأنهم أهل كتاب منزل، فلا ريب أنهم يتطلبون محاورات خاصة في قواعدها وخصائصها وأساليبها.

(١) سبأ- ٢٨ - .

ولأن الغرض دعوتهم لدخول دين الإسلام فالرسول ﷺ كان حريصاً عليهم كحرصه على غيرهم ولكنه في حواراته يجمل ويفصل بحسب بواعث الحوار وأسبابه .

وتكبرهم أكبر لأنهم أهل علم يعرفون بحق ماذا يعني انكارهم وتمردهم وعنادهم ، ولكنه قديم فيهم حكاة القرآن من ذلك قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿فَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(١) .

وبعد وصوله ﷺ إلى المدينة تحققوا من معرفته ، ومن خلاله لما عندهم من علم به في كتابهم ومن ذلك أن حبرين من أكابر علمائهم جاءوا لهذا الغرض حكى ذلك صفية بنت حبي - رضي الله عنها - إذ تابعت ما صار بينهما وهما والدها حبي بن أخطب وعمها المكنى بأبي ياسر وبعد مكثهما نهاراً كاملاً في التأكد من شخص وأمر الرسول الكريم ﷺ قالت : «وسمعت عمي ، أبا ياسر وهو يقول لأبي : أهو هو؟ قال : نعم والله ؛ قال : اتعرفه وتثبته؟ قال : نعم ، قال : فما في نفسك منه؟ قال : عداوته والله ما بقيت»^(٢) .

وأنصار الله في أول لقاء حاوورهم الرسول ﷺ في أمر الدعوة يتذكرون قول اليهود لهم في يثرب «إن نبياً مبعوث الآن قد أطل زمانه ، تتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم»^(٣) .

(١) البقرة - ٨٧ - .

(٢) ابن هشام . السيرة النبوية . ١٥٣ / ٢ .

(٣) نفس المرجع السابق ٤٤ / ٢ .

المطلب الثاني: الغرور.

١ - التعريف في اللغة:

الأول: يدل على الخداع والغفلة عن العاقبة .

الثاني: ما يؤدي إلى الغرور، وما يوقع فيه من إنسان وشيطان، ومن مال وشهوة^(١).

وابن فارس يعيد ذلك إلى نقصان الفطنة^(٢)، ومما مايعنيه ويدل عليه معنى الغرور بحسب اطلاع الباحث والمفسرون عبروا عنه بما عبر اللغويون بأن المقصود به الخداع^(٣).

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٤).

يقول ابن حجر «والغرة بالكسر غفلة في الفطنة، والغرور كل ما يغرر الإنسان، وإنما فسر بالشيطان لأنه أس ذلك»^(٥).

٢ - الغرور في الإصطلاح:

وحديث ابن حجر توطئة واضحة لما عرفه الإصطلاحيون فالغزالي يرى أنه «سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع، أو عن شبهة

(١) انظر: تاج اللغة وصحاح العربية، مادة: غرر.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة العربية. مادة: غرّ.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ٥٣٣.

(٤) فاطر - ٥ - .

(٥) ابن حجر. فتح الباري، ١١/ ٢٥٠.

وخدعة من الشيطان»^(١).

وابن عاشور يذكر تعريفاً وجيزاً مناسباً إذ يقول «الإطماع بما يتوهمه المغرور نفعاً وهو ضرر»^(٢).

آثار الغرور السيئة من خلال الحوارات في العهد النبوي:

وفي العهد النبوي يتبين بوضوح مبلغ الأثر الذي يحدثه هذا المعوق، والبعد السيء الذي يوصل صاحبه إليه، من جحود وتمرد.

جاء في البخاري خبر حوار خباب - رضي الله عنه - مع العاص بن وائل يقول «جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ. فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني ميت مبعوث؟ قلت: نعم. قال: إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيك، فنزلت هذه الآية: ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾^(٣).

فهذا الغرور منعه من النظر السليم وحرف تفكيره، حتى أوقعه في رفض الحق المتمثل فيما يتضمن حواراه فالغرور قد أدى إلى قطع المحاوراة الصادقة بما صدر من صاحبه، ونتج من ذلك:

١ - الاستهزاء بالمحاور والتقليل من شأنه، إذ وزن الأمر بميزان مادي بحت، فيها أنه أي المغرور أكثر مالاً، وأكبر جاهاً، وأقوى عدداً وعدة، فإن ذلك نفعه في الأولى والأخرى وهذا مقياس الذين حرموا من مقاييس

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ٣/ ٣٥٤.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ١٧٤.

(٣) البخاري مع الفتح، ك/ التفسير. باب (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً)

الحق، إذ لو تذكر الأمم السابقة والأنبياء لعرف أن الغرور بما أوتيه الأولين
والآخرين من قوة مادية طمس الحق في نفوسهم ونقلهم من الحقيقة إلى
الصورة.

وقد خالف ﷺ هديهم في هذه الخصلة؛ فبين أن مدار معرفة الخير من
الشر، ليس بكثرة الأموا، ولا بصحة الأجسام؛ ولكن بالنظر إلى
علاماته، فلربما كان المحتقر في الدنيا عند الله عظيماً؛ كما قال ﷺ:
«طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه،
إن كان في الحراسة، كان في الحراسة، وإن كان في الساقية، كان في
الساقية، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»^(١)، فجعل الغنى
والشرف والرئاسة مقياساً للتمييز بين الحق والباطل ليس صحيحاً^(٢)

بل أن ابن حجر ذكر أن بعض الروايات وردت فيها الإشارة إلى أن هذا
المغرور أحد المستهزئين والذين شهد عليهم القرآن وكفى به عذاباً وسحقاً من
شهد عليه كتاب الله.

وقبل ذلك بآيات بين تعالَى أن هذا حال كثير من الناس وليس هذا
المغرور بدعاً منهم، يقول تعالَى: ﴿وَإِذَا تُلِيَّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ

(١) البخاري ك/ الجهاد، باب (الحراسة في الغزو وفي سبيل الله)، حديث رقم [٢٨٨٧]، ص: ٢٣٢.

(٢) انظر: الإمام محمد بن عبد الوهاب، المسائل التي خلف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية،

٢١٣/١، ٢١٤.

كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ (١).

يقول ابن كثير (٢) مبيناً أن ذلك كان مقام محاورة بينهم وبين الرسول ﷺ وكيف حال الغرور بينهم وبين الاستجابة للحق «يخبر الله تعالى عن الكفار حين تتلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان إنهم يصدون ويعرضون عن ذلك ويقولون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم ومحتجين على صحة ما هم عليه من الدين الباطل (أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً) أي أحسن منازل وأرفع دوراً وأحسن ندياً وهو مجتمع الرجال للحديث أي ناديهم أعمر وأكثر واردة وطارقاً يعنون فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل وأولئك الذين هم مختفون مستترون في دار الأرقم ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى عنهم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ (٣).

فهذا اغترار المشركين بالدنيا وإناطتهم السعادة بأحوال طيب العيش في الدنيا فكان المشركون يشفقون على المؤمنين ويرون أنفسهم أسعد منهم، وذلك لأنهم يرون أن أهل الشرف والرئاسة أعلم بالأمور، وأحسن إدراكاً لها، وأن الشرف الديني تابع للشرف الدنيوي (٤)، ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ

(١) مريم - ٧٣ - .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٣/ ١٨١، ١٨٢ .

(٣) الأحقاف - ١١ - .

(٤) انظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ٢٦/١٤ .

بِعْضٍ لَيَقُولُوا أَهْؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴿١﴾ ، فكفار قريش مما يفيد النص أنهم أنكروا أن يكون ما جاء به محمد ﷺ حقاً؛ لأن أتباعه ليسوا إلا من الضعفاء ، الذين ليس لهم كما يزعمون رأي يميزون به ^(٢) .

٢- إن هذا الغرور منعه ثانياً من النظر في الحق والاستدلال الصحيح ، وهذا أدى به إلى جحد الحق ودفعه .

فما فرق بين الحق وبين حامله ، ومن يؤمن به ، فالرسول ﷺ في محاوراته الكثيرة معهم كان يذكر بما وعد الله المؤمنين من سعادة وفوز ، وينذر المنكرين بما لهم من شقاوة منتظرة ، فكانوا يكذبون بذلك ويقولون لو كان هذا حقاً لعجل لهم وهانحن في نعمة وأهل وسيادة ، وأتباع محمد ﷺ من عامة الناس ، وفيهم قشافة وفي عيشتهم خشونة ^(٣) فالغرور نقلهم من الحقيقة إلى الصورة المادية ، وما علاقة ضيق العيش . وفقر الناس ، بما يعرض من حق وحجج واضحة بينة وقبلهم قال القرآن حكاية عنهم ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ ^(٤) ، وقال قوم

(١) الأنعام - ٥٣ .

(٢) انظر : شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ، ١ / ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ١٦ / ١٥٣ .

(٤) الأحقاف - ١١ .

نوح: ﴿أَنْزَمِنْ لَكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾^(١)، ولذا أمر ﷺ في مقام محاوراته لهؤلاء أن يقول لهم^(٢) ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾^(٣).

ثم حملهم الغرور على أن يطلبوا تحديد مكان أندى ومحاوره خاصة بهم لتمييزهم، حتى اطمعوا الداعي إذ بينوا أن محمداً ﷺ لو أقصى هؤلاء الفقراء لا تبعوه^(٤).

ونزل القرآن شاهداً لطلبهم، وموجهاً للرسول ﷺ أن لا يستجب لهم، قال تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥٢) وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾^(٥٣)^(٥).

٣- وبلغ الغرور بهم أن صدقوا أنهم أهدى من غيرهم سبيلاً لأنهم أغنى وأبهى.

ولذا فهم ليسوا معذبين في الآخرة، يقول تعالى على لسانهم في مقام

(١) الشعراء- ١١١ - .

(٢) نظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/ ١٨٢ .

(٣) مريم- ٧٥ - .

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٦/ ١٥٣ .

(٥) الأنعام (٥٢- ٥٣) .

المحاورة : ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (٣٥) ﴿ (١)

إذ يقيس المغرور المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب ويظن أن كل مُحسَن عليه مُحِبٌّ، ولا يظن أن إنعامه عليه في الدين إحصان وهذا يتطلب الشكر والعمل في مرضاته ومن ذلك فلا يقبل الحق الذي جاء به رسله وقالوا باملاء الغرور وآثاره السيئة وإن كان حقاً فنحن أحق بالرسالة من محمد ﷺ فقد روي أن الوليد بن المغيرة - وكان يسمى ريحانة قريش - كان يقول : لو كان ما يقوله محمد حقاً لنزل عليّ أو عليّ أبي مسعود، قال الله تعالى : ﴿ أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾ يعني النبوة فيضعونها حيث شاءوا، (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا)، أي أفقرنا قوماً وأغنينا قوماً، فإذا لم يكن أمر الدنيا إليهم فكيف يفوض أمر النبوة إليهم (٣٧٢).

والقرآن يبين بوضوح وصراحة أن الغرور يدفع إلى المجادلة بالباطل والإعراض عن الحق؛ وذلك في مثل يتضمن حواراً موجهاً لهم نصاً.

يقول تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴾ (٣٢) ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ

(١) سبأ - ٣٥ - .

(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨٣ / ١٦ .

(٣) وما يلحظ أن غرورهم ذو آثار سيئة متلونة متدرجة اتجاه الحق من صد ودفع ومحايلة إذ لم يحسنوا الإستماع أولاً، ثم حاصوا عن فهم مضامين الحق الواضحة؛ لفظاً ومعنى ودليلاً والتفتوا إلى شخص حامل الفكرة، وفرق بعيد بين الأمرين؛ ودعاهم ذلك إلى أن يتابعوا أحوال الدعاء فيقيسوا مقاييس مادية بين حالهم، ثم أبعدهم هذا المقياس المادي البحت إلى أكبر من ذلك وأخطر؛ فوزنوا أمر الآخرة والجزاء فيها بما هم عليه في الدنيا.

شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ
 مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ
 أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا
 ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ
 سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ
 جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ
 رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا
 ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ
 كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي
 أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ
 الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾^(١)

فمن خلال هذه المحاوراة القرآنية والتي تضمنت الوصف التام لحال
 المغرور ودواعي الغرور ونتائجه السيئة تبين مايلي :-

أولاً: إن القصة تضمنت مقام حوار: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره﴾
 حكى كلام صاحبه لفعل القول بدون عطف للدلالة على إنه واقع موقع
 المحاوراة والمجاوبة^(٢).

(١) الكهف (٣٢ - ٤٤).

(٢) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير ٣١٧/١٥، ٣٢١. والفخر الرازي. التفسير الكبير

١٠٧/٢١ (مرجعان سابقان).

ثانياً: إن هذه المحاوراة تشهد بما فعله الغرور بالمدعوين وأنه حال بينهم وبين الاستجابة لنداء الحق الذي حملة المحاور الكريم ﷺ، يدل على ذلك أن الضمير في قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلاً﴾ أشار المفسرون أنه يقود إلى أهل مكة^(١).

وإن اختلف في سبب النزول بأشخاص المحاوراة وزمانها ومكانها^(٢) إلا أنهم ذكروا من ذلك أنها نزلت في الرسول ﷺ وأهل مكة^(٣).

يؤيد ذلك أن هذه المحاوراة مرتبطة بما سبقها في قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك﴾ وهي تحاور بعض الكبراء الذين سألوا الرسول ﷺ شرطاً للتحاور معهم أن ينحي الضعفاء عن مجلس الدعوة.

فبعد ذلك جاء ذكر هذه المحاوراة للتنبيه على حقيقة هذا الداء الذي دفعهم لمثل هذه الطلبات التائهة عن الحق وبيان حال ومآل المغرورين.

يقول ابن كثير^(٤) مبينا الربط بين المحاوراة وحال المحاورين زمن الرسالة المحمدية.

(١) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير ٣١٦/١٥.

(٢) انظر القرطبي. الجامع لاحكام القرآن ٣٩٩/١١، والماوردي، النكت والعيون ٣/٣٠٥،

٣٠٦، والشوكاني، فتح القدير ٢٨٥/٣ (مراجع سابقة).

(٣) انظر: الشوكاني، فتح القدير، ٢٨٥/٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ٣/١١٣، ١١٤.

«يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء
والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم
مثلاً».

إن الحال التي وصفها القرآن - لما في هذا المثل -، لا يكاد يتخيل الإنسان
أجمل منها في مكاسب الناس، فحينما وصف تعالى وصفاً دقيقاً جميلاً
لحال الجنتين، واللتين يملكهما، قال بعد ذلك بأنها على حسن وصفها
﴿وفجرنا خلالها نهراً، وكان له ثمر﴾ فالمعنى بالثمر هنا يتضمن
أنواعاً شتى من النعم غير الثمر، فهذا خير مثال للمحاورين المغرورين،
وفيه عبرة للمشركين من خصوم الدعوة الذين جعلوا النعمة وسيلة للترفع
عن مجالس الدعوة، والتمنع من قبول الحوار.

رابعاً: يكشف الحوار بوضوح الفرق البعيد بين الطرفين المتحاورين حالاً
ومقالاً ومالاً، فالمغرور بدأ حواراً مع صاحبه يعيره بفقره ويفتخر عليه بالمال
والجاه «أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً»^(٢).

ثم ساعة لحظه هذه الدنيا بما ازينت به انتابه الفخر والخيلاء ﴿ودخل جنته
وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبعد هذه أبداً﴾ فهو ظلم نفسه بكفره وتجبره

(٢) انظر القاسمي . محاسن التأويل ٤٢/١١ .

ذلك فضيلة نفسية، ولا صفة معنوية، وإنما هو بمنزلة اغترار وافتخار الأطفال بالأماني التي لا حقائق تحتها^(١).

ثم جره هذا الغرور فتمادى في طغيانه فنفى أن ينال هذا العز المادي طائل أو أن تزول جنته فاطمأن بها ورضي^(٢).

وانتقل يتقلب ويتلاعب به الغرور الذي تمكن منه فطمس مسارب كل خير في قلبه، فأكد أنه إذا قدرّت الرجعة إلى الله ليجد خيراً مما كان عليه . وهذا زاده كفوفاً على كفره، وجهلاً على جهله؛ فأى تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة^(٣).

بل الغالب أن الله تعالى يزوي الدنيا عن أوليائه وأصفيائه، ويوسعها على أعدائه، الذين ليس لهم في الآخرة نصيب^(٤).

والمحاورون الأولون في العصور الفاضلة أفادوا من ذلك وأثروا في حواراتهم في فهم هذه الحقيقة .

ومن ذلك أن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وهو من يضرب به المثل في ذكائه وفطنته، قد ناظره فتى في أمر الإسلام فقال له «أنشدك بالله ربك

(١) انظر ابن سعدي . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٥٠٧ ، ٥٠٨ (مرجع سابق).

(٢) وهذا يفسر خشية الرسول ﷺ على اتباعه من تعلق بأعراض الدنيا الزائلة .

(٣) انظر المرجع السابق نفسه ٥٠٨ .

(٤) انظر ابن سعدي سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص : ٥٠٨ .

ورب من قبلك ومن بعدك ، أنحن أهدئ أم فارس والروم ؛ قال : نحن أهدئ ، قلت : فنحن أوسع عيشاً أم هم . قال : هم . قلت : فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلا في الدنيا وهم أعظم منا فيها أمراً في كل شيء ؛ وقد وقع في نفسي أن الذي يقوله محمد ﷺ من أن البعث بعد الموت ليجزئ المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته حق ولا خير في التماذي في الباطل»^(١) .

فهذا القياس الصحيح ، وهذا الربط المحكم لمن سلم من آفة الغرور فحسن تحريره في وقت الحوار ، فهم عرفوا الحقيقة ولزموها ، ولذا أثر عن حذيفة أمين السر - رضي الله عنه - أنه تخوف من تعلق الناس بالصور والمحسوسات على حساب الحقائق فقال أخشى أن يأت على الناس زمان يؤثرون ما يرون على ما يعلمون .

الحاصل أن الغرور حال بين صاحب الجنتين ، وبين رؤية الحقيقة في مناظرته لصاحبه .

وعمر وحماء الله من الغرور ففاس الأمر بحكمة وخرج سالماً من الشرك وذنسه .

وحال المؤمن قدوة لعمرو وأمثاله وكل مؤمن فإنه بعد أن أتاح المجال لصاحبه يتم مقالة ، قال بثقة واطمئنان ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾^(٢) .

(١) ابن حجر . الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٣ .

(٢) الكهف - ٣٧ .

فحواره يكشف تعلقه بربه أولاً، إذ لم يجاره بتعلقه بالظاهر والفاني، وإنما انتقل إلى الغاية التي خلق من أجلها الإنسان، ثم ذكره بأصل خلخته فوعظه وزجره عما هو فيه من الاغترار والكفر بالله، وكيف تجحد من أوجدك وكل الخلق وهو بذلك يوجه كل محاور أن ينبه المحاورين بحقيقة خلقتهم بعد أن لم يكونوا شيئاً ولماذا خلقوا؟ .

فهذا الإمام مالك بن دينار يفيد من ذلك إذ ينصح أحد القواد عن مشية غرور فرد المغرور قائلاً: أو ما تعرفني؟ قال الإمام: بلى أعرفك حق المعرفة فأولك نطفة مذره وآخرك جيفة قدرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة .

ولأنه عاقل فقد عاد إلى رشده ورد على الإمام بقوله: نعم لقد عرفتنى حق المعرفة^(١) .

ثم ترقى هذا المؤمن فأعلن ما يستحق الفخر والعزة، إذ افتخر المغرور بدينياه الزائلة فهو رد عليه مترقياً بمضامين الحق ﴿لكننا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً﴾ .

فقوله هذا يعني أنه لا يرى الفقر والغنى إلا منه فأحمده إذا أعطى وأصبر إذا ابتلى ولا أغتر وأتكبر عندما ينعم عليّ بأعوان ومال، فهي منه تعالى، وذلك رد مفحم ومفهم، فإن المغرور حينما امتنع من قبول الحق معتزاً بهذه النعم كأنه جعل مع الله شريكاً في اعطاء العز والغنى^(٢) .

(١) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/٣٦٣ .

(٢) انظر الفخر الرازي . التفسير الكبير ٢١/١٠٨ .

فأنا لا أقول مقالتك بل اعترف لله بالوحدانية والربوبية، ﴿ولا أشرك
بربي أحداً﴾ أي بل هو الله المعبود وحده لا شريك له^(١).

وبعد أن بَلَغ في حوارهِ ماوجب عليه من حق الله، عاد إلى تذكيره بما
يجب عليه اتجاه هذه النعمة من شكر وذكر الله وبه تدوم النعم.

وبين أن الله قادر أن يعطيني خيراً من جنتك في الآخرة وأن يفني جنتك
بجند من جنوده ويتدبيره وقدرته^(٢).

والحاصل من خلال الحوار أنه تبين مغبة الغرور ومايجره إلى صاحبه من
الأرزاء، وما يحصل للمؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من
التذكير والتدبر في العواقب؛ فيكون أبقى له وأصلح في الأولى والأخرى.

أما المغرور فقد وصف القرآن حاله المزرية بأحسن وأدق وصف ﴿وأحيطَ
بشمره فأصبح يُقَلَّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي
لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾^(٣) (٤).

وهذا في غاية الوعيد لمن هم يحملون هذه الصفة السيئة فلا ينفعه عشيرة
ولا مال ولا ولد حينما حل عذاب الله فلا منقذ له منه.

وأياً كان باعثه فقد ندم على الشرك ورغب في التوحيد وهذا ندم منه

(١) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ٣/ ١١٥ .

(٣) الكهف - ٤٢ - .

(٤) انظر ابن عاشور . التحرير والتنوير ١٥/ ٣١٥ .

حين لا ينفعه ندم^(١).

والحاصل مما تضمنه الحوار أن صفة الغرور إذا اتصف بها أحد أثرت فيه ووجهت مشاعره وأفكاره وجهة خاطئة وخلط الأمر لديه وقاس المسائل بمقاييس بعيدة عن الحق، واتضح أيضاً من خلال المحاورة أن الغرور يزيد بازدياد دواعيه وأسبابه وبذا يزيد العناد والمكابرة.

(١) انظر القرطبي . الجامع لاحكام القرآن ١٠ / ٤١٠ .

المبحث الرابع

الجدل والمراء

المبحث الرابع: الجدل والمرء:

التمهيد:

سبق التعريف بالجدل في مقدمات البحث ، ومنها إنه يدل على اللدد في الخصومة والقدرة عليها^(١) والمرء في اللغة يدل عليه إذ قالوا: «وأصله في اللغة الجدل بأن يستخرج الرجل من مناظره كلاماً ومعاني الخصومة وغيرها»^(٢).

وعبارات المتقدمين إذا تحدثوا في ذمهما خلطوا بينهما بما يدل على أنهما بمعنى واحد.

وفي الحديث «أنا زعيم بببيت في ريبض الجنة لمن ترك المرء وإن كان محققاً»^(٣). فالمرء هو جدل ليس لإظهار الحق ، بل لإظهار الفضل^(٤).

والفارق الدقيق بين الجدال الممدوح والجدال والمرء المذمومين أن الأول يكون للحق وأن الأخيرين يكونان بعد ظهور الحق^(٥) وتبيين دلائله وبراهينه ، ويستمر بعد ذلك بالمشاكسة والمكابرة فالذي يستقرأ التاريخ يجد

(١) انظر ابن منظور . لسان العرب . مادة : جدل .

(٢) المرجع السابق نفسه مادة : جدل .

(٣) سنن أبي داود ، ك/ الأدب ، باب (في حسن الخلق) حديث قم [٤٨٠٠] ص : ١٥٧٦ ، وانظر : صحيح سنن أبي داود باختصار السند ، ٩١١/٣ .

(٤) انظر د . علي جريشة . أدب الحوار والمناظرة ٧١ . دار الوفاء . مصر . (ط : ١) ١٤١٤ هـ .

(٥) انظر الشعراوي . تفسير الشعراوي ١١/٦٤٤٩ ، ٦٤٥٠ .

أن الأمم والشعوب إذا شغلتها عظام الأمور وتحركت همهما إلى العليا والرفعة قل فيها الجدل، وشغلتها الأعمال عن الأقوال .

وفي الحديث «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (٥٨) (١) (٢) .

فإذا مالوا إلى الدعة والخمول ظهرت فيهم الإنحرافات الفكرية وكثر الجدل .

الشاهد أن أمره يتطور بالضرر في وجهة الأمة في أفكارها، ورؤاها، فيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، ويتقاتلون في أمور ليست ذي بال ويهملون عظام الأمور التي تقوم مسارهم التعبدية، وتقيم أودهم .

والقرآن أكد وبين ذلك في غير موضع ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا

(١) الزخرف - ٥٨ - .

(٢) سنن الترمذي، ك/ التفسير، باب (سورة الزخرف) حديث رقم [٣٢٥٣] ص: ١٩٨٤، وانظر: صحيح سنن الترمذي، باختصار السند، ١٠٣/٣ .

بِهِ الْحَقُّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾^(١).

فالذين يجادلون بالباطل ويدفعون الحق بعد تبينه ووضوحه هم الذين كفروا الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه^(٢).

وبين القرآن أن أهل الجدل بالباطل ما يستندون إلى علم أو هدى أو كتاب منير: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾^(٣).

ونفس الآية في سورة لقمان تؤكد هذا الصنف الضال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾^(٤).

وأهل الباطل يستقون جدلهم من الشياطين: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٥).

فهذه النصوص تبين بوضوح خطورة الجدل والمراء الباطلين، فالمحاور المسلم يبحث عن الحق فلا يجادل بعد أن يتبين الحق، وأيضاً إذا بين الحق يكف.

(١) غافر (٤ - ٥).

(٢) انظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٩١ / ٤.

(٣) الحج - ٨.

(٤) لقمان - ٢٠.

(٥) الأنعام - ١٢١.

الجدل والمرء وأثرهما في الحوار:

فعند قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾^(١).

تحدث المفسرون عن دلالة هذه الآية الواضحة بأن يكف عن مجادلتهم إذا تحولت إلى مجادلة باطلة فيقول الماوردي «ما جعلوه طلباً للحق فيلزمه جوابهم وإنما حاجوه إظهاراً للعناد؛ فجاز له الإعراض عنهم بما أمره أن يقول لهم»^(٢).

فقد ظهر قبل ذلك صدق الرسول ﷺ المحاور مراراً وأطواراً بالآيات والمعجزات وفي محاورات كثيرة، وبالغنا في تفسير الدلائل وإيضاح البيئات^(٣).

وهذا معروف في الكلام فإن المحق إذا ابتلي بالمبطل اللجوج وأورد عليه الحجة حالاً بعد حال، فقد يقول في آخر الأمر أما أنا ومن اتبعني فمناقدون للحق؛ مستسلمون له، مقبلون على عبودية الله، فإن وافقتم واتبعتم الحق الذي أنا عليه بعد هذه الدلائل التي ذكرتها فقد اهتديتم وإن أعرضتم فإن الله بالمرصاد^(٤).

وهؤلاء كفار قريش أوصلهم اللجاج والجدال إلى أن حكى عنهم القرآن

(١) آل عمران - ٢٠ - .

(٢) الماوردي . النكت والعيون ١ / ٣٨١ .

(٣) الرازي . التفسير الكبير ٧ / ١٨٣ ، والقاسمي . محاسن التأويل ٤ / ٦٨ .

(٤) الرازي . التفسير الكبير ٧ / ١٨٣ .

في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١).

وهذه المجادلة بالباطل إذا عجز أحد الأطراف عن دفع دليل الآخر وأفحم، مال إلى المجادلة الباطلة.

ومما يدل على ذلك ما جاء في القرآن في أمر محاورتهم: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢٤) قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾^(٢). فهم مقرون بتفرده بالخلق والرزق وهذا يقتضي تفرده بالالوهية أيضاً، ثم بعد ذلك أعلن البراءة منهم إن أنكروا توحيد العبادة^(٣)؛ فهي آية مهادنة ومتاركة^(٤) فكل منا يوم الجمع سوف يحاسب على ما اقترفته يده، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٦).

(١) الأنفال - ٣٢ - .

(٢) سبأ (٢٤-٢٧).

(٣) انظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٧١٠/٣.

(٤) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن ٢٩٩/١٤.

(٥) الكافرون (١-٣).

(٦) يونس - ٤١ - .

زبدة المراد أن أهل الحق أقاموا البرهان الواضح على التوحيد فدل هذا على بطلان الرأي الآخر وهو الشرك بالله فانقطع بهذا الجدل^(١).

فأحدنا لا يشك إنه مخطيء، والتمادي بالباطل قبيح والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق^(٢)، فالتوقف إذاً أولى وأجدى وهذا عمله ﷺ في محاوراته، إذا أبدى الخصم مهارات هزيلة غير مجدية ومفيدة، فإنه يقطع جداله العائق بينه وبين الحق إلى قول حق يقطع به الحوار فإن نفع وإلا سلم من مجاراته في جداله العقيم.

ومن ذلك حوار مع الصحابي ضماد إذ سمع من قريش تحريضاً ونكراً في أمر الرسول ﷺ فذهب إليه وقال «أمحمد إني أرقى من هذه الريح وإن الله يشفي علي يدي من شاء، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . قال فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء»^(٣).

الشاهد أن رسول الله ﷺ تجنب الجدل والمراء مع هذا الرجل فالمقام يحتمل أخذاً ورداً من قال لك ذلك؟ وماذا قالوا غيره؟ وأين؟ ثم الدفاع

(١) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٧١٠ / ٣ .

(٢) انظر الرازي . التفسير الكبير ٢٥ / ٢٢٢ .

(٣) صحيح مسلم ومعه شرح النووي . ك / الجمعة . باب (رفع الصوت في الخطبة ومايقول فيها) ٦ / ٣٩٥ .

عن النفس ونصرتها إلى مالا نهاية فضع أمر الحق بين الدفاع والانتصار للنفس .

وقطع ذلك كله بأن استدار إلى الحوار الواعي فألقى كلمات حق فيها الجواب وزيادة، ولأن الرجل من أولي النهى نفع معه ذلك فاستسلم وأسلم لله وجهه .

فالمحاور يقتدي بالرسول الكريم ﷺ في هذا الأمر فلا يعطي المجال لكثرة الجدل لأنه يذهب الاستقامة على الطريق الصحيح في الحوار، ويحوّله إلى منافسات وإلى نصرة حظوظ النفس .

والمحاور أحوج ما يكون إلى صفاء النفوس له، والمجادلة تورث الضغائن، وتقطع الألفة^(١) .

إضافة إلى أن المحاور المسلم منضبط بضوابط الشرع وآداب الإسلام، وأيضاً فإن الجدل والمراء يفند التبشير والتهسير المطالب بهما الداعية ولذا فإن أبا داود - رحمه الله - عنون باباً بقوله (باب في كراهية المراء) ثم استدلل بقول الرسول ﷺ: «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا»^(٢) .

فالمؤمن سمح كريم حلیم، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المحاور، فكان المحاورون الأولون يقولون «المؤمن يداري ولا يماري، ينشر حكمة الله،

(١) انظر أبي عبدالله الحبيشي . البركة في فضل السعي والحركة . ص ١٢٩ (مرجع سابق) .

(٢) صحيح سنن أبي داود باختصار السند . ك/ الأدب . باب (في كراهية المراء) ٩١٧/٣ .

فإن قبلت حمداً لله ، وإن ردت حمد الله عز وجل»^(١) .

وهذا واضح في النصوص السابقة ، فهم يردون الأمر إلى الله عز وجل ، فهذه المجادلة قد ينتج منها ما يعيق المحاور في الاستمرار في دعوته ومجادلة المبطلين ، وإلزامهم الحجة ، مع ما في المجادلة من قطع الألفة ، وما يورثه من الضغائن ، وكفى بهاتين عائقاً عميقاً بين المحاور وبين المدعويين ، ومن ذلك حزنه ﷺ إلى ما آل إليه حالهم ، يقول تعالى لرسوله الكريم ﷺ : ﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾^(٢) .

ما الذين يحزنه؟ تكذيب قومه ومخالفتهم إياه^(٣) ، وهذا لا يتأتى إلا بعد مجادلات ومعارضات أدت إلى إعاقة الحوار الصادق الموجه ، ولذا حينما أتى ابن كثير - رحمه الله - لذكر المحاورات والمجادلات التي جرت بين الرسول الكريم ﷺ وبين قومه جعل لذلك باباً مستقلاً أسماه «مجادلة المشركين رسول الله ﷺ» ، وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً^(٤) .

(١) الآجري . الغرباء ١١ / تحقيق بدر البدر . دار الخلفاء للكتاب الإسلامي . الكويت (ط : ١) . ١٤٠٣ هـ .

(٢) الأنعام - ٣٣ - .

(٣) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ١٧٦ / ٢ .

(٤) ابن كثير . السيرة النبوية . ٤٩٨ / ١ .

ومن كلام ابن كثير - رحمه الله - يظهر أن ما ذكر هو الذي أحزنه صلوات ربي عليه ، فبعد مجادلة طويلة جاءت الشهادة بها في القرآن الكريم ، وطلبوا فيها معجزات فما الذي حدث للرسول ﷺ أثر ذلك يقول ابن كثير «وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسفاً لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباحدتهم إياه»^(١) .

فهؤلاء يصفهم القرآن بأنهم «قوم لد» وهم الذين يجادلون بالباطل ، ويعوجون عن الحق .

والقرآن يصف حالهم تلك في محاوراتهم مع الرسول ﷺ ومن جنس ما في قوله تعالى : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ، وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ . فهم ما ضربوا هذا إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب التمييز بين الحق والباطل^(٢)

فهذه الآيات نزلت بسبب محاورة جرت بين الرسول ﷺ وبين قريش ومن الأقوال مارواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير ، فقالوا : ألسنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً صالحاً؟ فقد كان يعبد من دون الله فنزلت»^(٣) .

يقول ابن عاشور واصفاً جدلهم ذلك «أي ما ضربوا لك المثل إلا جدلاً منهم ، أي محاجة وإفحاماً لك وليسوا بمعتقدين هون أمر آلهتهم عندهم ولا بطالين

(١) تفسير القرآن العظيم ٨٨/٣ .

(٢) انظر : البناء ، بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني ، ٢٦٦/١٨ .

(٣) المسند مع الفتح ٢٦٦/١٨ ، وانظر الماوردي . النكت والعيون ٢٣٣/٥ .

الميز بين الحق والباطل فإنهم لا يعتقدون أن عيسى خير من آلهتهم ولكنهم أرادوا مجارة النبي ﷺ في قوله ليفضوا إلى الزامه بما أرادوه من المناقضة»^(١).

فالخصم شديد التمسك بالخصومة واللجاج مع ظهور الحق عنده؛ فهو يظهر إن ذلك ليس بحق^(٢)؛ الحاصل أن مجادلتهم بلا حجة ظاهرة بينة؛ فالمحاور حريص على النفع للآخرين، ونقلهم إلى صراط الله المستقيم، فقد يحزنه هذا اللجاج والمكابرة، فحينئذ يرتخي في أمر الدعوة، والجلد في مناظرات أهل الإنحراف، فينبغي أن لا يلتفت لهذا العائق، ويستمر في طرق باب محاوراتهم، ويعود لطبيعته ولا يهم النتيجة فهي من الله.

فهذا باب العمل لخدمة دين الله، والذي يرى السلف إنه إذا أريد بعبد شر أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل^(٣).

فالمجادل المماري هنا يعترض على كلام غيره؛ باظهار خلل فيه، إما باللفظ أو المعنى، فالواجب أن يصدق بما سمعه من حق، ويسكت عما سمعه من خطأ إلا إذا كان في ذكره فائدة ظاهرة فيذكره برفق لا عنف^(٤).

وقد وصف الله تعالى صنفاً من خلقه بأنه ﴿ألد الخصام﴾. ويفسر قتادة ذلك بأن المراد به الجدل بالباطل^(٥).

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣٩/٢٥.

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ٢٤٠/٢٥.

(٣) انظر الذهبي. سير أعلام النبلاء ٣٤٠/٩.

(٤) أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن عمر العصامي الحبشي البركة في فضل السعي والحركة ١٢٩. دار المعرفة. بيروت. ١٤١٤ هـ بدون رقم.

(٥) انظر الذهبي. سير أعلام النبلاء ٢٧٩/٥.

فهذه النصوص والحوارات التي سبقت تبين بوضوح أن هذا العائق،
تسبب في امتناعهم من قبول الحق، والتفاتهم للمراوغة والمقابلة .

المبحث الخامس
الانتصار للنفس

١ - : التعريفات:

١- تعريف الانتصار:

جاء في اللغة تعريفات عديدة لمادة «نصر» منها:

١ - التأيد والعون .

٢ - التصديق بالأخبار .

٣ - الظهور على الخصم .

٤ - الانتقام^(١) .

٢- تعريف النفس:

خاض الأولون والآخرون في كنه النفس ، وأصلها إلى غير ذلك من الأسئلة التي تطرأ على البشر فما وصلوا للتيجة ، وما حاولوه لا يتعدى كونه وصفاً لأحوالها دون تحديد نهائي لماهيتها^(٢) .

وما في القرآن يغني عن الخوض فيما لا طائل تحته ، فالقرآن حينما

(١) انظر ابن فارس . معجم مقاييس اللغة . مادة: «نصر» ود . إبراهيم أنيس وآخرون . المعجم الوسيط . مادة: «نصرة» .

(٢) انظر د . عز الدين إسماعيل . نصوص قرآنية في النفس الإنسانية ١٤٩ ، ١٥٠ . دار النهضة العربية . بدون رقم وتاريخ . وانظر د . حسن إبراهيم عبدالعال . مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية (التربية والطبيعة الإنسانية) ٢٣٨ - ٢٤١ . دار عالم الكتب (ط : ١) .

يتحدث عن النفس بين بأنها هي التي تؤمن ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(١)، وهي التي تدافع عن الإنسان وتجادل عند الحساب ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾^(٢)، ومنها تصدر نزعات الخير ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾^(٣)، وتصدر نزعات الشر ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٤) ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾^(٥).

الحاصل أن الانتصار للنفس المراد به في هذه الجزئية هو: «الظهور والانتقام لتأييد حظوظ النفس وأهوائها».

فالمراد في هذا المبحث تعلق الإنسان بمشتهيات نفسه كائناً ما كانت وأن يكون هذا التعلق سبباً من أسباب عدم قبول الحق.

والحوار يلزم منه وفي مراحل نصرته النفس فإن الذي لا يصدق بالحق ينكسر ثم يرجع إلى نفسه الأمانة بالسوء تلومه لفوات النصره، فيحب أن ينتقم من خصمه ويظهر عليه وقد يكون ذلك في ثنايا الحوار فيعيق الإنسان عن قبول الحق محبته لمشتهيات نفسه . .

(١) يونس- ١٠٠-

(٢) النحل- ١١١-.

(٣) الفجر- ٢٧-.

(٤) البقرة- ١٠٩-.

(٥) الشمس (٧-٨).

وبعض أهل العلم يبينون أنهم إذا أرادوا الحق من مناظراتهم ومحاوراتهم وتواضعوا له نصرُوا وأنهم ما جلسوا لذلك بإرادة العلو والانتصار للنفس إلا وافضحوا^(١).

والإنسان بطبعه يحب أن ينتصر لنفسه، وهذا الانتصار تدعو إليه بواعث كثيرة؛ بسعة مجالات الحياة وزخرفها ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ﴾^(٢). تكتب كلها

وفي القرآن عن فرعون وملاه: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾^(٣).

وعن الملأ من قوم هود (عليه السلام) وانتصارهم لباطلهم وما عليه أسلافهم: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾^(٤).

وهذا مما يعوق وصول الحوار الناجح إلى المدعو، إذ تعتمل هذه الصوارف في فكر ونفس المدعو ثم تدفعه إلى رفض الحق.

(١) انظر الشاطبي . تذكرة السامع والتكلم في آداب العالم والمتعلم ص ٦٩ .

(٢) آل عمران - ١٤ .

(٣) الأعراف (١٠٩ - ١١٠) .

(٤) الأعراف - ٧٠ .

ولذا انتبه السلف لذلك، فالشافعي^(١) - رحمه الله - وهو مناظر مكين يقول «ما ناظرت قط أحداً على الغلبة، وبودي أن جميع الخلق يعلمون كتبتي ولا ينسبون إليّ منها حرفاً».

والشاطبي ينقل عن الغزالي قوله «أكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام يتعصب جهلة أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإدلال، وهذا نتج منه النظر إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والإزدراء فشارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعذر على العلماء المتلطفين محوها، مع ظهور فسادها»^(٢).

ومما يؤكد ذلك ويكشف السر وراءه ما جاء في الحديث «بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه، وقع رجل بأبي بكر، فأذاه، فصمت عنه أبو بكر ثم آذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة، فانتصر منه أبو بكر. فقام رسول الله ﷺ، حين انتصر أبو بكر! فقال أبو بكر: أوجدت علي يا رسول الله: فقال رسول الله ﷺ: نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان، فلم أكن لأجلس، إذ وقع الشيطان»^(٣).

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠ /

(٢) انظر الشاطبي. الاعتصام ٢ / ٢٣٠.

(٣) صحيح سنن أبي داود. ك/ الأدب. باب (في الانتصار) ٣ / ٩٢٥ - ٩٢٦.

ويبين تعالى جملة حقيقة مواقف خصوم الدعوة من قريش : ﴿ صر
وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾^(١).

فإظهار الشك والانتقاص في القرآن بأقوالهم ومصادمة الحق فإنما هي
بحمية الجاهلية مظروفون لها، فهي معمية لهم عن الحق لإحاطتها بهم،
فهم في إعراض وامتناع واستكبار عن قبول الصدق^(٢).

ويدل على مبلغ هذا الانتصار قول أبي جهل مبيناً السبب الحقيقي الذي
منعه من الاستجابة للرسول ﷺ، يقول: «تنازعنا الشرف، اطعموا
فاطعمنا، وحملوا حملنا، وأعطونا أعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب
وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك
هذا؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه»^(٣).

وفي خبر النصراني الذي كان رسولاً له رقل ملك الروم إذ حاوره ﷺ
ودعاه إلى الله جاء في معرض الحوار قول الرسول ﷺ «هل لك في
الإسلام الحنيفة ملة أبيك إبراهيم؟ قلت: إني رسول قوم وعلى دين قوم
لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم. فضحك. وقال «إنك لا تهدي من أحببت

(١) ص (١-٢).

(٢) انظر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٥٧/٦.

(٣) ابن كثير. السيرة النبوية ٥٠٦/١.

ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين»^(١).

وفي خبر عدي بن حاتم - رضي الله عنه - حينما دعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام قال: «إني على دين . قال: أنا أعلم بدينك منك . . .»^(٢).

وتأسيساً على ما مضى من أدلة؛ فإنه تبين أن هذا المعوق حال بين هؤلاء وبين متابعة الحق الذي يحمله المحاور الكريم ﷺ.

(١) المسند، ٤/٧٥، (وإسناده ضعيف) انظر: (الموسوعة الحديثة) المسند، ٢٧/٢٤٥.

(٢) المسند، ٤/٢٨٥، وإسناده صحيح، انظر المرجع السابق، ٣٠/١٩٦.

الفصل الخامس آثار الحوار النبوي

- المبحث الأول : قبول الدعوة .
المبحث الثاني : كسب مؤيدين جدد للدعوة .
المبحث الثالث : تحييد بعض أصحاب التأثير .

التوطئة:

لاشك أن كل عامل يرغب في حصد ما بذره وتتبع نتائج عمله؛ والداعي إلى الله من أول الناس في الحرص الصحيح في تتبع نتائج دعوته وسعيه، فهو يعمل لنصرة دين الله وإدخال الناس فيه، ونقلهم من الظلمات إلى النور: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(١).

وعليّ - رضي الله عنه - حينما انتخبه ﷺ قائداً فاتحاً سأله: هل نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟^(٢).

فأجابه ﷺ: «امض عليّ رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم أدعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لئن يهدئ الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(٣).

فهذا حث كريم إذ يحرص جنود الإسلام على دخول الناس إلى الإسلام، فإذا كان هذا الجزء الكبير لدخول رجل واحد فكيف بمن يسلم على يديه جمع من الناس أو أمة منهم؟، فالمراد أن قبول الدعوة، ودخول الناس فيها من أهم أهداف المحاور المسلم، ثم يتنزل الترتيب بحسب حال

(١) إبراهيم - ١ - .

(٢) انظر: البخاري مع الفتح . ك/ الجهاد والسير . باب (١٠٢)، (١١١/٦).

(٣) المرجع السابق نفسه والمدرک نفسه، (١١١/٦).

المدعو، فإن المحاور بحسن حوارهِ يستطيع أن يكسب تأييد المدعو وإن لم يدخل في الدين .

والمتتبع لحواراته صلوات ربي عليه التي لا تكل ولا تقف من حين أمر بالندارة، يجد أنه ﷺ يسعى بجهد وبحرص على هداية الآخرين، وأنه قد حاور جميع طوائف وأصناف المدعوين أتم حوار، وأقام عليهم ما أفحمهم من الحجج، حتى عدل بعضهم إلى محاربتة بعد أن عجزوا عن رد قوله وكسر حجته، واختار بعضهم مسالته ومشاركته، وبعضهم بذل الجزية عن يد وهو صاغر، كل ذلك بعد إقامة الحجة عليهم، وأخذها بكظمهم وأسرها لنفوسهم وما استجاب له من استجاب إلا بعد أن وضحت له الحجة، ولم يجد إلى ردها سبيلاً، وخالفه فريق منهم عناداً وتكبراً بعد أن بان لهم السبيل واتضح الحق، فما قام الدين إلا على ساق الحجة^(١).

وعطفاً على ما ذكر، فإن الحوارات النبوية أثرت بأصناف المدعوين، ونتاج منها آثار طيبة أفادت الدعوة، فقد دخل الناس في دين الله أفواجا، ومن لم يدخل فقد كسبت الدعوة من يساندها ويؤيدها أو يكف شره عنها.

(١) انظر: ابن القيم . مفتاح دار السعادة، (٤٥٣).

المبحث الأول
قبول الدعوة



المبحث الأول: قبول الدعوة

والحوارات النبوية استهدفت أولاً جذب الناس إلى الإسلام وقبوله، وكان ﷺ ما يدع فرصة إلا ويحاور فيها المدعويين بشتى أصنافهم، وفوارقهم، لا يميز بين أحد في حرصه لاستمالتهم إلى الدين القويم.

وفي أخبار السيرة النبوية توالى الروايات والأخبار الكثيرة التي تذكر أول الناس في الدخول إلى الإسلام وقبوله، وهي تكاد تتفق بأن أول الداخلين إلى الدين من الرجال أبو بكر - رضي الله عنه -، ومن الصغار علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ومن المواالي زيد بن حارثة - رضي الله عنه -، ومن النساء خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها^(١) - .

وإسلام أبي بكر وعلي رضي الله عنهما تنقل أخبار السير أنهما أسلما بعد حوار معه ﷺ يدعوهما فيه إلى الإسلام^(٢) .

وبدأ أبو بكر - رضي الله عنه - يحاور بعض من يثق بهم ويدعوهم إلى الله عز وجل .

فلما أسلم أبو بكر - رضي الله عنه - أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله، «وكان أبو بكر رجلاً مألماً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً

(١) انظر: ابن كثير. السيرة النبوية ١/ ٤٣٢ .

(٢) انظر: تفصيل الحوارات في ص: من البحث .

ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته، وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه»^(١).

فأسلم عدد من كبار الصحابة على يد أبي بكر - رضي الله عنه -^(٢).

ومن قبل هذه الدعوة وتأثر بحوار الرسول الكريم ﷺ وبما جاء به من حق الطفيل بن عمرو الدوسي، يقول يحكي إسلامه «عرض علي رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت الحق، وقلت: يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام»^(٣).

فهذا الصحابي الكريم، يصف نفسه بأنه رأس مطاع في قومه، وقبوله الإسلام يعني إقبال كثير من قومه على هذه الدعوة، فأول ما وصل ديار قومه بدأ يحاور يحاور قومه إلى هذا الدين باخلاص وصدق، وكأنه قد آمن قبل عشرات السنين حتى استمكن منه هذا الدين.

فبدأ بأهله يقول محاوراً في تبعية هذا الدين ومبلغ أثره «فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، قال: فقلت: إليك عني يا أبي، فلست منك ولست مني قال: ولم يابني؟ قال، قلت: أسلمت وتابعت دين محمد

(١) ابن هشام. السيرة النبوية ١/ ٢٥٤.

(٢) انظر المرجع السابق ١/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(٣) ابن هشام. السيرة النبوية ١/ ٤٠٢، ٤٠٣، قال ابن كثير (وهذه القصة ذكرها محمد بن إسحاق

مرسله بلا إسناد، ولخبره شاهد في الحديث الصحيح) انظر ابن كثير، السيرة النبوية، ٢/ ٧٦.

ﷺ، قال: أي بني فديني دينك، قال، فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت. قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه، قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، فأسلم^(١)، وهكذا فعل مع زوجه دعاها إلى الإسلام وأن تتبرأ من أدناس الجاهلية، وأصنامها ففعلت.

واستمر في قومه يدعوهم إلى الإسلام ولكنهم ابطأوا عليه فعاد إلى الرسول ﷺ يشكوهم ويطلب منه أن يدعو عليهم ولكنه ﷺ دعا لهم ورده إليهم، وأمره أن يدعوهم برفق، فعاد بعد الهجرة إلى المدينة ومعه ثمانين بيتاً من دوس^(٢).

فهذا الصحابي الكريم بعد أن تأثر بحوار الرسول ﷺ له ودعوته إلى الإسلام لم يكتف بإسلامه، بل عاد إلى قومه داعياً محاوراً حتى أدخل على يديه جمع كبير منهم، ثم عاد بهم إلى الرسول ﷺ.

وفي الطائف وبعد دعوته لأهلها وما لقيه منهم، وفي ركن من أركان الطائف جلس يستريح من هذا العناء ويدعو ربه الكبير المتعال يشكو ضعفه وقلة حيلته.

فجاءه رجل نصراني يقال له عداس ومعه قطف عنب فقدمه إلى الرسول ﷺ فلما وضع يده فيه قال: «بسم الله» ثم أكل، ثم نظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ٧٤/٢.

(٢) انظر تنمة الخبر المرجع السابق، ٧٤/٢، ٧٥.

ﷺ: ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس وما دينك؟ قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟، فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي.

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه^(١).

وهذا صاحب كتاب وقد دعاه ﷺ بأسلوب يتناسب مع مقامه، فقد استخدم ﷺ بعض المصطلحات التي تلفت نظره كبذته بذكر الله قبل الشروع في الأكل؛ وذكره لاسم النبي يونس عليه السلام؛ وأيضاً تذكيره مقام النبوة الذي يجمع بينهما.

وعدي بن حاتم - رضي الله عنه - يجتمع مع عداس بأنهما يدينان بدين النصرانية، فمن جملة الروايات التي ساقته لقائه بالنبي ﷺ وحواره معه، أنه أسلم بعد الحوار، وتأثر بما حار بينه وبين الرسول ﷺ من مضامين، وحسن عرض، ومن أخلاق وسلوكيات الرسول ﷺ، ومن ذلك ما جاء في رواية على لسان عدي نفسه يقول «أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم. وجئت بغير أمان ولا كتاب. فلما دفعت إليه أخذ بيدي؛ وقد كان قال قبل ذلك إني لأرجو أن يجعل الله يده بيدي قال: فقام بي فلقيته امرأة وصبي معها فقالا: إنا لنا إليك حاجة. فقام معها حتى قضى حاجتها، ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره. فألقت له

(١) ابن كثير. السيرة النبوية ١٥١/٢، وصحح سند قصة عداس الألباني؛ انظر الغزالي، فقه السيرة،

الوليد وسادة فجلس عليها، وجلست بين يديه : « فحمد الله وأثنى عليه »
ثم قال : ما يفرُّك أن تقول : لا إله إلا الله ، فهل تعلم من إله غير الله ؟ قال :
قلت : لا . قال : ثم تكلم ساعة ثم قال « إنما تفرُّ أن تقول : الله أكبر ، وتعلم
شيئاً أكبر من الله ؟ قال ، قلت : لا قال : فإن اليهود مغضوب عليهم ، وإن
النصارى ضلال ، قال ، قلت : فإنني حنيفاً مسلماً . قال : فرأيت وجهه
تبسط فرحاً»^(١) .

وعدي هو رأس في قومه ، وطبقت سمعة أبيه الآفاق ولا يزال الناس إلى
يوم الناس هذا يضربون به الأمثال ، ودخوله في الدين بعد حوار الرسول
ﷺ معه ، يعني تأثر قومه ، ومن يسمع به .

وعمر بن عبسة - رضي الله عنه - يحكي خبر إسلامه ومحاورته
للرسول ﷺ فيقول : « أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة ، وهو
حينئذ مستخف ، فقلت : ما أنت ؟ قال : أنا نبي . فقلت : وما النبي ؟ قال :
رسول الله ، قلت : آله أرسلك ؟ قال : نعم . قلت : بم أرسلك ؟ قال : بأن
تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الأصنام ، وتوصل الأرحام ، قال :
قلت نعم ما أرسلك به ، فمن تبعك على هذا ؟ قال : حر وعبد . يعني أبا
بكر وبلاياً . قال : فأسلمت . . . الخبر»^(٢) .

مما سبق تثبت آثار الحوار في قبول الدعوة مما يغني عن الإطالة بإيراد
الشواهد الكثيرة على المعنى المراد ؛ لأن المقام مقام إثبات لا مقام استقصاء .

(١) صحيح سنن الترمذي باختصار المسند . ك/ التفسير . باب (من سورة فاتحة الكتاب) ١٩/٣ .

(٢) المسند ٤/ ١١١ ، (حديث صحيح) ، انظر (الموسوعة الحديثية) مسند الإمام أحمد ، ٢٣٢/٢٨ .

المبحث الثاني
كسب مؤيدين جدد للدعوة

١ - حاجة الدعوة إلى كسب التأييد:

إن الدعوات تحتاج إلى من يؤيدها ويعضدها وهذه سنة ربانية، امضاها المولى جل وعلا، ولعله من أوضح الأدلة وأغربها أن أشد أعداء الدعوة وبسخرة من الله يحرس ويرعى الداعي، فإذا بلغ أشده وأمر بالندارة واجه هذا الخصم العنيد الذي تربى في جنات داره وتحت رعايته، ذلكم ما حدث لموسى (عليه السلام): ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْدِفِي فِي الثَّابُوتِ فَأَقْدِفِي فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾^(١).

وعن مبلغ هذه السخرة العجيبة يقول تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾﴾^(٢)، أي مقدرًا مقدورًا من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل حذراً من وجود موسى، فحكم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة أن يربى على فراش فرعون، ويغذى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجته له ولهذا قال تعالى ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾^(٣) أي عند عدوله جعلته يحبك^(٤) فهو عند فرعون في بيت الملك ينعم ويترف، بعيداً عن

(١) طه (٣٧-٣٩).

(٢) القصص - ٨ - .

(٣) طه - ٣٩ - .

(٤) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٠٠.

الذبح كغيره، غذائه غذاء الملك^(١).

وفي مواضع عدة تتعدد الدلائل في هذا التأييد لموسى (عليه السلام)، ففرعون ومن تبعه لا يشعرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجج القاطعة^(٢).

وفي قصة شعيب (عليه السلام) ينص المولى جلا وعلا على هذه الحقيقة وارتباط الداعي بالبيئة التي حوله، يقول تعالى حكاية عن ذلك ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾^(٣)، فلولا معزة قومه لرجم بالحجارة وشتم^(٤) فالاحترام والتقدير في الصدور والنفوس إنما هي لقبيلته^(٥).

وأما هو فقليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها^(٦)، وهو في نظرهم وحيد لا جند له ولا أعوان تقدر بها على معاندتهم^(٧)، وإنما يراعون جانب

(١) انظر المرجع السابق نفسه ٢٠٠/٣.

(٢) انظر المرجع السابق ٥٠٦/٣.

(٣) هود- ٩١.

(٤) انظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٦٠١/٢.

(٥) انظر ابن سعدي. تفسير الاكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٤٠٨، ٤٠٩.

(٦) انظر القرطبي. الجامع لأحكام القرآن ٩١/٩.

(٧) انظر المرجع السابق ٩١/٩.

رهطه الذين يدافعونهم^(١) وهم عشيرته التي يستند إليها ويتقوى بها^(٢).

ويوسف عليه السلام، أيده الله بثقة العزيز، ومكنه في الخزائن ﴿ وَقَالَ
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۗ ﴾^(٣)
وهذا من لطف الله به ورحمته وإحسانه إليه، بما يريد أن يؤهله له ويعطيه
من خيري الدنيا والآخرة^(٤).

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٥) أي وكما قيضنا هذا العزيز وامرأته
يحسنان إليه ويعتنيان به مكننا له في أرض مصر^(٦)، فقد أعطف الله قلب
الملك عليه حتى تمكن من الأمر والنهي في البلد الذي الملك مسؤول
عليه^(٧)، فصارت له مكانة وثبات بين أهل مصر^(٨).

والرسول الكريم ﷺ أيده الله بريادة عمه أبي طالب وهو من رجالات
العرب المعدودين، ومن يرجع إليهم في الرأي، وتحسب له قریش كل
حساب.

(١) انظر أبي السعود. تفسير أبي السعود ٤/ ٢٣٥.

(٢) انظر القرطبي. الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٩١.

(٣) يوسف - ٢١ - .

(٤) انظر ابن كثير. قصص الأنبياء ٢٣٧.

(٥) يوسف - ٥٦ - .

(٦) انظر المرجع السابق ٢٣٧، ٢٣٨.

(٧) انظر القرطبي. الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٦٠.

(٨) انظر أبي السعود. تفسير أبي السعود ٤/ ٢٦٢.

يقول ابن كثير ^(١) رضي الله عنه في مبلغ موقف أبي طالب «وكان رسول الله ﷺ أحب خلق الله إليه طبعاً، وكان يحنو عليه ويحسن إليه، ويدافع عنه ويحامي، ويخالف قومه في ذلك مع أنه على دينهم وعلى خلتهم إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حباً طبيعياً لا شرعياً، حتى قال في الرسول ﷺ والرسالة شعراً بين فيه مبلغ وقوفه في صف الرسول ﷺ ودفاعه عنه، ولا يخفى اهتمام العرب بالشعر إذ هو سجلهم ومكان مآثرهم وتاريخهم وفخرهم» ^(٢).

وكان وقت الأزمة ينادي في بني هاشم يحثهم ويحرضهم على مناصرة الرسول ﷺ والقيام دونه ^(٣).

وحينما عاد من الطائف ﷺ استجار بالمطعم بن عدي واستثمر هذا العرف الجاهلي ليفيد منه بغية ممارسة الدعوة بلا معوقات.

آثار الحوارات في كسب المؤيدين:

وفي هذا المبحث تتبع الحوارات النبوية التي نتج منها كسب مؤيدين جدد للدعوة، سواء كان الحوار مباشراً مع هؤلاء المؤيدين أو مع قريب منهم في نسب أو قومية أو تبعية أو تربطهم به صلات.

وفي عرضه نفسه على القبائل العربية في المواسم كان منهم «بنو عامر»

(١) السيرة النبوية ٤٦١.

(٢) انظر قصيدته البليغة في ابن كثير. السيرة النبوية ١/٤٨٦ - ٤٩١.

(٣) انظر المرجع السابق نفسه ١/٤٧٧.

جاءهم في منازلهم فحاورهم في أمر الدعوة ودعاهم إلى الله^(١).

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبدالمطلب، يزعم أنه نبي، يدعوننا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا، قال: فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بني عامر هل لها من تلاف؟^(٢).

هل لذُنابَها من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده ماتقولها إسماعيلي قط، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم؟^(٣).

وهكذا كان ﷺ في مواسم العرب فلا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدئ له، فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده^(٤)، ومن هؤلاء سويد بن الصامت، وكان قومه يسمونه الكامل لجلده وشرفه ونسبه^(٥).

(١) انظر تبين هشام، السيرة النبوية، ٣٨/٢.

(٢) أي تدارك يقال تلافئ فلان الأمر إذا أدركه قبل ذهاب وقته. انظر ابن منظور. لسان العرب مادة: «لقئ».

(٣) ابن هشام. السيرة النبوية ٣٩/٢.

(٤) انظر المرجع السابق نفسه ٤٠/٢.

(٥) انظر المرجع السابق نفسه ٤٠/٢.

فتصدى له الرسول ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد: فهل معك مثل الذي معي فقال له رسول الله ﷺ: وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان - يعني حكمة لقمان - فقال له رسول الله ﷺ: أعرضها عليّ، فعرضها عليه، فقال له: ن هذا لقول حسن، ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه^(١).

ولما قدم وفد يثرب، عليهم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم أياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: هل لكم في خير مما جئتم له؟ فقالوا له: وما ذلك؟ قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وأنزل عليّ الكتاب. قال: ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن. قال: فقال: أياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً: أي قوم، هذا والله خير مما جئتم به. قال: فيأخذ أنس ابن رافع حفنة من تراب البطحاء، فضرب بها وجه أياس بن معاذ، وقام رسول الله ﷺ عنهم وانصرفوا إلى المدينة^(٢).

وفي خبر أكرم بن صيفي وهو من حكماء العرب، أدرك الإسلام وقد بلغه فخرج النبي ﷺ فأراد أن يأتيه، فأبى قومه أن يدعوه وقالوا أنت كبيرنا

(١) ابن هشام. السيرة النبوية ٤٢/٢.

(٢) ابن هشام. السيرة النبوية ٤٢/٢، ٤٣.

لم تكن لتخف إليه ، قال فليات من يبلغه عني ويبلغني عنه فانتدب رجلان فأتيا النبي ﷺ فقالوا نحن رسل أكتم بن صيفي وهو يسألك من أنت وما جئت به؟ قال النبي ﷺ : أما من أنا فأنا محمد بن عبد الله . قال : ثم تلى عليهم هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) . قالوا أرددنا علينا هذا القول فرده عليهم حتى حفظوه فأتيا أكتم فقالا أبنى أن يرفع نسبه فسألنا عن نسبه فوجدناه زاكي النسب واسط مضر وقد رمى إلينا بكلمات قد حفظناهن فلما سمعهن أكتم قال : أي قوم أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملامتها فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا فيه أذناً ، وكونوا فيه أولاً ، ولا تكونوا فيه آخراً (٢) .

مما سبق تثبت آثار الحوار في قبول الدعوة مما يغني عن الإطالة بإيراد الشواهد الكثيرة على المعنى المراد؛ لأن المقام مقام إثبات لا مقام استقصاء .

(١) النحل - ٩٠ - .

(٢) إبراهيم الأصبهاني ، معرفة الصحابة ، ٤٢٠ / ٢ .

المبحث الثالث
تحديد بعض أصحاب التأثير

التمهيد:-

خلق الله الناس متفاوتين في كل شيء، في أخلاقهم، وطبائعهم، وأمزجتهم، وفي أرزاقهم، وفي وضعهم الاجتماعي.

ومن ذلك مراكزهم وأماكنهم في مجتمعاتهم من حيث التأثير فيمن حولهم، فلا ريب أنهم أصناف متفاوتون، فهناك صنف الملوك وهناك أقل رتبة ولكنهم أصحاب حظوة وسطوة وندوة ذلكم هم الملأ وما يشير إلى ذلك ما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) (١). فمن وصف هذا الطائر السائر في طاعة ربه يتضح مقام الملك والعظمة والعرش.

ثم وقت الجد وبعد الكتاب ماذا فعلت؟ إنها تستشير الملأ ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٩) (٢)، فإذا صنف الملوك، وصنف الملأ يبرزان في النصين السابقين.

والذي يهم في هذه الخطوة من البحث ما لهؤلاء من أثر وتأثير على من دونهم من سائر الناس.

فهذا فرعون بملكه وسطوته ضلت أم تتبعه رغبة ورهبة: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ

(١) النمل- ٢٣ - .

(٢) النمل- ٢٩ - .

فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ (١)

فبملكه حينما ضل أضل معه عالماً كثيراً ويقول تعالى حكاية عن مبلغ هذا الضلال البعيد ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٢).

أما المملأ وهم من يلونهم ويوالونهم وهم الكبراء والسادات والأشراف (٣) فإن القرآن يبين بوضوح على كثرة الحوارات القرآنية أن هؤلاء هم العقبة في طريق وصول الحقائق إلى المدعوين، فمن لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ وهؤلاء هم تقولون كبر المعارضة فعن نوح عليه السلام ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٤)، وفي خبر هود - عليه السلام - يقول تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَنظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٥).

وكذا صالح - عليه السلام -: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٦).

(١) الزخرف - ٥١ - .

(٢) غافر - ٢٩ - .

(٣) انظر الرازي . التفسير الكبير . ١٤ / ٧ ، وابن كثير . السيرة النبوية ٤٧٣ / ٢ .

(٤) الأعراف - ٦٠ - .

(٥) الأعراف - ٦٦ - .

(٦) الأعراف - ٧٥ - .

وكذا شعيب - عليه السلام - : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾^(١) .

وفي دعوة محمد ﷺ ومحاوراته يقول تعالى عن هؤلاء : ﴿ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾^(٢) ، وقولهم هذا بعد حوار أثير مع الرسول ﷺ مما يعني أنهم يحولون بين وصول الحق واضحاً لا لبس فيه وبين المحاورين ، وفي القرآن دلالة على ذلك مع ما سبق من الأدلة في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾^(٣) ، فهم يحظون عادة بامتيازات أدبية واجتماعية ومالية وطاعة عمياء من الاتباع ، فأنى لهم التنازل عن ذلك .

وصنف لا يقل خطره وبطره مع الفارق ، وهم صنف علماء وهؤلاء تركزوا في حوارات الرسول ﷺ مع أهل الكتاب من يهود ونصارى . فلمبلغ تأثير هؤلاء يقول الرسول ﷺ عن أخبار اليهود «لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود»^(٤) .

(١) الأعراف - ٨٨ - .

(٢) ص - ٦ - .

(٣) الأحزاب - ٦٧ - .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح . ك / مناقب الأنصار . باب (إتيان اليهود النبي ﷺ حيث قدم المدينة) ٧ / ٢٧٤ .

فكل واحد من هؤلاء رئيس في اليهود ولو أسلم لاتبعه جماعة، وهذه أبرز الأصناف أصحاب التأثير في زمان الرسالة المحمدية .

فهو ﷺ يعرف أن هؤلاء هم العقبة الرئيسة ولذا يبذل جهده في دعوتهم ومحاورتهم وإن لم يستجيبوا انتقل إلى العرض بأن يخلوا بين الناس وبين الوصول للحق فقد جاء في رسالته ﷺ إلى هرقل : «فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»^(١)، ويذكر في رواية أخرى قوله «وإن لم تدخل في الإسلام فلا تخل بين الفلاحين وبين الإسلام»^(٢)

ومن ثم هناك من الأتباع من يتعلق بهؤلاء تعلقاً نفسياً بعيد المدى ومما يدل على ذلك ما جاء في أخبار عمرو بن لحي الخزاعي يقول عنه ابن كثير: «وكان قوله وفعله كالشرع المتبع، لشرفه فيهم ومحلته عندهم وكرمه عليهم»^(٣).

فإن التأثير على هؤلاء يعني التأثير على من دونهم من الأتباع لأن هذه عند كثير من الناس من العادات والأعراف التي نشأوا عليها، من تعلق بالآباء والزعماء، وقد ترسبت في نفوسهم محبة هؤلاء والذود عنهم والغضب والتعصب لهم .

(١) البخاري مع الفتح . ك/ بدء الوحي . باب (٧) ١/ ٣٢ .

(٢) ابن حجر . فتح الباري . ١/ ٣٩ .

(٣) ابن كثير . السيرة النبوية . ١/ ٦٢ .

وابن كثير تحدث عن أهمية إسلام أبي بكر - رضي الله عنه - وأن إسلامه كان أنفع من إسلام غيره إذ كان صدرأ معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام، وكان محبباً متألماً يبذل المال في طاعة الله ورسوله»^(١)

وفي دعوته ومحاوراته ﷺ كان يراعي ويفطن لذلك رغبة في نصرة الحق، وكان ﷺ في دعوته «لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدئ له ودعاه إلى الله تعالى، وعرض عليه ما عنده»^(٢)، ولثلا ينفر الناس من الدعوة وجاء في البخاري «وكان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملأهم، وقتلت سرواتهم»^(٣) وجرحوا، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام»^(٤)، فهل من حديث يبين أهمية تحييد هؤلاء أكثر من ذلك؛ يقول ابن حجر في توجيه المراد: فقتل فيها من أكابرهم من كان لا يؤمن، أي يتكبر، ويأنف أن يدخل في الإسلام، حتى لا يكون تحت حكم غيره، وقد كان بقي منهم من هذا النحو عبدالله بن أبي سلول، وقصته في ذلك مشهورة مذكورة»^(٥).

(١) ابن كثير. السيرة النبوية. ٤٣٢/١.

(٢) المرجع السابق نفسه ١٧٣/٢.

(٣) «سرواتهم» أي خيارهم وهم الأشراف. انظر ابن حجر. فتح الباري ١١١/٧.

(٤) البخاري مع الفتح. ك/ مناقب الأنصار. باب (مناقب الأنصار) ١١٠/٧.

(٥) ابن حجر. فتح الباري ١١١/٧.

وهل ما فعله رأس النفاق من الشريسة ذكره، وهل يخفى أمره ومدارة الرسول ﷺ له في كثير من المواطن، فهذا واحد من المأل فعل ما فعل، واعترض طريق الدعوة، وحال بين كثير من المحاورين وبين الدعوة.

ولذلك خصص عطاء لمن اشتهر باسم «المؤلفة قلوبهم» وهم عادة من الكبراء والمتبوعين، جاء في البخاري «لما كان يوم حنين أثر النبي ﷺ أناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس، ومن هذا تبين أهمية حرصه على تحييد هؤلاء لما في ذلك من مصلحة ظاهرة في جذب الأتباع وتفشي الدعوة بينهم وأعطى عينيه مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشرف العرب فأثرهم يومئذ في القسمة»^(١).

بعد هذه الشواهد الثابتة في مبلغ تأثير هذين الصنفين فيمن عداهم، من تابع ومن متأثر، ومن أمعة لا حدود لتبعيته وخنوعه؛ ينتقل الحديث إلى استشهادات متنوعة في كيفية تحييد هؤلاء.

(١) البخاري مع الفتح . ك/ فرض الخمس . باب (ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه) ٧/ ٢٥١ .

خبيد أصحاب الملك:

ومحاورته ﷺ لهؤلاء لم تكن مباشرة وشفهية ولكنها محاوره مكتوبة أحدثت آثاراً بعيدة المدى وكان لها وقع مؤثر طيب .

ومن ذلك موقف هرقل عظيم الروم ففي الخبر الثابت أن هذه الرسالة حركت كبارات رجال الدولة الرومية إضاهة إلى الملك ، ونص هذه الرسالة الحوارية هو «من محمد بن عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجره مرتين . فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» «ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون»^(١) .

فالذي حدث بعد هذا الكتاب الدعوي يدل أن ملك الروم مال إلى المسالمة وتقدير مقام النبوة ، وجلبه لأبي سفيان - رضي الله عنه - قبل إسلامه وكان في ديارهم ثم أدار حواراً هاماً يستفسر فيه عن حقيقة الرسالة والرسول ﷺ .

وفي نصوص البخاري دلالات واضحة على موقفه الإيجابي اتجاه الدعوة والداعي لها .

(١) البخاري مع الفتح . ك / بدء الوحي . باب (٧) ١ / ٣٢ .

ومن ذلك ما جاء في الخبر بعد أن أتم حوارهم مع أبي سفيان قال «فإن كان ماتقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن إنه منكم، فلو إني أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه»^(١).

ويقول أبو سفيان مبيناً الحال الذي كان عليه كبار رجالات دولته «فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات وأقرضها، فقلت لأصحابي حين أخرجني، لقد أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر فما زلت مؤمناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام»^(٢).

فالذي يظهر من هذين النصين بوضوح أن ملك الروم لزم الأدب مع كتاب الرسول ﷺ، وبين أنه لو استطاع الوصول إليه لخدمه بنفسه.

بل جاء في الأخبار أنه رد الحوار إلى الرسول الكريم ﷺ بكتاب منه جاء فيه «إني أحمد رسول الله، الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم، إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم، ولوددت أنني عندك، فأخدمك، وأغسل قدميك»^(٣).

(١) البخاري مع الفتح. ك/ بدء الوحي. باب (٧) ١/ ٣٢.

(٢) البخاري مع الفتح. ك/ بدء الوحي. باب (٧) ١/ ٣٣.

(٣) محمد حميد الله مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، دار النفائس. بيروت. (ط: ٥).

فهذا مع كسرى كانوا أكبر ملوك الدنيا آنذاك ، فكون هذه الرسالة الحوارية تفعل هذا الفعل مع ملك الروم فإن هذا له ولعل ذلك يفسر أيضاً شيئاً من الحكم المنادة من صلح الحديبية ولم سميت فتحاً؟
فهذا أبو سفيان وهو من أكبر رجالات قريش وأعظمها شأواً تأثر وداخلته هيبة ووجل للرسول ﷺ «لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ، إنه يخافه ملك بني الأصفر» .

وماذا قال عروة بن مسعود أحد كبراء العرب بأجمع حتى قيل إنها فيه نزلت الآية ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾^(١) .
يقول بعد رجوعه من الرسول ﷺ محاوراً مختاراً من قبل قريش في الحديبية «أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفد على قيصر وكسرى والنجاشي والله أن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها»^(٢) .

بل ثبت في المسند أنه كان بينهم سفارات ، فبعد مدة وفي أثناء غزوة تبوك أرسل كتاباً إلى قيصر فرد على ذلك بأن أرسل سفيراً إلى الرسول ﷺ

(١) الزخرف - ٣١ - .

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ الشروط ، باب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط) ، ٥/ ٣٣٠ ، ٣٣١ .

وجاء في الخبر «فانطلقت بكتابه حتى جئت بتبوك، فإذا هو جالس بين
ظهراني أصحابه محتبياً على الماء، فقلت: أين صاحبكم؟ قيل: ها هو ذا
فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه، فناولته كتابي، فوضعه في حجره،
ثم قال: ممن أنت؟ فقلت: أنا أحد تنوخ. قال: هل لك في الإسلام،
الحنيفية ملة أبيك إبراهيم؟ قلت: إني رسول قوم وعلي دين قوم، لا أرجع
عنه حتى أرجع إليهم. فضحك وقال: إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله
يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين» .

يا أخا تنوخ، إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه، والله ممزقه وممزق
ملكه، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة، ولما قرأ الكتاب على رسول الله
فإذا فيه: تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال
رسول الله ﷺ: سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟ .

فمن جملة ما ذكر يتبين مبلغ الأثر الذي أحدثه اتصال الرسول الكريم ﷺ
بينه وبين هذا الملك، فقد ارتعدت فرائصه، وتحقق من أمر الرسول ﷺ
وحاوره مكاتبه، وأجرى حواراً شهيراً مع الملأ من قريش، والناس على
دين ملوكهم، فلا شك أن لهذا أثر على أتباعه إذا سمعوا بما جرى وشاع
الخبر من رهبته وخضوعه لكتاب الرسول الكريم ﷺ .

والرسول ﷺ أورد هذه القصة الحوارية، في خبر الغلام صاحب قصة الأخدود حينما أراد انتشار النور وجه السهم الأخير إلى الملك فاستغل سطوته وجبروته واشترط أنه إذا أراد أن يقتله فلا بد من جمع الناس ضحى، ورفع الصوت بذكر اسم رب الغلام، فعند سماع الناس اسم الله على لسان الملك آمنوا ودخلوا في دين الغلام.

جاء في ذلك قال الغلام للملك: «إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل باسم الله، رب الغلام، ثم أرمني؛ فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه علي جذع ثم أخذ سهماً في كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله، رب الغلام، ثم رماه فوضع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام^(١)»

تحييد الملأ والكبراء:

لقد استطاع الرسول ﷺ بحسن حوارهِ، وباختياره لمضامين حديثة أن يجذب الملأ ويميلهم إلى المسالمة.

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب (قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام) حديث رقم (٣٠٠٥): ١١٩٧.

ومن ذلك أنه بعد حوارهِ ﷺ مع عتبة بن ربيعة رجع إلى قومه فساعة رأوه قالوا: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به .
وبعد أن استقر به المقعد وقال ما قال في القرآن من ثناء قال في آخر حديثه وحواره مع قومه حائثاً لهم بأن يتركوا الرسول ﷺ ودعوته: «اطيعوني واجعلواها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به»^(١).

فهذا من رجالات قريش المعدودين في سنهم وشرفهم وحلمهم، ولما يقول وزنه وقيمته وفي رواية أنه بعد الحوار الذي جرى بينه وبين الرسول ﷺ «لم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم»^(٢).

وكبير منهم هو الوليد بن المغيرة يروي ابن عباس رضي الله عنهما يقول شأنه «إن الوليد بن المغيرة جاء إلى الرسول ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له»^(٣).

ولبلغ أثر تحييد مثل هؤلاء فإن شيطان قريش أبو جهل يبادر يخز الوليد

(١) ابن هشام . السيرة النبوية ١/ ٢٩٤ ، ٢٩٥ . وابن كثير . السيرة النبوية ١/ ٥٠٥ .

(٢) ابن كثير . السيرة النبوية ١/ ٥٠٢ .

(٣) ابن كثير . السيرة النبوية . ١/ ٤٩٨ .

في كبريائه ويقول بعد أن عرف أنه مال لما يقول محمد ﷺ «يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله»^(١).

وعلماء أهل الكتاب، لقد أثر فيهم الحوار النبوي حتى مالوا إلى مسالمة الرسول الكريم ﷺ والدخول في حكمه وطاعته فقد جاء في البخاري «جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال، فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلا عتنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالوا: إنا نعطيك ما سألتنا وأبعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً»^(٢).

وذكر أهل العلم أن ثمانين آية من أول سورة آل عمران نزلت في قدوم وفداهم إلى الرسول ﷺ.

(١) المرجع السابق نفسه ٤٩٨/١ .

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ المغازي . باب (قصة أهل نجران) ٩٣/٨ .

الفصل السادس

سمات الحوار النبوي وأوجه الاستفادة منه

- المبحث الأول : تحديد الهدف
- المبحث الثاني : مراعاة الأولويات
- المبحث الثالث : المخاطبة على قدر العقل .
- المبحث الرابع : أوجه الاستفادة من الحوار النبوي

المبحث الأول
تحديد الهدف

تحديد الهدف

التمهيد:

إن تحديد الأهداف أهم الخطوات في حياة أي إنسان؛ إذ أن تحديدها بوضوح ورسم معالمها، له أكبر الأثر، في إنتاجه وسلامة سيره إلى تحقيق هذه الأهداف ويختلف الناس في تحديد أهدافهم.

وقد عنت كل فئة بتحديد أهداف واضحة بحسب حاجاتهم ومصالحهم؛ يدفعهم إلى ذلك بواعث شتى، فكبار الساسة لهم أهدافهم، والقادة، والمربون والاقتصاديون، وغير أولئك كثير.

ويلاحظ أن الذين يحددون أهدافهم بوضوح؛ هم أكثر تفوقاً ونجاحاً من غيرهم.

وبدراسات علمية على فئة من الطلاب الذين هم بسنة التخرج وجد أن معدل ٣٪ فقط من هؤلاء هم الذين حددوا أهدافاً واضحة وحددوا خططاً لانجاحها، وبعد ذلك بعشرين سنة توبعت الدراسة؛ فتيين أن هؤلاء وضعهم المالي يعادل دخل النسبة الباقية^(١).

فتحديد الأهداف الواضحة يحفز إلى بذل الجهد وتركيزه، فيسلم من الفوضى والضياع.

(١) انظر برايان تريس . علم نفس النجاح . ٣٥ (ط : ١) ١٤١٢ هـ .

ودارسوا التربية وموجهوها يؤكدون أن فشل المناهج التربوية يعود إلى عدم تحديد أهدافاً تتسق مع الإنسان من حيث مصدر خلقه ومركزه في الكون، ووظيفته في الحياة وغاية وجوده^(١).

والتحديد الدقيق يدفع الآخرين إلى الإيمان واحترام الدعوة إذا كانت محددة الأهداف.

فمنطق الحق والقوة جعل جعفرأ الطيار - رضي الله عنه - يقف بين يدي النجاشي بثبات وبلا تلكأ بين الدوافع التي دعت إلى إتباع هذا الدين القويم محدد الأهداف، وافتتح حديثه بما يدل على أنهم انتقلوا من دين الفوضى إلى دين النظام، فبين حال الفوضى العارمة التي كانوا عليها في الجاهلية وتسلسل وتدرج بذكر آفاتها وظلماتها من عقائد شركية، وفساد في الأخلاق، وحياة الظلم والقهر، واستعباد بعضهم لبعض^(٢).

وأحد الصحابة الكرام السابقين للإسلام يبين في قصة إسلامه وأنه سأل الرسول ﷺ بأي شيء أرسل. قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء»^(٣).

فتحديد الأهداف أزال مايتغير في بث الدعوة ومعرفة مضامينها

(١) انظر د. عبدالأمير شمس الدين. الفكر التربوي العربي الإسلامي. ١٣٣. الشركة العالمية للكتاب.

(٢) انظر: المسند، (٣/٢٦٦).

(٣) صحيح مسلم، ك/ صلاة المسافرين (فضائل القرآن)، باب (إسلام عمر بن عبسة)، حديث رقم

[١٩٣٠]، ص: ٨٠٨

فجعفر - رضي الله عنه - يذكر في بيان الدعوة كما ذكر الرسول ﷺ، فهم فرؤا إلى الله، وبحثوا عن أرض آمنة لبلوغ هذا الهدف وتحملوا الأنا والعنا من أجله .

فإذا عرف الداعي غايته فقد عرف واجبه، وأدرك أن عليه أن يركز همته ويحصر كل ماله من جهد فكري، وعاطفي، وبدني في بلوغها، وقطع مراحل الطريق إليها .

ولا غرو أن تجد كل نبي يبعث؛ يبدأ بتحديد الهدف الأول من مجيئه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(١) فهذا هو المحور الأول الذي دارت حوله الرسالات، وما نزل من علم ووحى على أنبيائه ورسله، فمن أراد أن يرى هذه الرسالات مجموعة في كلمة واحدة، وموعظة واحدة، فلينظر إلى هذه الحقيقة فإنه يرى كل ذلك يتجه إليها، ويتجمع عندها، يقول تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢) .

فهي القاعدة المتينة والأساس الذي يبنى عليه غيره، والذي لا تصلح حياة البشرية كلها إلا به وله .

ومن أبرز النصوص التي توضح هذه الحقيقة وارتباط كل رسول

(١) الأعراف - ٥٩ .

(٢) إبراهيم - ٥٢ .

بهذه الغاية التي حددها الله جل وعلا - ما حكاه تعالى في قصة شعيب ولوط عليهما السلام، فمن المعلوم تلك الأدواء التي تفشت في أقوامهما، من مشاكل اجتماعية وأخلاقية، ومع خطورتها رأيناها يبدأ دعوتهما لأقوامهما بتوحيد الله سبحانه وتعالى؛ ثم بعد ذلك انتقلا إلى معالجة الأمراض المتفشية في مجتمعاتهما.

وأخبار وقصص الدعاة في القرآن الكريم هي على هذا النهج كما جاء في قصة مؤمن سورة «يس» ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(١)، وقصة مؤمن آل فرعون ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾^(٢)، وحتى الطير في قصة الهدهد يقدم عذره لنبي الله بأنه وجد قوماً انحرفوا عن توحيد الله.

والقرآن يوجه الرسول ﷺ لهذا المغزى ﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾^(٣).

فيكشف هذا النص الكريم أن النور واحد لأنه من الله سبحانه وتعالى فهو واضح المعالم والأهداف ومستقيم، وما سوى ذلك وما صادمه وخرج

(١) يس - ٢٢ .

(٢) غافر - ٢٨ .

(٣) إبراهيم - ١ .

عن نوره وحدوده فهو ضلال وظلام: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾ (٣٢) (١)، وإذا ثبت أن هذا هو الحق، وجب أن يكون ما سواه ضلالاً (٢)، بل ضلالاً بعيداً مستمراً لشدة بعدهم عن الحق وأهدافه فلا يهتدون إلى الطريق الموصلة إليه (٣) فتتخبط بهم السبل المنحرفة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) (٤)، فالظلمات تتعدد بتعدد أسبابها لكن النور ليس له إلا سبب واحد، فسبيل الله مفرد لأنه واحد، وسبيل الشيطان متعددة، وسبيل الناس كذلك متعددة بحسب أهوائهم ورغباتهم وشهواتهم، ولكن سبيل الله واحد، لذلك يجعل الهداية نوراً والضلال ظلمات.

فالتطريق إلى الله واحد فإنه الحق المبين، والحق واحد مرجعه إلى واحد، وأما الباطل فلا ينحصر بل كل ما سواه باطل، وكل طريق إلى باطل فهو باطل.

تحديد الهدف من خلال الدعوة النبوية:

والمتبع لسيرة المصطفى ﷺ يتبين له بوضوح مبلغ الاهتمام بتحديد الأهداف بدرجاتها، وبذل النفس والنفيس للوصول إليها، والثبات عليها

(١) يونس - ٣٢ -

(٢) انظر التفسير الكبير (١٧ / ٧١).

(٣) انظر: محمد رشيد رضا. تفسير القرآن الحكيم، (٥ / ٢٢٥).

(٤) الأنعام - ١٥٣ - .

في أحلك المواقف، وعند أصعب الظروف .

فمن المعروف أن العرب إبان بعثته ﷺ كانوا في أسوأ حال في جميع مناحي الحياة، وهذا منشور بصورة واضحة متواترة في شتى المؤلفات، فهم متفقون على تردي حال العرب الدينية، والاجتماعية، والسياسية، وكان أول ما دعاهم إليه ﷺ عبادة الله وحده وفي سبيل هذا الهدف عانى ما عاناه ﷺ، وبذل المشركون كل ما في وسعهم لثنيه عن ذلك ترغيباً وترهيباً حساً ومعنى، فاتروا عليه واتهموه بالجنون تارة وأخرى بالسحر وغير ذلك، وهذا أنكى من الحرب الحسية؛ والتي مارسوها بكل أشكالها من رمي القاذورات، والأذى في طريقه وإلقائها على جسده الطاهر وهو يصلي وتعدى ذلك لمحاولة قتله ختلة .

وكان ذلك في بداية نشأة الدولة الإسلامية، وهي في طور البناء والإعداد، مما يعني أنها بحاجة إلى العون .

وحتى في هجرته ﷺ، تابعوه حرصاً على هدم دعوته واستئصالها باستئصاله .

وتحديد الهدف يجعله ﷺ يحرص على الاستعانة بمن توجهوا لهذا الهدف، ولنصرته أولاً وقبل كل شيء، ومن ذلك أنه أتى النبي ﷺ رجل

مقنع بالحديد فقال: يا رسول الله أقاتل أو أسلم؟ قال: «أسلم ثم قاتل»
فأسلم ثم تقاتل فقتل. فقال رسول الله ﷺ: «عمل قليلاً وأجر كثيراً»^(١).

وأكبر من ذلك وأثناء خروجه لأحد فإذا هو بكتيبة خشناء، فقال: من هؤلاء؟ فقالوا: هذا عبدالله بن أبي في ستمائة من مواليه من اليهود، قال: وقد أسلموا؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: قولوا لهم فيلرجعوا فإننا لا نستعين بالمشركين على المشركين^(٢).

وفي ذهابه لبدر صلوات الله عليه يلحقه رجل يذكر منه جرأة ونجدة وهو أشد ما يكون للعون فيرده فيحاوره في الإيمان بالله ورسوله فيأبى فيرده ثم يرده ثانية وثالثة وفي الرابعة عاد وأسلم فقبله^(٣).

وموضع الشاهد في هذه الأخبار الكريمة حرصه ﷺ واهتمامه في سلامة السير لغايته، فهو ميزان إلهي وسعي لمرضاة الله فلم يتوانى أو يؤجل التحقق من إسلام هؤلاء من عدمه، وفي هذا عظة وعبرة لكل مؤمن يسعى لمرضاة الله فلا يقف به الطريق عند عرض من الأعراض الزائلة أو يزين له الشيطان.

(١) البخاري مع الفتح. ك/ الجهاد. باب (عمل صالح قبل القتال ٦/ ٢٤).

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة. الألباني. رقم الحديث (١٠١١) (٣/ ٩٢).

(٣) الأحاديث الصحيحة، (٣/ ٩٢) رقم الحديث (١٠١١).

ومما تقدم من النصوص القرآنية والنبوية يتبين فيما يتعلق بتحديد
الأهداف الركائز التالية:

- ١ - إن تحديد الأهداف خاضع لأوامر الشارع وتوجيهه .
 - ٢ - حرص الرسول ﷺ واهتمامه بسلامة السير إلى تحقيق الأهداف ،
وعدم التواني ، أو التنازل عندما تعترض عوارض .
 - ٣ - حرصه ﷺ على سلامة القلوب من أدرانها وحفظها أكبر من
حرصه على كثرة الأتباع .
 - ٤ - ومما يؤيد ذلك ويؤكد أنه أن الشارع حرص على تصحيح النية في كل
حركات المسلم وخلجات قلبه ، ومن أوضح النصوص وأشهرها قول
الرسول ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١) .
- وقد أطل أهل العلم في وصفهم لمنزلة هذا الحديث حتى جعلوه ثلث
الدين^(٢) ، ومن هنا رأيناهم يذهبون مذاهب شتى في تعليل سبب بدء
البخاري - رحمه الله - صحيحه بهذا الحديث مع أنه لا يتوافق مع العنوان
الذي وضعه لأول كتاب فيه^(٣) .
- ومن أوضح الأقوال وأرجحها أنه كان تأكيداً لحرصه على خلوص نيته

(١) البخاري مع الفتح . ك/ بدء الوحي (١/١٣) .

(٢) انظر : فتح الباري ، (١/١٤ - ١٥) .

(٣) البخاري مع الفتح . ك/ بدء الوحي ، (١/١٣) .

في تأليف الكتاب^(١).

يضاف إلى أن هناك نصوصاً صريحة صحيحة تبين أن نية المؤمن خير من عمله، حيث يثاب المؤمن على نيته وترتفع قيمة عمله بمقدار إخلاصه. وأيضاً فالدعوة مصدرها الله سبحانه وتعالى فينبغي أن تكون لله، وينبغي أن يجتهد في تحديد الأهداف ولا بد من الوقوف فيها عند نصوص القرآن والسنة، فأهداف الدعوة بعمومها وخصوصها وجميع مراحلها لا بد أن يلتزم في تحديدها بضوابط الشرع.

٥ - والوصول إلى الحق هو المقصود من الحوار فالمتتبع لحوارات الرسول ﷺ يرى أنه يحرص على استثمار ذلك بالوصول إلى نتيجة صالحة للدعوة والمدعو، ومن ذلك ما قاله أحد الصحابة - رضي الله عنهم - «كنت عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعتة دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ . فقلت: ألا تقول يا رسول الله،؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي . . فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: أينفعك شيء إن حدثتك؟»^(٢).

ففي هذا توجيه لكل مسلم يكون في مقام حوار أن يوجه حوار له ويحدد ذلك بوضوح للمحاور بل إنه ﷺ كرر هذه الجملة مع بداية كل

(١) انظر فتح الباري، (١/١٤).

(٢) صحيح مسلم ومعه شرح النووي. ك/ الحيف. باب (صفة مني الرجل والمرأة)، (٣/٢٢٦).

جواب يذكر بها محاوره أنه لا يجيب فخراً، أو سمعة، أو انتصاراً لنفسه، بل هو في كل لفظه تخرج من فيه يحدد بثقة هدفه منها، فالرسول ﷺ قبل السماح له يطرح الأسئلة والجواب عليها يبين ما يريد و هذه قاعدة مهمة في فن الحوار لكل مسلم وخاصة مع غير المسلمين .

ومما يدعو للعجب أن طوائف منحرفة تهتم بتحديد أهدافها، وتبرز ذلك في كل عمل لها، وتحديد الهدف بالنسبة لهم يتحكم في اختيار النص، ومستوى اللغة، والزمن أو المناسبة وغير ذلك^(١) .

٦- وضوح الهدف فهو يجذب المدعو ويسهل عملية الدعوة للداعي، فالرسول ﷺ أول ما يدعو في حواراته إلى لا إله إلا الله ويوصي سفراءه ودعاته بها فهو يوصي علياً - رضي الله عنه - يوم خيبر أن أول ماتدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله^(٢) . ، فهذا الوضوح ساهم في نقل الدعوة في حوارات دعائها بثقة وطمأنينة كما سبق الإشارة إليه في حوار جعفر الطيار - رضي الله عنه - مع النجاشي ، ثم سار عموم الصحابة على ذلك ؛ إذا خرجوا من ديارهم وأوطانهم وأهلهم إلى الجهاد في سبيل الله فإذا سألوا ما الذي أخرجكم ، ما الذي تريدون؟ بات الجواب واضحاً سهلاً كما في خبر ربيعي ابن عامر - رضي الله عنه - إذ يقول : خرجنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد^(٣) .

(١) انظر : التنصير ، (خطة لغزو العالم الإسلامي) (الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر البشيري الذي عقد في

مدينة جلين آيري بولاية كلورادو في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨م ونشرته دار marc) .

انظر في حرص الأعداء في تحديد الأهداف لغزو الحق والتأثير به وعليه على سبيل التمثيل : بروتوكولات

حكماء (سفهاء) صهيون وأحجار على رفعة الشطرنج، ترجمة محمد خليفة التونسي، والغارة على العالم

الإسلامي، لشاتليه ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد البياني، مكتبة أسماكة بن زيد بيروت، والأفمن

اليهودية في معاقل الإسلام، عبدالله التل، المكتب الإسلامي بيروت (ط: ٢) .

(٢) البخاري مع الفتح، (٦/٣٨٠) . ك/ السير .

(٣) تاريخ الطبري، (٢/٢٦١) . وانظر: البداية والنهاية . ابن كثير، (٦/٥٦) .

وهذا الوضوح هو الذي دعا بعض المستشرقين أن يعترفوا بأن أهم الأسباب التي تجذب الناس إلى الإسلام هو وضوح الأهداف لدى الدعاة وسهولتها فهماً لدى المدعوين^(١).

٧- بذل النفس في سبيل تحقيق هذه الأهداف وهذا يمثل بوضوح موقف الرسول ﷺ من أهداف الدعوة في المكية إذ بذلت قريش متمثلة في صناديدها كل حيلة وسيلة حسية ومعنوية لثنيه عن الوصول إلى أهدافه فما فعلوا شيئاً، بل وأن القرآن ينزل موضحاً ومشجعاً وأحياناً في أسلوب التحذير أن يحيد عن هدفه كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٢) فاحرص يا محمد ﷺ على التبليغ ولا يثنيك خوف من مخلوق أن تبلغ رسالة الله^(٣) وتبلغ أهداف الدعوة.

ففيه توجيه كريم بأن هذا من الله وينبغي أن يستقيم الداعي على منهجه وخطته وعين الله ترعاه وتسده وتقويه وتحميه ما التزم الصراط المستقيم، ولعل في هذا تفسيراً لما يحدث لبعض العاملين في الدعوة إلا إذا انحرفوا وساروا تبعاً للهوى ورغبة في رضى المخلوقين أو خوفاً منهم.

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام. توماس أرنولد، ص: ٤٥٤ - ٤٥٦.

(٢) المائدة - ٦٧ - .

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٢٣٤).

٨ - المؤثرات التي تؤثر على تحديد الأهداف:

لا شك أن الدعوات تؤثر وتتأثر بما حولها من البيئة ومن المدعوين وغير ذلك من ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية، فهذه كلها مجتمعة لها أكبر الأثر في وضع وتحديد الأهداف العامة والمرحلية.

فالمطلع على سير الدعوة في مكة يرى أن الأهداف الدعوية هي أهداف الدعوة كلياً ولكنها تكيفت مع المرحلة والبيئة في إطار منهج الأولويات من حيث الدعوة نفسها، ووضع البيئة حسب الإمكانيات المتاحة؛ فهذه المؤثرات الواضحة والموضوعية لها مساس واضح في تكيف منهجية العمل، وضبط وبلورة مواقفه.

والعوامل المؤثرة على تحديد الهدف كثيرة من أهمها على سبيل الاجمال:

١ - اختلاف طبائع البشر. فالداعي إنسان، والمدعو إنسان، ولكل إنسان رغباته وشهوته، ومزاجه، وأخلاقه، من الناس الحليم الرزين، ومنهم الغضوب العجول، إلى غير ذلك من الأخلاق التي ركبوا عليها. فحتى رسل الله ولأنهم قدوة للبشر، مما يبرز كونهم بشراً جاءت صفاتهم مختلفة عن بعضهم فهذا موسى - عليه السلام - يقول تعالى: ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة... ﴾.

ومن القرآن عن محمد ﷺ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ

﴿٥٢﴾^(١)، وهذا من رحمة الله في عباده، إذ أن عامة البشر أولى بأن يجنحوا ويخطئوا.

الشاهد في هذا المقام أن هذه الضيعة البشرية لها واقعها الذي يحركها فتسلك سلوكاً معيناً.

٢- العوامل الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية وعامة العوامل المؤثرة في المجتمعات، فهي لها أبعاد لا حدود لها، فتوجه مسار المجتمعات وتؤثر في تكوينه الفكري والنفسي، وهذا له الأثر البعيد في تحديد الأهداف.

٣- خصائص الزمان: فكل عصر فيه خصائص تميزه عن غيره من العصور السابقة، ولا ريب أن هذا له تأثير على سلوك أفراده، بل وطريقة حياة المجتمع بأسره وهذا العصر الحاضر الأكبر دليل واضح، بكل ما يحمله من أثير ومثير، عصر الذرة، والتفجر المعرفي، والتقدم المادي، والاتصالات وانحسار القيم الروحية، وطغيان القيم المادية.

فعلى الدعاة أن يلحظوا ذلك ويحسنوا السعي الحثيث والمتقن وبخاصة في تحديد أهاف لتتوافق وتراعي ذلك فتجد وتجدد في تحديد الأهداف بشتى أنواعها ومراحلها مع الاتباع التام لنصوص الشرع.

وتسير إلى الهدف الأعلى والأكبر الذي خلق الإنسان من أجله ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَاتِ﴾^(٢).

(١) عبس - ٢٠١ -

(٢) إبراهيم - ٥٢ - .

المبحث الثاني
مراعاة الأولويات

أولويات: ١ - تعريف الأولويات:

أ- وفي اللغة لا يتعدى تعريف «الأول» ثلاثة معاني:

١- الذي يترتب عليه غيره فهو الأساس^(١).

٢- القرب.

٣- بمعنى أحق وأجدر^(٢).

وما عدا هذه المعاني، فإنه راجع إليها، أو قريب من معناها، وفي الصحيح قوله ﷺ: «الحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت السهام فلأولى رجل ذكر».

وقوله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة»^(٣)، «أنى أخصهم به وأقربهم إليه»^(٤)، فالجدارة والخصوصية لما يجمعهم من اقتداء، ، ودعاء، وأخوة في النبوة.

والقرب أيضاً بأنه بشر برسول يأت من بعده هو الرسول ﷺ فهو الذي يليه على فترة من الرسل، فهو أقرب الناس إليه^(٥).

(١) انظر الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن ٣١ ، ٣٢ مادة: «أول» .

(٢) انظر ابن منظور . لسان العرب . مادة «ولي» والمعجم الوسيط . مادة «ولي» .

(٣) البخاري مع الفتح . ك/ الأنبياء . باب (٤٨) ٤٧٨/٦ .

(٤) ابن حجر . فتح الباري ٤٨٩/٦ .

(٥) انظر المرجع السابق نفسه ٤٨٩/٦ .

ب- في الاصطلاح :

بهذا المصطلح لم أعثر على ذكر له عند المتقدمين ، وابن حجر في شرحه لحديث من أهم الأحاديث التي هي أصل في ترتيب الأولويات ومراعاتها في بعثه ﷺ معاذاً إلى اليمن^(١) .

تراوحت عباراته بين ذكر :

١ - الترتيب في الدعوة .

٢ - البداية بالأهم فالأهم^(٢) .

فالمراد من مراعاة الأولويات في هذا المبحث هو مراعاة البدء بالأهم فالأهم بحسب الجدارة والقرب للمحاور وموضوع الحوار والمحاور» .

(١) انظر البخاري مع الفتح . ك/ الزكاة . باب (أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقر حيث كانوا)

٣/٣٥٧ حديث رقم [١٤٩٦] .

(٢) انظر ابن حجر . فتح الباري ٣/٣٥٩ .

٢ - مراعاة الأولويات في ضوء الحوار القرآني:

إن المتتبع لأي القرآن الكريم وبخاصة المحاورات التي وردت فيه يشاهد بوضوح أن مراعاة الأولويات لها المكانة البارزة والأولية في الحوار .

ومما يدل على ذلك ما جاء في موضوعات الحوار فإن الدعوة إلى العقيدة له الموضع الأول فما من رسول إلا يدعو قومه إلى توحيد الله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (١) .

ويبين القرآن أنهما دعوا أول ما بدأوا دعوتهم مرتبين أولوياتها، نادوا إلى توحيد الله عز وجل فعن لوط يقول تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

وفي قصة شعيب (عليه السلام) وفي محاورته لقومه يقول ابتداءً : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٣) .

ثم بعد ذلك عرجوا بالدعوة إلى أمور الأخلاق والاجتماع المتفشية بين قومهما، وحتى الهدهد يشير إلى ترتيب الأولويات مستنيراً بنور التوحيد الذي هداه إليه ربه فعنه يقول تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ

(١) النحل - ٣٦ - .

(٢) الشعراء - ١٦١ - .

(٣) الأعراف - ٨٥ - .

تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَّأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ (١).

فهو نبي الله سليمان (عليه السلام) إلى ما هو أهم من السؤال عنه وقضية غيابه، إلى ما طرأ من شرك وعبادة غير الله، ومع هذا فأنا معي العلم اليقين والإحاطة بما غاب عنك.

فهذه قاعدة في ترتيب الأولويات اعتماداً على لبرهان والعلم اليقين، وهي التي تملك مقومات الإقناع والقبول.

فالأولوية تجعل المحاور يثبت على ما بدأ به وأسس عليه دعوته، وترتيب الأولويات في تفكير المحاور ولبه، هو الذي دعا إبراهيم (عليه السلام) يفحم ويلجم ملك من أعتى الملوك في محاوره وردت في القرآن وهي سند في المحاجة والمجادلة.

وذلك في قوله وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ (٢).

فإبراهيم - عليه السلام - راعى الأولويات بدعوته لهذا المتجر المدعي الربوبية بأن ينبه بأن المستحق للربوبية والعبادة وأدلته مشاهدته من إيجاد

(١) النمل - ٢٢ - .

(٢) البقرة - ٢٥٨ - .

الأشياء المشاهدة بعد عدمها ، وعدمها بعد وجودها وهذا دليل على وجود
الفاعل المختار ضرورة لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد من موجد أو جدها^(١) .

فإبراهيم - عليه السلام - بقصد القادر حقيقة لذلك^(٢) وما ل هذا وفزع إلى
المجاز فسلم له إبراهيم - عليه السلام - تسليم الجدل وانتقل معه إلى دليل
آخر مراعيًا لإثبات ما دعا إليه أولاً محيئته^(٣) فبهت الذي كفر .

مراعاة الأولويات في ضوء الحوار النبوي:

فالدعوة تتفاوت وتترتب في بعضها ، في الوضوح والقوة ، وهذا فيه
مراعاة للأولويات أيضاً في سوق الأدلة القوية ، ومراعاة الأولويات في
حواراته الدعوية ﷺ حسب حال المدعو وحاجته ، فقد يأتيه عدد من
المدعوين يحاورونه مستوصينهم بوصية جامعة تقربهم من الجنة وتبعدهم من
النار ، فيجيب مرتباً الأولوية بحسب حاجة المدعو .

ومن ذلك أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، دلني على
عمل إذا عملته دخلت الجنة ! قال : «تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم
الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان»^(٤) .

وفي وصية أخرى يقول لمحاور آخر «قل آمنت بالله ثم استقم» .

(١) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ١ / ٤٢٠ .

(٢) انظر القرطبي . الجامع لاحكام القرآن ٣ / ٢٨٦ .

(٣) انظر المرجع السابق نفسه ٣ / ٢٨٦ .

(٤) البخاري مع الفتح . ك / الزكاة . باب (وجوب الزكاة) ٣ / ١٦١ .

وثالث يقول: «أوصني . قال: لا تغضب . فردد مراراً . قال: لا تغضب»^(١) .

وتجده في حوارات أخرى يجيب بأجوبة مختلفة مع توافق السؤال ووحده ، ومن أشهر ذلك أنه يسأل «أي الإسلام أفضل؟» أو «أي الإسلام خير؟»^(٢) ، فيختلف جوابه من شخص لآخر مرتباً الإجابة حسب حاجاتهم وخصوصياتهم .

ومن الأدلة على ذلك في ترتيب الأولويات أنه سئل أي الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٣) ، وسئل «أي الأعمال أفضل؟ وأي الأعمال خير؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قال: ثم أي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله سنام العمل» ، قال ثم أي يا رسول الله؟ فقال: «حج مبرور»^(٤) .

وسئل «أي الإسلام خير؟» قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لا تعرف^(٥) .

(١) البخاري مع الفتح . ك/ الأدب . باب (الحذر من الغضب) ٥١٩/١٠ .

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ الإيمان . باب رقم (٥) ورقم (٦) ٢٥٤/١ ، ٢٥٥ .

(٣) البخاري مع الفتح . ك/ الإيمان . باب (أي الإسلام أفضل) ٥٤/١ .

(٤) الموسوعة الحديثة . مسند الإمام حنبل ٢٥١/١٣ . حديث رقم [٧٨٦٣] . تحقيق شعيب الأرنؤوط

وآخرون . قال المحقق في سند الحديث «إسناده حسن» .

(٥) البخاري مع الفتح . ك/ الإيمان . باب (إطعام الطعام من الإسلام) ٥٥/١ .

وأجاب العلماء على ذلك بأجوبة من أليقها وأوجهها ما ذكره ابن حجر^(١)
«الحمل على اختلاف حال السائلين أو السامعين فيمكن أن يراد بالجواب
الأول تحذير من خشية منه الإيذاء بي أو لسان فأرشد إلى الكف، وفي
الثاني ترغيب من رجي في النفع العام بالفعل أو القول فأرشد إلى ذلك».

فقد راعى الأولويات لحال المحاور إذ عرف بفطنته وحصافته أن يوجه
كل مدعو إلى البدء بأهم أمر يناسبه.

وفي موضوع آخر يمس الجانب الاجتماعي، وتفاخر الناس بأحسابهم،
وأرومتهم، تجده ﷺ يوجههم إلى ما هو خير.

ومن ذلك إنه سئل من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم». قالوا: ليس عن هذا
نسألك. قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله. قالوا: ليس عن
هذا نسألك. قال: فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية،
خيارهم في الإسلام إذا فقهوا^(٢).

فقد رتب الجواب في جواره بحسب الأقرب إلى رضا الله سبحانه
وتعالى، والتنبه لذلك وملازمته، ونبذ الجاهليات ونعراتها ومنتها.

فالجواب الأول من جهة الشرف بالأعمال الصالحة، والجواب الثاني من

(١) فتح الباري ١/٥٦.

(٢) البخاري مع الفتح. ك/ الأنبياء. باب (قول الله ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾) ٦/٣٨٧.

جهة الشرف بالنسب الصالح^(١).

فالعمل الصالح هو الصلة التي يتوسل بها العبد إلى ربه وهي محك الجزاء والحساب، ولذا بدأ به ورتب الجواب دخولاً من طريقه لتهيأوا بهذا الحوار إلى محمل التنافس الحقيقي، ثم إذ لزموا السؤال ولم يغيروا وجهته انتقل إلى ما هو مرتبط بالجواب الأول فإذا لستم أكبر حساباً ونسباً من هذا الصديق الذي تسلسل نسبه بعدة آباء كلهم أنبياء ورأسهم خليل الله (عليه السلام).

فهذا أقوى في إزالة الترفع في الحسب فمن ذا يزن نفسه بهذه النقوة والصفوة، ومع هذا فهم أنبياء وما يختار الله لهذه المكرمة إلا خيرة خلقه.

فالذي يفهم من خلال هذا الحوار أن هؤلاء النخبة المختارة من الله، كانوا أولى الناس بالنفوس وما استكبروا عن عبادة الله وتوحيده، ولذا عنون البخاري باب (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت - إلى قوله - ونحن له مسلمون).

فما يكشفه فقه الإمام البخاري بهذه الترجمة، أنه أختار هذه الآية لما فيها من سياق لنسب يوسف (عليه السلام)، فما الوصية التي أوصاهم بها في موعظته الأخيرة البالغة التي وجهها يعقوب (عليه السلام) لهم أنه أوصاهم بالشبات على الإسلام، فطمأنوه وردوا بأنهم سيثبتون على عبادة

(١) انظر ابن حجر . فتح الباري ٤١٥/٦ .

الله وحده على الطريق المستقيم، والنور التام ولن يحدوا عن ذلك^(١).

ثم انتقل إلى الجواب المباشر المنتظر من المحاور، وضمنه عدة أولويات فالجواب قال «فخياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية إذا فقهوا».

فهذا تضمن أولويات عديدة ينبغي مراعاتها هي:

١- إن من أراد جواباً مباشراً ينبغي أن يحدد في سؤاله عبارات واضحة دقيقة غير مبهمّة أو مجملة، ولذا قبل جوابه الأخير قال مقررّاً «أفعلن معادن تسألونني؟ . قالوا: نعم».

٢- راعى تعلق العرب بأحسابهم، فاستثلاًفاً لجذبهم لحظيرة الإسلام، فخيارهم في الجاهلية، تبقى خي بينهم في الإسلام بشروط الشارع الحكيم.

ففي هذا حض كريم وتنبه لهم بأن دخولكم الإسلام يزيدكم عزاً ورفعاً ومكانتكم باقية، ويشبه ذلك حوارهم مع العباس - رضي الله عنه - إذ قال «يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً». فقال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن^(٢).

ثم ذكر القسم الثاني وهم أهل الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة

(١) انظر ابن حجر. فتح الباري ٦/٤١٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/٢٧.

شرعاً، ثم أرفع منه من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين .

فهذا واضح أن فيه حُضاً على التنافس المحبوب المراد المقرب من الله جل وعلا ففيه إشارة إلى من هو مشروف في الجاهلية، ومشروف في الإسلام .

ثم الشريف في الجاهلية الوضيع في الإسلام الذي لا يكر ولا يفر في القربات والصلوات الربانية ويبرز فيها كالجهد والدعوة .

ومن مراعاته للأولويات ﷺ ما رواه أبو رفاعة^(١) - رضي الله عنه - يقول « انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب . وقال . فقلت : يا رسول الله رجل غريب ، جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه . قال : فأقبل عليّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إليّ فأتي بكرسي ، قوائمه حديداً ، قال : فقعد عليه النبي ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله ثم أتى خطبته فأتم آخرها» .

فقد راعى الأولوية بترك الخطبة والجواب الفوري على سؤال لا يحتمل التأخير فقد تخترم السائل المنية ، ولأن الإيمان على الفور^(٢) ، فراعى ذلك وبادر إلى تعليمه دينه ، وترك خطبته ، خوفاً على فوات الأهم فترك المهم .

ومن الأدلة الحوارية الدعوية في مراعاته ﷺ للأولويات ويدل على فعله السابق في ترك الخطبة ، ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - «بينما النبي ﷺ

(١) الأبي ، صحيح مسلم ومعه شرحه إكمال إكمال المعلم . ك / الجمعة . باب (حديث التعليم في الخطبة) ٢٤٧/٣ ، ٢٤٨ .

(٢) انظر الإمام الأبي . إكمال إكمال المعلم . ٢٤٨/٣ .

في مجلس يحدث القوم جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال: فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»^(١).

فالأول لم يتوانى في جوابه أما هذا فقد توانى حتى لفت أنظار أصحابه لذلك؛ لأن الجواب لا يترتب عليه ضرر في الدين^(٢)، وإن كان السائل به ضرورة ناجزة كما في الحوار الأول^(٣).

فهو صلوات ربي عليه يرتب الأولويات بحسب حال المسؤول عنه وبحسب السائل، فالحوار الأول يتضمن انقاذ رجل والخوف عليه أن يفوته معرفة الإيمان مما يترتب عليه خطر لو مات وهو لم يحقق ذلك.

والسؤال والحوار الآخر الجواب فيها أو تركه لا يترتب كبير ضرر ولما فيه من تأديب وتعليم لحسن أدب السائل وجودة وأهمية المسؤول عنه^(٤).

(١) البخاري مع الفتح. ك/ العلم. باب (من سئل علماً وهو مشغول في حديثه فأنم الحديث ثم أجاب السائل) ١/ ١٤١، ١٤٢.

(٢) انظر ابن حجر. فتح الباري، ١/ ١٤٢.

(٣) انظر ابن حجر. فتح الباري ١/ ١٤٢.

(٤) انظر المرجع السابق نفسه ١/ ١٤٣ =.

إضافة لذلك فإن ترتيب الأولويات يقتضي أن يدل المحاور المدعو إلى ماهو أولى وأنفع له مما طلبه وسأله إذا كان في السؤال ضرر أو مفسدة؛ إضافة إلى أنه ينبغي أن يرشده إلى عوض له منه ، فيسد عليه باب المحذور، ويفتح له باب المتاح والمباح^(١).

= وقد حدث حوار مشير بين الشافعي والمزني -رحمهما الله- وقد استفاد الشافعي في حواره من أسلوب القرآن والسنة في ترتيب الأولويات ، جاء فيه «فالمزني -رحمه الله- اشغلته قضية في التوحيد فهمس في نفسه أن لا أحد يشفي غليله فيها غير الشافعي فانتقل إلى مكانه في مصر ثم جثا بين يديه فقال : إنني توجهت إليك بعد أن قررت أن لا أحد يجيني غيرك في مسألة بالتوحيد فما الذي عندك؟ فغضب ثم قال : أتدري أين أنت؟ قلت : نعم ، قال : هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون . أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت : لا . قال : هل تلکم نية الصحابة؟ قلت : لا . قال : أتدري كم نجماً في السماء؟ قلت : لا . قال : فكوكب منها تعرف جنسه وطلوعه وأفوله مما خلق؟ قلت : لا . قال : فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه يتكلم في علم خالقه ، ثم سألتني عن مسألة في الرضوء فأخطأت فيها ففرعها على أربعة أوجه فلم أحسن في شيء منه ، فقال : شيء يحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه وتتكلف علم الخالق إذا هجس في خبرك ذلك فارجع إلى الله ، وإلى قوله تعالى ﴿والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض . . . الآية﴾ [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤] ، فاستدل بالمخلوق على الخالق ، ولا تتكلف علم مالم يبلغه عقلك . قال : فثبت .»

انظر الذهبي . سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٢ .

(١) انظر : ابن القيم . أعلام الموقعين عن رب العالمين . ٤ / ١٥٩ ، دار الفكر ، بيروت ، (ط : ١) عام ١٣٧٤ هـ . وقد أشار الإمام ابن القيم إلى أسلوب إيجاد البديل وهذا له أصل في كتاب الله في قصتي شعيب ولوط (عليهما السلام) ، فشعيب حينما نهى قومه عن التدليس قال مذكراً لهم عن البديل الأصح والامثل والابقى ﴿بَقِيْتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (٨٦) ﴿هود: ٨٦﴾ ، ولوط عليه السلام حينما نهى قومه عن فاحشة اللواط ذكرهم بما أحله الله لهم من إتيان الإناث ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ =

مما سبق من أخبار وحوارات اتضح أهمية هذه القاعدة (مراعاة الأولويات) مما يغني عن الإطالة بإيراد الشواهد لأن المقام مقام إثبات لا مقام استقصاء .

= لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ [هود: ٧٨] ، وابن عباس (رضي الله عنهما) حينما نهى رجلاً عن تصوير ذات الروح ذكره بالبديل المناسب قائلاً له وإن كنت لابد فاعلاً فعليك بالشجر .

فأسلوب إيجاد البديل من الأساليب الهامة في الدعوة والتي ينبغي أن يراعيها ويتنبه لها الدعاة في تعاملهم مع المدعوين في شتى مجالات الحياة .

المبحث الثالث
المخاطبة على قدر العقل

المخاطبة على قدر العقل

تفاوت الأفهام أمر طبيعي، تقتضيه دواع عديدة، وهبیه، وكسبیه، وعلمیه، يساعد على سعة هذا الفرق، أسلوب الحياة بعرضه وطوله، فلا ريب أن فهم الصغير؛ يختلف عن الكبير، وكذا فهم المرأة، والناس طبقات، ففهم عامة الناس لمجريات الأمور والأحداث يختلف عن كبار رجالات السياسة والقيادة، وكذا تفاوت الفهم يكون بسبب تفاوتهم في البعد عن الله عز وجل فيما اعتقدوه وارتكبوه، فلكل مستوى من الناس الأسلوب المناسب له في دعوته ونصيحته، وأمره ونهيه، فلكل مقام مقال. فهذا من الحكمة التي ينبغي أن يستحضرها المحاور في كل آن، فما يصلح أن يروى أمام الخاصة قد لا يصلح لعامة الناس وكذا البلاد تختلف عن بعضها لاعتبارات متعددة؛ فكرية وسياسية واجتماعية^(١).

وكثيراً ما يلحظ الناس هذه الفوارق في تعاملهم الدنيوي، وفي خطاب بعضهم لبعض، والذي قد يغفل عنه بعض الدعاة في تعاملهم الدعوي وفي أمرهم ونهيهم! وذلك مع وضوح هذه الفوارق، وبروزها في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية^(٢).

وفي آثار السلف وأخبارهم تظهر مراعاة هذه القاعدة بوضوح ففي أول

(١) أصول الحوار (جمع الندوة) ٤٠، (مرجع سابق).

(٢) انظر د. محمد أبو الفتح البيانوني. جهاد الكلمة (معالمه وضوابطه) ٤٤. دار العلم. دمشق. (ط: ١).

صحيح البخاري وفي كتاب العلم قال البخاري : «باب من خص بالعلم
قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا»^(١) .

وساق كلاماً عن علي رضي الله عنه يقول «حدثوا الناس بما يعرفون ،
ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»^(٢) .

ومما يبرز مكانة هذا الأدب وهذه القاعدة في هذا الحديث أنه رضي الله
عنه يبين أن ذلك يوصل إلى تكذيب الله ورسوله ، ومن هنا حرص
السلف أن يرثوا كلامهم ، وأن يثيروا كثيراً من القضايا الصعبة والمسائل
المشكلة عند القوم .

فقد جاء في البخاري أن عمر - رضي الله عنه - قيل له أن فلاناً يقول : لو
قدمت عمر لقد بايعت فلان فوالله ما كانت ببيعة أبي بكر إلا فلتة
فتمت ، فغضب عمر ثم قال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس
فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم ، قال عبدالرحمن :
فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم ،
فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس ، وأنا أخشى أن
تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير ، وألا يعوها وألا يضعوها على
موضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة ، فتخلص بأهل
الفقه وأشرف الناس ، فتقول ما قلت متمكناً ، فيعي أهل العلم مقالتك
ويضعونها على مواضعها «فاستجاب عمر لقوله» ثم قال : «أما والله - إن

(١) البخاري مع الفتح . ك/ العلم ، باب (من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا) ، ص : ١٤ .

(٢) نفسه والمدرك نفسه .

شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة . . .»^(١) .

والسلف انتبهوا - رحمهم الله - لخطورة تجاوز ذلك إذ عدده الشاطبي -
رحمه الله - ضرباً من الإبتداع ، ومن ذلك التحدث مع العوام بما لا تفهم
ولا تعقل معناه ، فإنه من باب وضع الحكمة على غير وجهها وسامعها إما
أن لا يفهمها - وهو الغالب - وهي فتنة تؤدي إلى التكذيب بالحق والعمل
بالباطل وإما لا يفهم منها شيئاً وهو أسلم .

فالذي ينبغي للمحاور أن يراعي هذا الأدب مراعاة تامة ، فالمحاورون
يتفاوتون في عقولهم وفي طبائعهم وفي عاداتهم .

والإمام الشافعي - رحمه الله - يبين مبلغ أهمية مراعاة ذلك وهو ممن
عرفوا بقوة المحاور والمناظرة . يقول : «لو أن محمد بن الحسن كان يكلمنا
على قدر عقله ما فهمنا عنه ، ولكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا فنفهمه» .

الحاصل أن تعرض الدعوة على نحو يوائم طباع الناس ، وباللغة التي
يفهمونها ، وبلسانهم الذي يتحدثون به .

فإن المتأمل لأي القرآن الكريم ، يرى مراعاة ذلك بين أصناف الدعوة ، إذ
تتفاوت الحوارات والخطاب من فئة لأخرى ، سواء كان هذا الفارق في
الدين والمعتقد ، أو في المكانة والطبقة في النواحي الاقتصادية أو

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الحدود ، باب (رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت) حديث رقم ٦٨٣٠ .
الفتح ، ١٢ / ١٤٤ .

الاجتماعية، فالآيات الموجهة للمؤمنين تختلف في أسلوبها ومضمونها عن الآيات المتوجهة للكافرين، عنها للمنافقين .

فيحاور حيث تنفع الذكرى، فلا يضيع وقته بلا فائدة مرجوة، وعند من لا يقدر ويحيط بالفكرة، وفي القرآن: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾^(١)، فبين تعالى أن الناس ينقسمون إلى قسمين هما:

١ - المتنفعون فقد ذكرهم بقوله: ﴿سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾^(٢).

٢ - غير المتنفعين، وبين أنهم يتجنبون الذكرى المفيدة^(٣).

الشاهد إن في الآية إشارة إلى تفاوت الناس في الاستجابة، وبيان لحالهم لتعلم فيعد المحاور لكل صنف ما يناسبه .

وفي البقرة وهي أول القرآن قسّم تعالى الناس إلى ثلاثة أقسام، أربع آيات تركزت في بيان حال المؤمنين، ثم آيتين في وصف الكافرين الصرحاء، إذ لم يطل لحال المعرفة بهم وبموقفهم ووضوحه .

أما الصنف الثالث ولأنه أخطر الأصناف وأعتاها فقد أطال الحديث عنهم بفارق كبير وهو ثلاث عشرة آية ف يدل هذا التقسيم على التنبيه لهذه الفوارق، إذ أنها تعين المحاور في حسن اختيار الأساليب والمضامين .

(١) الأعلى - ٩ - .

(٢) الأعلى - ١٠ - .

(٣) انظر ابن سعدي . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٠٠٦ (مرجع سابق) .

والقرآن بين أن ارسال الرسل من البشر من حكمه أن يفهموا عنهم ولا يحدث تشويش أو اضطراب في حسن البلاغ.

جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ (٨) ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ (١).

فهذا النص الكريم يرشد إلى حقيقة بالغة الأهمية في التحاور؛ فمداره يقوم على فعالية البلاغ بين المحاور وبين المحاورين.

وهذا لا يتم إلا بوجود إطار دلالي مشترك بينهما يمكّن من الوصول إلى عقل المدعو ووجدانه، ليدرك حقيقة الدعوة فيؤدي إلى الفهم التام بحسب قدراته (٢).

وقد جاء في القرآن قوله تعالى ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾، حتى يمكن الاتصال به والفهم عنه.

وفي الحديث أن جبريل (عليه السلام) تكرر مجيئه للرسول ﷺ بصورة «دحية الكلبي».

يقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٣)،

(١) الأنعام (٨-٩).

(٢) انظر د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي. وظيفة الإخبار في سورة الأنعام ٢٣٦.

(٣) إبراهيم - ٤ - .

فاللسان المقصود به اللغة وما به التخاطب^(١)، لثلا يقول المدعوون لم نفهم ما خوطبنا به كما قال^(٢).

وفي القرآن تفصيل لذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾^(٣).

والرسول ﷺ مع أول نداء دعا للحوار صاح بما يعرفون ويتعارفون به ففي الحديث إنه حين أمر بالندارة والدعوة نادى بقوله: «يا صباحاه»^(٤) فاجتمعوا بسرعة وهمة إليه ومن لم يجيء أرسل من ينوب عنه، مما يعني مبلغ هذا المصطلح وأثره في نفوسهم، فهم يتداعون به وقت الفجيرة ووقت الأزمات وإذا باغتهم عدو.

وما كان بصحب هذه الصيحة من أفعال وسلوكيات جاهلية لا يقرها الشرع.

الحاصل أنه استخدم أسلوباً تعارفوا عليه ويعرفونه مراعيًا بذلك أفهامهم ومستغلاً أعرافهم المباحة.

وهذا يدل عليه ما جاء في حوارات نبوية عديدة ومن ذلك اختلاف حوارهِ لوفد عبدالقيس وضمَام بن ثعلبة النجدي، فضمن حوارهِ من الدعوة

(١) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير ١٣/١٨٦.

(٢) انظر القاسمي. محاسن التأويل ١٠/٦.

(٣) فصلت - ٤٤ - .

(٤) انظر البخاري مع الفتح. ك/ التفسير. باب (تفسير سورة المسد) ٨/٥٠١.

والتعليم ما لم يسعهم جهله^(١).

فزودهم من خلال حوارهم معهم ما يتزودون به حتى يكتمل بسفارات دعوية، وغيرها، إذ بلغهم ما يستطيعون فهمه ومعرفته وتتسع له مداركهم، ثم بالإمكان تفصيل ترتيب دعوتهم وتعليمهم في مناسبات أخرى، ومن ذلك أيضاً أنه يسأل بسؤال واحد فيجيب بأجوبة مختلفة.

ومن أشهر ذلك أنه سأل مرة أي الإسلام خير؟ فأجاب: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(٢).

وسئل أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده^(٣).

فبين أهل العلم أن ذلك لاختلاف الأشخاص والأحوال.

ففي هذه التوجيهات النبوية الكريمة إرشاد ودلالات لمن يتعرض لمثل هذه المواقف من المحاورين الدعاة إلى الحق.

ونقلة أخرى مع أناس من العرب يفخرون بقوة بيانهم شعراً ونشراً ومن ذلك ما حدث من وفد تميم فقدموا خطيبهم يخطب فقدم الرسول ﷺ خطيباً من الصحابة لهم يخطب بما شاء الله وكذا شاعراً ينافس شاعرهم فقال رئيسهم الأقرع معترفاً بتفوق خطيب وشاعر الرسول ﷺ: «يا هؤلاء ما أدري ما هذا الأمر؟ تكلم خطيبنا فخطيبنا فكان خطيبهم أرفع صوتاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أرفع صوتاً وأحسن قولاً، ثم دنا إلى النبي ﷺ فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ما يضرك ما

(١) انظر ابن أبي العز الحنفي. شرح العقيدة الطحاوية ٤٧١.

(٢) صحيح البخاري كتاب الإيمان. باب (إفشاء السلام في الإسلام) ص: ٤

(٣) صحيح البخاري. كتاب/ الإيمان. باب (أي الإسلام أفضل؟) ص: ٣.

كان قبل هذا...»^(١).

إذ يختلف الناس في سعة مداركهم، وتقديرهم للأمور، وهذا من صميم المخاطبة على قدر العقل إذ تحاوره بما يعرفه، وبسعة إدراكه، وتتدرج معه ليتلقى المضمون بحسب الضرورة والحاجة.

وهذه القاعدة واضحة في ثنايا حوارات الرسول ﷺ ودعوته إذ أنه ينوع خطابه بحسب قدرات المدعويين الفكرية وأوضاعهم النفسية؛ ففي خطبته وحواره مع النساء يراعي قدراتهن العقلية، وما يصلح لهن من توجيه يتناسب مع تقصيرهن ومعاصيهن، ومن ذلك ما جاء في البخاري «خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء، فقال: «يا معشر النساء! تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار» فقلت: وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير؛ ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن» قلت: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلت: بلى، قال: «فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟» قلت: بلى، قال: «فذلك من نقصان دينها»^(٢). يقول ابن حجر - رحمه الله -^(٣) «وما ألطف ما أجابهن به ﷺ من غير تعنيف ولا لوم، بل خاطبهن على قدر عقولهن».

وأيضاً خطابه لأهل الكتاب يختلف عن خطابه لعبدة الأوثان، ويوجه أصحابه وسفرائه لهذه القاعدة، إذ يقول لمعاذ - رضي الله عنه - حينما بعثه

(١) أبو الحسن الجزري ابن الأثير، أسد الغابة في تمييز الصحابة ١/١٢٨، دار المعرفة بيروت، (ط: ١) ١٤١٨هـ.

(٢) صحيح البخاري، ك/ الحيض، باب (ترك الحائض الصوم)، حديث رقم [٣٠٤]، ص: ٢٦.

(٣) فتح الباري ١/٤٠٦.

لليمن «إنك تقدم على قوم أهل كتاب»^(١) كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان^(٢)، إذ لهم مخاطبة خاصة في الدعوة تقوم على تذكيرهم بتجريد التوحيد لله تعالى وعدم الإشراف به والتحلي عن كل حجج زائفة تحيد عن ذلك ونبد الوسطاء والشركاء بينهم وبين الله، وعدم تحريف ما شرع الله؛ وما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٣) (٤).

كما سبق من نصوص وحوارات اتضحت أهمية هذه القاعدة (المخاطبة على قدر العقل) مما يغني عن الإطالة بإيراد الشواهد لأن المقام مقام إثبات لا مقام استقصاء^(٥).

(١) صحيح البخاري . ك/ الزكاة . باب (لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة)، حديث رقم [١٤٥٨]، ص: ١١٥ .

(٢) ابن حجر، فتح الباري . ٣/ ٣٥٨ .

(٣) آل عمران - ٦٤ - .

(٤) انظر د . عبدالرحمن محمد المغذوي، منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي ﷺ بجمعته إلى اليمن معاذ بن جبل، ص: ١٣٥، ١٣٦، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، (ط: ١)، ١٤٢٠ هـ .

(٥) وهذه قصة حوارية عملية حدثت في زمن الإمام مالك رحمه الله ولمناسبتها ومباشرتها لهذا البحث يحسن إثباتها بقول إسماعيل بن بنت السدي، قال: كنت في مجلس مالك، فسئل عن فريضة، فأجاب بقول زيد، فقلت ما قال فيها علي بن مسعود - رضي الله عنهما - فأومأ إلى الحجبة . فلما هموا بي عدوت وأعجزتهم، فقالوا: مانصنع بكتبه ومحبرته؟ فقال: أطلبوه بفق، فجاؤوا إلي فجت معهم . فقال مالك: من أين أنت؟ قلت: من الكوفة . قال فأين خلقت الأدب؟ فقلت: إنما ذاكرتك لأستفيد . فقال: إن علياً وعبدالله لا ينكر فضلهم، وأهل بلدنا على قول زيد بن ثابت، وإذا كنت بين قوم، فلا تبدأهم بما لا يعرفون . فبيدك منهم ما تكره، الذهبي . ير أعلام النبلاء، ١١/ ١٧٧ .

المبحث الرابع
أوجه الإستفادة من الحوار النبوي

توطئة:

من المعلوم بالضرورة؛ إن المسلم مأمور بالافتداء برسول الله ﷺ وباقتفاء أثره؛ ونهج منهجه، وهذا توجيه من الله، والسنة النبوية الصحيحة؛ فهي المبينة للقرآن الكريم والمفصلة له، وهي التطبيق الأمين الراشد والثمرة النموذجية الكاملة للتوجيه القرآني في أسلوب حياة البشر ككل.

والدعاة ورثة محمد ﷺ في حمل الرسالة من بعده؛ فعليهم الافتداء برسول الله ﷺ في كل شؤون الدعوة.

ومن ذلك تعرضه لمقامات النظر والحوار؛ فإنه محتاج إلى الافتداء والاهتداء بهدي خير البرية في جوانب الحوار المتعددة.

فإن النظر إلى موقف حوارى دعوى ليلحظ المطلع فوائد جمة في جميع جوانب وأركان الحوار سواء فيما يتعلق بالمحاور؛ أو الفكرة؛ أو المحاور، .

وهذا المبحث يسجل أهم الفوائد التي تفيد المحاور في هذا الزمان المعاصر، والذي أضحت الحوار فيه من أزم أسلحة الداعي، وعليه تأصيل ما يعرض ويتعرض له من عهد النبوة؛ عهد خير الدعاة وإمامهم وقدوتهم.

فيتعرض هذا المبحث إلى بعض طرق الاستدلال النبوي وتأثرها بالقرآن الكريم، ثم ينتقل الحديث إلى الفوائد العامة المفادة من الحوارات النبوية.

أولاً: طرق الاستدلال النبوي

التمهيد:

إن الحوار النبوي يهدف إلى تقرير الحق وإزهاق الباطل ، والوصول بالمدعو إلى أحسن النتائج وأفضلها، حرصاً على سلامة الإنسان من كل ما يعيقه للسير في طريق الحق .

ومما سبق يتضح أن الحوارات النبوية تأثرت بأساليب القرآن في تقرير الحق ، فتنوعت طرقه وتباينت لتغزو كل صنف بحسب مقاله وحاله .

والرسول ﷺ بعد حوار مع علي - رضي الله عنه - حينما أتاه في بيته نائماً مع فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - فأمرهم وحثهم ، فجادله علي - رضي الله عنه - بأمر النوم والروح قال ﷺ ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾^(١)^(٢) .

فهو طبيب روح يعرف صفات هذه النفس ، وأنها محاوراة مجادلة في كل شأن من شؤونها ، تنتصر لكل حق لها ، فهي نزعة إنسانية قديمة .

وأمام ذلك لابد من إقامة الحجة وبيانها ، بشتى الطرق الحكيمة الرفيعة

(١) الكهف - ٥٤ - .

(٢) صحيح البخاري ، ك / التهجد ، باب (تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب وطرق النبي ﷺ فاطمة وعلياً - عليهما السلام - ليلة للصلاة) ، رقم الحديث (١١٢٧)

ص : ٨٨ .

ليحي من حي عن بينه ويهلك من هلك عن بينه .

فأنشأ لذلك آداباً وقواعد متنوعة ، بغية هداية الخلق ، ولتستقيم المحاوره وتؤتي ثمارها .

والأدلة النبوية على ثلاثة أضرب:

١ - أن تكون على طريقة البرهان العقلي فيستدل بها على المطلوب الذي جعل دليلاً عليه ، وكأنه تعليم للأمة كيف يستدلون على المخالفين ومثاله ما جاء أنه ﷺ قال « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة » فقام إليه رجل أعرابي ، فقال : يا رسول الله ! رأيت البصير يكون به الجرب فيجرب الإبل كلها؟ قال : « فمن الأجرأ الأول؟ »^(١).

وفي القرآن من ذلك مثل قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾^(٣).

(١) سنن ابن ماجه أبواب السنة باب (في القدر) حديث رقم (٨٦) ، وفي سننه يقول الألباني (صحيح دون قوله) ص : ٢٤٨٢ « ذلكم القدر » ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند . ٢١ / ١ .

(٢) الأنبياء - ٢٢ - .

(٣) النحل - ١٠٣ - .

وهذا النوع يفيد في الاستدلال على الموافق والمخالف لأنه معلوم عند من له غفل ، فلا يقتصر به على المواقف في النخلة ، وهذا النوع يحتاج إليه كثيراً؛ لأن الحوار يشتمل على الأخذ والرد ، والنقض والإبطال والمعارضة ؛ فيحتاج العقل البشري بأروع حجة ، وأحكم برهان^(١) .

٢- أن تكون . . . من الأدلة . . . العاطفية ويمثل ذلك أن تكون أدلة تعتمد العاطفة الصادقة الموجهة كما حدث في حوارهِ ﷺ مع الأنصار حينما قال بعضهم قولاً في عطاء رسول الله ﷺ للمؤلفة قلوبهم^(٢) .

٣- أن تكون الأدلة مزيج من الأدلة العقلية العاطفية ويمثل ذلك ما جاء في حديث الرجل الذي جاء إلى الرسول ﷺ وذكر أنه يحب الزنا^(٣) وهي في مجملها مفادة من أدلة وحوارات القرآن الكريم من إثبات للحق والعبودية لله وإبطال حجج الخصوم وبيان فساد ما هم عليه .

وكان رسول الله ﷺ يواجه المشكلات التي يثيرها خصوم الدعوة من الوثنيين وأهل الكتاب ، بما يوجهه القرآن وبما ينزل من قول فصل وحق واضح فيما يرمونه من شبه أو يثرونه من جدل^(٤) .

(١) انظر: د. زاهر الألمي ، مناهج الجدل في القرآن ، ص : ٧٣ .

(٢) انظر: نص الحوار كاملاً في ص : من هذا البحث .

(٣) انظر: نص الحوار كاملاً في ص : من هذا البحث .

(٤) انظر: د. زاهر الألمي . مناهج الجدل في القرآن الكريم ، (٤٤) .

والرسول ﷺ اعتمد ما جاء في القرآن من حوارات عقديّة بين دعاة الحق وخصوم الدعوة فيما تناوله الدعوات من مضامين، إلى غير ذلك مما جاء به القرآن في مقامات المناظرات والمحاورات.

وهو الإمام والقُدوة - صلوات الله عليه وسلامه - في التخلّق بكل ما جاء به القرآن الكريم.

كما أنه أوتي جوامع الكلم وقال «أوتيت الكتاب ومثله معه» ، فكلامه وسننه وحي غير متعبد به، فكثيراً ما كان ﷺ يربط بين حواراته وبين القرآن وهذا واضح في العهد المكي في قصة حواراه مع عتبة بن ربيعة جاء فيها «أرسلت قريش عتبة بن ربيعة وهو رجل رزين هاديء فذهب إلى رسول الله ﷺ يقول: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فزقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها: إن كنت تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ»، فلما فرغ من قوله تلا رسول الله عليه الصلاة والسلام، عليه

صدر سورة السجدة: ﴿حم﴾ ، حتى وصل إلى قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا
فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾^(١) .

وهؤلاء بنو يهود يسألونه عتاً ونكراً عن الروح، فينزل الوحي ويرد
عليهم قرآناً ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾^(٢) .

ويحاور ﷺ علياً - رضي الله عنه - حينما طرقة ليلاً ليحثه على الصلاة
والقيام، فجادله - رضي الله عنه - في أمر النوم والروح، فقال صلوات ربي
عليه مستشهداً بالقرآن: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾^(٣) .

الحاصل أن الرسول الكريم ﷺ يسوق الأدلة والردود من آي القرآن
الكريم متأثراً بها، وبأساليب القرآن في تقرير الحق فتنوعت طرقة وتباينت
لتغزو كل صنف بحسب مقاله وحاله .

ومن طرق الاستدلال النبوي في الرد على الخصوم والمستفادة من القرآن

الكريم :- ..

(١) فصلت - ١٣ - .

(٢) الإسراء - ٨٥ - .

(٣) الكهف - ٥٤ - .

١ - القياس الإضماري :

وهو الذي يحذف فيه إحدى المقدمات مع وجود ما ينبيء عن المحذوف^(١)، وهذا من أوضح طرق البيان أن تحذف إحدى المقدمات؛ وهي طريقة القرآن^(٢).

ومن أكبر وأهم المحاورات التي جرت محاوراته ﷺ لوفد نجران من النصارى، فالمفسرون وأهل السير ذكروا أن آل عمران نزلت بسبب مناظرة أهل نجران، وهذا مذكور من نقل أهل الحديث بالإسناد المتصل^(٣).

ومما يدل على أهميتها ومبلغ أثرها أنها انتهت إلى المباهلة بينه ﷺ وبينهم.

الحاصل أنه من ضمن أطروحاتهم أنهم يدعون بأن عيسى ابن الله لأنه ولد من غير أب يعلم، وجاء في هذا الخصوص قول الرسول ﷺ يحاور رأسين منهم «أسلما، قالا: قد أسلمنا، قال: إنكما لم تسلما فأسلما، قالا: قد أسلمنا قبلك. قال: كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير، قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت

(١) انظر: د. زاهر الألمي. مناهج الجدل في القرآن الكريم، (٧٦).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، (٢٣).

(٣) انظر: د. محمد السيد الجلنيد. دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، (٢/

رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران . . .»^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

فإحدى المقدمات محذوفة كما هو واضح في قضية عيسى عليه السلام، وإنه إذا كان الخلق من غير أب مسوغاً لاتخاذ عيسى إلهاً، فأولى أن يكون الخلق من غير أب ولا أم مسوغاً لاتخاذ آدم إلهاً ولا أحد يقول ذلك^(٣).

فهذا الحذف والقياس الحكيم يجعل للكلام رونقاً وحلاوة وتأثيراً، ولذا قال بعضهم أن هذا شائع الاستعمال في الاستدلال الخطابي^(٤)، وإن الناظر في أكثر أدلة القرآن الحوارية يرى أكثرها قد حذفت فيها إحدى المقدمات^(٥)، ولذا قال الغزالي بحف: «إن القرآن مبناه الحذف والإيجاز».

(١) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، (١/٤٩٠).

(٢) آل عمران - ٥٩ - .

(٣) انظر: د. زاهر الألمي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، (٧٧).

(٤) انظر: أبو زهرة. تاريخ الجدل، ٦٤.

(٥) انظر: العقيدة الطحاوية، ٢٣، وانظر: أبو زهرة، تاريخ الجدل، ٦٤، والمؤلف نفسه،

المعجزة الكبرى القرآن ٣٩٨.

٢- قياس التمثيل :

وهو إلحاق أحد الشيئين بالآخر، وذلك أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أو على أمر بدهي لا تنكره العقول بين الجهة الجامعة بينهما^(١).

ففي حوارهِ ﷺ مع الرجل الذي جاء يقول «ولد لي غلام أسود، فقال: ألك إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم، قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعله عرقاً نزعته، فقال رسول الله ﷺ وهذا الغلام لعل عرقاً نزعته»^(٢).

فالرسول الكريم ﷺ راعى ظروف السائل والمسألة وحساسيتها؛ فاستخدم أسلوب التمثيل بشيء من بيئة المدعو، ومن صميم عمله؛ ولأمر هو متعلق به يعرف حاله.

وأيضاً ما جاء عن أبي رزين العقيلي - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟، قال: أما مررت بوادٍ محل ثم مررت به خضراً؟ قال: بلى. قال: فكذلك النشور. أو قال: كذلك يحيي الله الموتى^(٣).

ولإثبات أمور من المعتقد؛ يستخدم الرسول الكريم ﷺ هذا الأسلوب؛ فيقرب البعيد، ويزيل عن النفوس كثيراً من التساؤلات المتسلسلة، كما في بيانه لإثبات رؤية المولى جل وعلا في القيامة إذ قال ﷺ لصحابته يوماً

(١) انظر: المرجع السابق نفسه، (٧٨).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح. ك/ الطلاق. باب (إذا عرض بنفي الولد)، (٩/٤٤٢).

(٣) مسند الطيالسي، (١٤٧). وذكره ابن كثير في تفسيره، (١٠٧/١).

«إنكم سترون ربكم عز وجل . قالوا: يا رسول الله نرى ربنا؟ قال : فقال : هل تضارون في رؤية الشمس نصف النهار؟ قالوا: لا . قال : فتضارن في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا . قال : فإنكم لا تضارن في رؤيته إلا كما تضارون في ذلك»^(١) .

وهل من إنسان يجهل الشمس أو القمر؟ أو ينكر وضوحهما؟ وهما القمران في الليل والنهار، فكل إنسان وفي كل مكان يراهما ويعرف مكانهما وبوضوح وبجلاء، فأزال بهذا التشبيه كثيراً من الشبه قبل بروزها، وتشعبها فإنه يحتمل كثير من التساؤلات : أين؟ ومتى؟ وكيف؟ . وحدث ذلك ففي عام الوفود قال أحد رؤوس العرب في معرض حوار طويل مشير معه جاء منه فيما يخص هذه الجزئية إذ ذكر الرسول الكريم ﷺ أنهم سوف يرون ربهم؛ فقال هذا الرقل مستغرباً مندهشاً «يا رسول الله كيف ونحن ملء الأاض، وهو عز وجل شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟ قال : انبئك بمثل ذلك في الإاء الله عز وجل : الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ويريانكم ساعة واحدة ولعمر إلهك أقدر على أن يراكم وترونه من أن ترونها ويريانكم لا تضارون - وفي لفظ : لا تضامون - في رؤيتهما . . الحديث»^(٢) .

(١) المسند ١٩٢/١٧ حديث رقم [١١٢٠]

(٢) الإمام محمد بن يوسف الصالحي . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٤٠٥ / ٦ ، وقال في الحديث «رواه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائد المسند والطبراني ، وقال أبو الحسن الهيثمي - رحمه الله تعالى - : إسناده متصله ورجالها ثقات ، وإسناده الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط . وقال في زاد المعاد : وهذا حديث كبير جليل . . المرجع نفسه ٤٠٦ / ٦ .

٣- بيان تناقض الخصم وأنه لا يعتمد في حجته إلا التشهي والتحكم :
ومن ذلك ما جاء في حوارهِ ﷺ مع اليهود في قصة إسلام عبدالله بن سلام
جاء في الحوار : «بلغ عبدالله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة ، فاتاه فقال :
إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، قال : ما أدل أشرط الساعة؟ وما
أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شيء
ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ : خبرني بهن أنفاً جبريل . قال فقال
عبدالله : ذاك عدو اليهود من الملائكة فقال رسول الله ﷺ : أما أول أشرط
الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب . وأما أول يعام يأكله أهل
الجنة فزيادة كبد حوت وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها
ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها . قال : أشهد أنك رسول
الله . ثم قال : يا رسول الله ، إن اليهود قوم بهت ، إن علموا بإسلامي قبل
أن تسألهم بهتوني عندك . فجاءت اليهود ، ودخل عبدالله البيت ، فقال
رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبدالله بن سلام؟ قالوا : أعلمنا وابن
أعلمنا ، وأخيرنا وابن أخيرنا ، فقال رسول الله ﷺ : أفرايتم إن أسلم
عبدالله؟ قالوا : أعاده الله من ذلك . فخرج عبدالله إليهم فقال : أشهد أن
لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمد رسول الله . فقالوا : شرنا وابن شرنا
ووقعوا فيه»^(١) . وتأكيده ذلك جاء عنهم في قوله تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ
رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾^(٢) .

(١) البخاري ، ك/ أحاديث الأنبياء ، باب (خلق آدم وذريته) ، حدث رقم [٣٣٢٩] ، ص : ٢٦٨ .

(٢) البقرة- ٨٧ .

ثانياً: أهم الفوائد العامة المفادة من البحث:

وبعد الحديث عن بعض الطرق الفنية في موضوع الحوار ينتقل الحديث إلى أهم الفوائد العامة المفادة من عامة الحوارات التي وردت في البحث مع مراعاة الجدة، وإبراز ما يحتاج إليه في الحوارات المعاصرة في شتى مجالات الحياة والأحياء وهي:

١ - الحوار بعيداً عن الجماعة:

يلاحظ في حواراته ﷺ وبخاصة في العهد المكي، أنه كثيراً ما يحرص على الانفراد بحواره مع الملائكة من قريش، والقرآن وجه لذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٦٧﴾﴾^(١).

فالازدحام يشوش خاطر ويخلط القول^(٢) ومدعاة إلى العصبية واتباع الهوى^(٣). والبعد عن الضوضاء والغوغاء يبعث الإنسان إلى التفكير بهدوء، بعيداً عن أي مؤثرات أو مشيرات.

ومن المعلوم أن الجماعة لها تأثير نفسي على الفرد فتجد الجبان يتحول إلى شجاع بتأثير وعدوى الجماعة ومراعاة لقوة انحراف الفرد تحت وطأة الحالة الشعورية التي يكسبها في وجوده مع بني قومه^(٤).

(١) سبأ- ٤٦ - .

(٢) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٢٦٤

(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٧١٦).

(٤) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية ١/ ٥٠٢.

وهو واضح فيمن حاورهم ﷺ كعتبة بن ربيعة إذ تأثر وانحبس عن أهله .
وكذا الوليد بن المغيرة كما ذكر ابن عباس - رضي الله عنهما - ذاكراً
وشاهداً لمبلغ الأثر الذي أحدثه حوارهم مع الرسول ﷺ يقول : «إنه جاء إلى
الرسول ﷺ فقرأ عليه القرآن . فكانه رق له»^(١) .

فإن الحديث إلى رجل بمفرده ادعى إلى الأناة والتفهم وتعمق الفكر
وبسط الحوار ، والتنوع في مجالات الاقناع ؛ ولا سيما إذا كان الطرف
الآخر يحمل مخايل التعقل وحكمة التدبر لما يسمع^(٢) .

فإن الحوار يبرز بوضوح في مجال الدعوة الفردية ، والمحاوَر يجمع
الحسن في جوانب متعددة ؛ إذا ركز في فكرته ؛ وبينها بوضوح تام بعيداً عن
أي مؤثر ، أو سمعه ، أو رياء .

ويعطى المجال للمدعو بأن يسمع ويأخذ ويبيد ويعيد بموضوع الدعوة ،
إضافة إلى إجمالية النظر في شخص الداعي ، يستجيب الجانب الفطري
الواعي ، بروعة الفكرة المستقيمة وبحامل هذه الفكرة الذي هم وصدوم بأن
يصل الناس بربهم وهذا ما حصل من الملأ من قريش ، إذ أن أحدهم وبتأثر
واضح فيما يدعو الله الرسول الكريم ﷺ ، ويتفكره بأن محمد ﷺ جاء في
حواره مع ثلثه في ناديهم ، ومحل تشاورهم .

ولا ريب أن الحوار النبوي لم يقتصر على هذا النوع من الحوار بل

(١) ابن كثير ، السيرة النبوية ، (١/٤٩٨) .

(٢) انظر : محمد الصادق عرجون . محمد رسول الله ﷺ منهج رسالة (بحث وتحقيق) ، (٢/٢٠٠) .

دار القلم . دمشق . (ط : ١) ١٤٠٥ هـ .

تعددت أشكال الحوار بتعدد تحركاته ﷺ الدعوية، إذ حياته كلها حواراً في شتى مجالات الحياة؛ وإن كان الحوار كتابة أو مع الجماع من أبرز أشكال الحوار بعد الحوار الفردي.

٢ - أهمية ثقة المحاور بنفسه:

وذلك ملاحظ في حرصه أن يبدأ المدعو بالسؤال، أو قول ما يريد، وأن يبرز نفسه، فقد جاء وصف لحالة الرسول الكريم ﷺ في استعداده وتهبأه للحوار لمن شاء؛ إذ جاء بيان ذلك في البخاري «كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس»^(١) ففي هذا توجيه كريم للداعي بأن يبرز نفسه، ولا يحوج المحاور بأن يبحث عنه، وبخاصة ممن ينبغي عليهم التقدم، لفضل علمهم، وصدق إخلاصهم، فلا يتخذ الناس رؤوساً جهالاً، وأيضاً البدء بالحوار له مدلوله وأثره الذي يتعلق بالحوار والمحاورين والمدعوين المستمعين.

فالأجدر تخيير الخصم إما أن يكون سائلاً أو مسؤولاً فأيهما تخير أجيب إليه، فإن رد الخيار إلى الداعي اختار بأن يكون المدعو هو السائل لأن هذا العمل هو أكثر قصد الضعفاء، وعمدة مرغوبهم وهم يضعفون إذا سئلوا؛ فيختار الداعي ما يرد أعضارهم، وأن ينيلهم أقصى مطالبهم التي يظنون أنهم فيها أقوى ليكون ذلك أقوى في قطع معالقتهم^(٢).

(١) البخاري مع الفتح . ك/ الإيمان . باب (سؤال جبريل النبي ﷺ) ١/ ١١٤ .

(٢) انظر: ابن حزم الأندلسي . التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، (١٨٧) منشورات دار مكتبة الحياة . بدون رقم وتاريخ للطبعة .

وقد برزت في هذا الزمان المتأخر؛ أحزاب، وجماعات تعتقد باعتقادات متعددة متنوعة بحسب ظروف الزمان والمكان والإنسان وتأثيرات البيئة بما تحويه مؤثرات عديدة، في جوانب الحياة المتنوعة، سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وأخلاقية.. إلخ.

فكل هذه مجتمعة أفرزت أفكاراً غريبة على المجتمعات الإسلامية فمن متأثر بغرب، ومن متخبط بشرق، حتى برزت صور إلحادية، وأخرى علمانية، وثالثة مزدوجة في تلقيها لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

الحاصل أن الداعية (المحاور) لا بد أن يكون على يقين مما يدعو إليه وثبات يناسب ذلك اليقين.

٣ - اختيار المكان المناسب:

الحوار والذي بدت آثاره بوضوح مع ثمامة بن أنال، جاء فيه أنه ربط في المسجد بأحد سواريه.

فهذا جعله قريباً من المسلمين يرى مظاهر تجمعهم وانتظامهم، ونظامهم، وطاعتهم لقائدهم ﷺ.

وظل على حاله ثلاثة أيام وهو يكرر محاورته في كل يوم، مما كان له أكبر الأثر، فأسلم وحسن إسلامه وتحول إلى داعية للإسلام ومناصرراً للدعوة في سلمه وحر به.

ومن ذلك ما جاء في خبر وفد نصارى نجران الذين قدموا ابتداء لمحاورته
ﷺ فقد أعد لهم مكاناً في المسجد النبوي .

واليهود أيضاً كان يرتاد أماكن عبادتهم وتكرر هذا في محاورات عدة
يأتي فيها ذكر «بيت مدراسهم وفي أخبار أخرى وفي سنن أبي داود أن وفد
ثقيف لما وفدوا على الرسول ﷺ: أنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم»^(١).

٤ - استئلاف المحاور باحترام ما يقده:

فقد جاء في مقدمة حوار كان بين الرسول الكريم ﷺ وبين اليهود، إذ
دعوه لبيت مدراسهم، فأتاهم فأتي بالتوراة فنزع الوسادة من تحته فوضع
التوراة عليها ثم قال أمنت بك وبمن أنزلك^(٢)، وفي الخبر نفسه الذي
يتضمن حواراً بشأن يهوديين زنيا فقد استشهد بما جاء في التوراة^(٣)

وفي صيامه ليوم عاشوراء، بعد مقدمه إلى المدينة وعلم أن اليهود
يصومونه عبداً لهم فقال ﷺ: «تصوموه أنتم»^(٤).

وفي ذلك توجيه للمحاورين؛ بأن يبينوا احترامهم وتقديرهم لأنبياء الله

(١) أبو داود، صحيح سنن أبي داود باختصار السند، ك/ الأمانة والفيء والخراج، باب (ما جاء في
خبر الطائف)، ٥٨٨/٥٨٧/٢.

(٢) صحيح سنن أبي داود باختصار السند، ك/ الحدود، باب (في رجم اليهوديين) (٣/٨٤٣).

(٣) نفسه والمدرك نفسه ٣/٨٤٣.

(٤) صحيح البخاري، ك/ الصوم، باب (صوم يوم عاشوراء) حديث رقم [٢٠٠٥] ص: ١٥٦.

وكتبه المنزلة، إضافة إلى أن الداعي ينبغي أن يتجنب الإساءة إلى المدعو بعرف معرض عنه، أو تقاليد متمكنة ومتغلغلة في نفس المدعو، مع مراعاة الضوابط الشرعية والوقئية وحالة المدعو.

ولعله يستأنس بذلك رده على ابنة حاتم حين بين عن أبيها وكرمه فقال: «خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكرم الأخلاق»^(١).

٥ - عدم التوقف عن الدعوة:

فالرسول الكريم ﷺ كان كثير الاستعمال لأسلوب الحوار مع أصحابه، ومع خصومه وخصوم الإسلام، وهم يختلفون في أجناسهم، وفي عقائدهم، وأمزجتهم، وطرق تفكيرهم، نماذج بشرية تختلف في كل شيء.

وذلك تأسياً بالرسول ﷺ فقد عانى من مواجهاته الدعوية لهم، فالوثني البليد، والأعرابي الفظ الذي يقدم من وبره، فلا يتأدب مع مقام النبوة، إلى اليهود من أهل الكتاب، والذين يشاغبون، ويشقونه.

الحاصل أنه مع كل هذا يعاود الكرة بنفس راضية وبعزم أكيد يبدأ جولات المحاوررة وكأنه لم يمسه منهم اساءة قولية أو فعلية.

(١) محمد بن يوسف الصالحى، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٦/٣٧٧.

فعلنى ما فعله أبو جهل من جهل متناهي إلا أنه ﷺ كل ما رآه دعاه،
ويناديه بأحب الأسماء إليه «هلم يا أبا الحكم أدعوك لى الله وإلى
رسوله . . .»^(١).

واليهود تتكرر لقاءاته معهم مرات عديدة، فرادى وجماعات إلا أنه
يلاطفهم وأثنى على أنبيائهم ويذكر أمثالهم السابقة . . حتى سموه
وسحروه، إلا أنه يكرر بلا توقف دعوتهم إلى الله تعالى وفي ذلك دلالة
دالة على مبلغ تجاوزه عن أخطائهم ومواقفهم السابقة، فليت كل داع
يستشعر ذلك .

فالمحاور في هذا الزمان بحاجة أن يستشعر دائماً؛ بأنه يدعو لله لا لنفسه
ولا لحظ من حظوظه، والملاحظ بلا مواربة أو مدهانة أن كثيراً من
المحاورين في هذا الزمان يركز على شخص المدعو، فيتحول من ناشر خير
وفلاح إلى مشيع فاحشة .

الحاصل أن في هذا التوجيه النبوي الكريم للدعاة أن يفرقوا بين الفكرة
وبين حاملها، عليهم بذا يهدءون ويحلمون ويرحمون خلق الله؛ إذ أن
المنحرف عن طريق الحق أحق أن يرحم وأن يعطف عليه .

لذا يلزم المحاور إذا الواجب دعاه أن يلتقي بالمدعو مرات عديدة أن يظهر
منه البشر والشفقة والرحمة، لا نظرة التعالي والإزدراء فهذا كله يدعوه إلى
أن يعاود الكرة تلو الكرة بكل حماس وكأنه يلتقي بالمدعو لأول مرة .

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ١/٥٠٧ .

٦. تشجيع المدعو بالحديث والدفاع عن نفسه:

فمن اللافت والملاحظ أن هذا سمة بارزة في حوارات نبوية هامة، ومما يدل على ذلك ما فعله الرسول ﷺ مع الأنصار، فبعد أن أثارهم بمداخل نفسية مؤثرة قال لهم ﷺ «ألا تحييون يا معشر الأنصار؟» فإضافة إلى ظهور الثقة بالنفس من المحاور، فإن فيها تشجيعاً للطرف الآخر بأن يبدي رأيه ولا يخفيه، فقد قالوا إجابة لهذا السؤال المؤثر: بماذا نجيبك يا رسول الله، لله ولسوله المن والفضل.

بل تعدى ذلك بأن أجاب عنهم فقال «والله لو شتمت لقتم ولصدقتكم؛ أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك؛ وعائلاً فواسيناك».

فأي زعيم؛ وأي قائد وأي مرب وأي صاحب فضل يستطيع أن يشهد على نفسه بهذا؟^(١)، فلا نجد علماً بالنفس الإنسانية أكثر عمقاً وأكثر صدقاً من العلم النبوي^(٢).

ففي ذلك توجيه للمحاور في هذا الزمان أن يفيد من هذا الهدي النبوي، فيشجع المدعو أياً كان توجهه بأن يدلي بدلوه فيما يظنه ويعتقده؛ بلا تردد، فكل معتقد لمبدأ أو فكرة مهما بلغت ضحالتها. فإن له من

(١) انظر: أبو الحسن الندوي. حكمة الدعوة وصفة الدعاة (٣١). دار البشائر الإسلامية. بيروت (ط: ١) ١٤١٣ هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه (٣٤).

المبررات النفسية والفكرية العديدة، فلا بد أن يفطن الداعي لذلك، ويتيح له الفرصة بأن يقول ما يشاء ففي هذا التنفيس فوائد نفيسة لكل الأطراف، إضافة إلى كونه يجذب الطرف الآخر إلى شخص المحاور واحترامه والاقتراب منه بلا خجل أو وجل.

وفي هذا استجابة لنداء القرآن ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١).

فهذه خاصية سبق لها الإسلام؛ وأرسى دعائمها، فالناس ولدتهم أمهاتهم أحراراً، وهذا من ألزم مجالات الحرية - أي حرية الرأي - فإن صياغة العقلية المتفتحة، التي تقوي المرونة في تعاملها مع الآخرين كان مطلباً ملحاً في مجال الدعوة، والحوار يهيئ هذا المطلب، والمحاور لا بد أن يتهيأ بصدق وإدراك بأن يفتح المجال للطرف الآخر أياً كان جنسه ومعتقده.

الحاصل أن الحرية تتغذى بالحوار وتنمو بالمراجعة، فتتلاقح الرؤى ووجهات النظر، وذلك يفيد المحاور في أمرين رئيسين:

١ - تحديد قضايا الخلاف .

٢ - تحديد الدواء الناجع الفاعل .

(١) البقرة - ٢٥٦ .

٧- استغلال كلام المدعويين للرد عليهم منها:

والأدلة ثابتة في السنة وفي أخبار السيرة، ومن أوجه ذلك، ما جاء في خبر سلمان - رضي الله عنه - مع اليهودي، إذ قال لسلمان «إني أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة، فقال: أجل إنه نهانا أن يستنجي أحدنا يمينه، أو يستقبل القبلة، ونهى عن الروث والعظام، وقال لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار»^(١).

ففيه توجيه حسن للمحاور بأن يحسن استعمال حوارهِ فالصحابي الكريم بنى رده على كلمة من مشرك أراد بها مسبة فحولها إلى شهادة عظيمة يحجج بها وفيه دلالة على مبلغ متابعة تصرفات المسلمين.

وإبان حروب المسلمين مع الفرس، حدث مثل هذه المواقف منها أن ملك فارس أرسل إلى المثنى - رحمه الله - رسالة جاء فيها: إني قد بعثت إليكم جنداً من وحش أهل فارس إنما هم رعاء الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم، فرد المثنى - رحمه الله - إنما أنت أحد رجلين: إما باغ فذلك شر لك، وخير لنا وإما كاذب فأعظم الكاذبين عقوبة عند الله وعند الناس الملوك.

وأما الرأي فإنكم إنما اضطررتم لهم؛ فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ك/ الطهارة. باب (آداب قضاء الحاجة) ٣/ ١٥٢.

الدجاج والخنزير^(١).

فالمحاور في هذا الزمان يقابل أطرافاً شتى في وجوههم وتوجهاتهم فعليه أن يحسن الصمت كما يحسن الكلام فما الأولى بأحرى وأهم من الثانية إذ أن محاورين هذا الزمان يزيدون في هزالة طرحهم شكلاً ومضموناً؛ وكفا هزلاً وسخرية من ينافح عن حيوان يعبد أو حتى إنسان يشركه مع الله بأي فرع من فروع الربوبية والعبودية، حادية أو معنوية، ينحرف بها عن صراط الله يميناً أو يسرة، فإن في إتاحة الفرصة تلو الفرصة لهؤلاء يرجع الإنباه والتركيز الشديد لما يقولونه لأكبر الفائدة للداعي يتتقي من مهازلهم ما يهزمهم به بإذن الله.

٨ – مراعاة المحاور لأخلاق وعادات الطرف الآخر:

عن المسور بن مخرمة أن أباه قال له: يا بني بلغني أن النبي ﷺ قدمت عليه أقبية وهو يقسمها فاذهب بنا إليه، فذهبنا فوجدنا النبي ﷺ في منزله فقال: يا بني ادع لي النبي ﷺ فأعظمت ذلك، وقلت أدعوك رسول الله ﷺ فقال: يا بني إنه ليس بجبار، فدعوته فخرج وعليه قباء من ديباج مزور بالذهب فقال: يا محزمة هذا خبأناه لك فأعطاه إياه^(٢).

(١) ابن الأثير. الكامل، (٢/٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري. وانظر: الإصابة، (٣/٣٧١).

فالذي يفهم من هذا الحوار أن الرسول الكريم ﷺ يعرف من يدعو ويراعي نفسيات المدعويين، ويعطي بحكمته كل بحسب حاله، فقد خرج وهو مجهز الطلب الذي يريده. وفي هذا مفتاح الحوار.

وفائدة أخرى للمحاور بأن يحذر في كل شؤون وسلوكياته وأخلاقه، فإن هذا المدعو قال بثقة حينما نهى عن جرأته في نداء الرسول ﷺ قال «إنه ليس بجبار، فإنه مما يقرب المدعويين للمحاور تواضعه وسهولة الاتصال به.

ففي خبر وحوار آخر أن أحد المدعويين أراد أن يقترب من الرسول ﷺ ليحاوره فقال له الناس: «إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ فقال: «دعوني فأذنو منه فإنه أحب الناس إليّ أن أذنو منه. فقال: «دعوا وابصة اذن يا وابصة مرتين أو ثلاثاً» قال: فذنوت منه حتى قعدت بين يديه»^(١).

٩- الاستئناس برأي أهل الخبرة من المدعويين:

وهذا واضح في قصة ابن سلام - رضي الله عنه - يتحاور مع الرسول ﷺ فيقبل الدعوة ويسلم، ويشير على الرسول ﷺ إذا جاءت اليهود أن يخفي إسلامه ليكون أدعى لقبول شهادته لديهم، فجاءت اليهود فقال رسول الله ﷺ «أي رجل فيكم عبدالله بن سلام، قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال رسول الله ﷺ أفرأيتم إن أسلم عبدالله. قالوا: أعاده

(١) المسند ٤/ ٢٢٧، (وسنده حسن). انظر: البناء، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، ٣٣/ ١٩.

الله من ذلك فخرج عبدالله إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فقالوا : أشرنا وابن أشرنا ووقعوا فيه»^(١) .

وفي هذا الزمان تشتد الحاجة للإستعانة بمن يعرفون ما عليه بعض الناس من إنحراف في أمور يخالفون بها أهل الحق ، وأن بعض أهل العلم وإن كانوا على قدر من التقى والعلم إلا أنه قد تخفى عليهم مسائل لدئ الطرف الآخر من ميل وإنحراف في قضايا متنوعة في الفكر والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك ، إضافة إلى كون بعضهم لديه مكنة في تخصص ما ، فالذي ينبغي على المحاور أن يستعين بمن يثق بدينهم واستقامتهم ممن يعرفون خفايا هؤلاء والمنابع التي يستقون منها ، فيمدون العلماء وقت الحاجة بما يريدون ، وهذا مما تقوى به الحجة وتظهر ، وهكذا كان علماء الإسلام المناظرون لأعداء وخصوم الحق كشيخ الإسلام ابن تيمية ، فإنه أثر مبلغ تمكنه في الرد على الخصوم ؛ ومعرفته لما هم عليه من باطل حتى يظن السامع منهم أنه أكثر إطلاعاً في علومهم منهم .

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ الانبياء . باب (خلق آدم وذريته) .

الخلاصة

وتتضمن:

١ - أهم النتائج

٢ - التوصيات

أولاً: أهم النتائج:

الحمد لله على كل نعمة ظاهرة وباطنة، وأحمده حمداً كثيراً على ما منّ به من إتمام هذا الجهد العلمي المتواضع، وأسأله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كخطوة خير تفيد في سبيل الدعوة الإسلامية الكريمة. ويحسن في هذا المقام أن أسجل أهم النتائج التي أبانتها الدراسة في البحث والتقصي، وهي كالتالي:

١ - تبين من البحث أن الحوار بمعناه العام، يشمل: الجدل والمناظرة؛ إذ هما بشيوعهما وشهرتهما أكبر، أكثر المصطلحات قرباً منه، ومما يدل على ذلك خلط الباحثين من قديم وحديث؛ بين هذه المصطلحات، وإن حاول البعض التفريق بينها إلا أنهم خلطوا بين مراداتها خلطاً واضحاً.

٢ - تبين من الدراسة أن الإنسان عرف الحوار من القدم وأنه ذو أصول فطرية فيه ﴿وكان الإنسان أكثر شئاً جدلاً﴾.

٣ - إن الحوار لخدمة الحق، ولعله يرفع الإنسان عند ربه، والوصول إليه من القربات من الله، إذا مارس هذا الأسلوب في كل مناسبة لخدمة دينه والذب عنه ومحاولة ومصالوة المعاندين والمبطلين.

٤ - اتضح من البحث أن الحوار بالمكانة الرفيعة من بين الأساليب الدعوية، وهو الأداة الأولى لدى الأنبياء السابقين، وفي زمن الرسالة المحمدية.

٥ - الحوار ذو أثر فاعل ومؤثر في الإنسان لأنه يتناول جميع منافذ التأثير في الإنسان؛ العقلية، والغريزية والمشاعر والانفعالات.

٦ - تبين من الدراسة أن الرسول ﷺ كان يستهدف مرضاة ربه في جميع شؤون حياته بلا إستثناء نبوياً إلا وهو محدد الأهداف، ولم يكن عبثاً؛ وهذا الذي أن يفيد من الدعاة في كل حركاتهم وكلماتهم بأن تكون هادفة موزونة بعيدة عن العبث والفوضى في كل مناسبة حوار.

٧ - بينت الدراسة أن الحوار النبوي واجه معوقات كبيرة تحول بين المدعو وبين الوصول للحق، وأن فهمها ودراستها من قبل الداعي مما يعينه في التعامل مع المدعويين، والإستعداد بما يتناسب معها من حجج وصفات وأساليب.

٨ - ولهذه المعوقات، فإن الدراسة انتهت لقضية ذات أهمية بخصوص السعي الدعوي وتحصيل نتائج متدرجة، إذ يسعى الداعي أولاً إلى قبول المدعو للدعوة، فإذا لم يكن ذلك ولأن مهمته تقتصر على البلاغ المبين، فإنه ينتقل من ذلك إلى محاولة كسب تأييد المدعو للدعوة، وتحبيد أصحاب التأثير والكبراء، لئلا يحولوا بين المدعويين وبين وصول البلاغ لهم بأحسن وأتم صورة.

٩ - كشفت الدراسة عن بعض الفوائد الهامة المنتزعة من الحوار النبوي التي تفيد الدعاة في هذا العصر الحاضر، منها مايتعلق بالمحاور، ومنها مايتعلق بالمدعو ومنها مايتعلق بموضوع وأسلوب الحوار.

أما التوصيات فهي:

١- يوصي الباحث الدعاة أن يحرصوا على اتقان فن الحوار، وكيفية استخدامه ومتى؛ فإن إنسان هذا العصر حاصرته وسائل وأساليب إغراء وتدمير لا عد لها ولا حصر، تحمل من الإمكانيات المادية الشيء الكثير، لذا فأساليب السرد والتلقين يضعف تأثيرها، وتبرز هنا مكانة الحوار، إذ هو الأسلوب الفاعل المؤثر ففيه تشويق للمدعو بأن يحاور ويقول ما يريد، وبلا مؤثرات من أي طرف، وهذا ينفع المحاور من وجوه:

- إن في ذلك تشويقاً للمدعو وجذباً لشخصية الداعي، مع مافيهما من إبراز ثقة الداعي بنفسه، وظهور آدابه الجميلة، وبروزها في مواطن الحوار.
إن هذا يتيح للمحاور الفرصة للتفكير، واختيار الأحسن والأقن؛ معنىً؛ وعبارة؛ وأسلوباً.

٢- وأسلوب الحوار لا يزال بحاجة لجهد العلماء والباحثين؛ لكشف أسرارهم، ودراسة مناهجه وضوابطه - دراسة مستفيضة، فاحصة تبين به بصورة أشمل وأدق.

٣- يوصي الباحث الهيئات والمؤسسات التي تعنى بشؤون الدعوة الإسلامية، إلى اختيار نخبة من الباحثين الأمناء وأصحاب المكنة والدراية، ليقوموا بالبحث الجاد في أصل الحوار وفي كل ما يتعلق به، ويوزع العمل بينهم، فمثلاً يقوم ريق منهم بدراسة شاملة لموضوعات الحوار في الكتاب

والسنة، وآخرون متخصصون في أهداف الحوار، وفريق ثالث فيما يتعلق بمعوقات الحوار التي تحول بين المدعويين وبين وصول الدعوة الواضحة لهم.

٤ - يتبع ذلك اقتراح ذو أهمية دعوية، ألا وهو القيام بإعداد موسوعة شاملة لجميع قواعد الحوار المستلة من الدراسات السابقة الذكر؛ على غرار قواعد أصول الفقه، بحيث تكون ميسرة، وسهلة الفهم والحمل، كي يفيد منها جميع الدعاة وعلى اختلاف مستوياتهم.

الفهارس العامة وتشتمل على ما يلي

- ١- فهرس الآيات القرآنية .
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣- فهرس الأعلام .
- ٤- فهرس المصادر والمراجع .
- ٥- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية



فهرس الآيات

سورة البقرة

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٤٧	٤٢١	﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي﴾
٥٦، ٥٥	٢٣٢	﴿وإذا قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾
٧٣، ٦٧	٣٩٦	﴿وإذا قال يا موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا البقرة﴾
٨٧	٤٨٥، ٤٧٥	﴿أنكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم﴾
٩٧	٣٠٠	﴿نزله على قلبك﴾
١١١	٣١٢، ٢٩٣، ٢٨٨، ٤٨	﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً﴾
١٣١	١٠٤	﴿إذا قال له ربه أسلم﴾
١٠٩	٥١٣	﴿حسداً من عند أنفسهم﴾
١٣٢	١١٢	﴿ووصى بها إبراهيم بنيه﴾
١٤٣	٩٤	﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾
١٤٦	١٧٦	﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾
١٥٠	١٤١	﴿ومن حيث خرجت فول وجهك﴾
١٥١	١٤١	﴿كما أرسلنا منكم رسولا﴾
١٧٠	٤٥٧	﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله﴾
٢٠٦	٣٧٥	﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته الغزة بالإثم﴾
٢٠٦	٣٧٥	﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته الغزة بالإثم﴾
٢١١	٣٨٩	﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾
٢١٣	١٣٥	﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين﴾
٢٢٢	٣٨٩	﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾

٤٥	٢٥١	﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾
٥٦٦	٢٥٨	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ . . ﴰ
٢٣٤	٢٥٩	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾
٤٥	٢٦٩	﴿يُؤْتِ الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾
٧٤	٢٨٥	﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ﴾
٢٥٨	٢٨٦	﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا . . ﴰ
سورة آل عمران:		
٢٤ ، ١٣٣ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ٩٦	١٩	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾
١٠٤ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٧ ، ١١٤	٢٠	﴿فَإِنْ حَاجَّكَ قَوْمٌ فَأَسْلَمْتُمْ وَجْهَهُمْ﴾
٨٨	٤٩ ، ٤٧	﴿قَالَتْ رَبِّي أَنِّي لَئِنْ بَدَّلْتُمْ دِينِي أَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
٤٥	٤٨	﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾
٢٨٨	٦٦	﴿مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْغَيْبِ﴾
٩٦ ، ٨٧	٦٧	﴿وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا﴾
٢٢٨ ، ١٧٨	٧٩	﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾
٧٤	٨١	﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾
٩٦	٨٤	﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾
١٢٣ ، ١٠٦ ، ٩٧	٨٥	﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾
٨	١٠٤	﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾
١٨٧	١٣٨	﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾
١٩٧	١٨٨	﴿وَمَا مَسْنِي السُّوءِ﴾
سورة النساء:		
١٢٣	٤١	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾

٤٢٢، ٤٥	٥٤	﴿لقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة﴾
٢٤٣	٥٩	﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾
٣١٧	٦٣	﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً﴾
١٣٣	٧٩	﴿ما أصابك من حسنة﴾
٣٠٢	١٠٥	﴿فأنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس﴾
٢٩٩، ٢٩٧، ٢٩٥	١١٣	﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن .﴾
١٣٩، ١٤٠	١٣٥	﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾
٣٨٨	١٥٣	﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء﴾
١٦٩	١٥٧	﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾
١٣٦، ٨	١٦٥	﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله . .﴾
١٨٦	١٧٤	﴿يا أيها الناس قد جائكم برهان﴾
		سورة المائدة:
٩٤	٣	﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾
٣٨٩	٤	﴿يسألونك ماذا أحل لهم . . .﴾
١٤٠	٦	﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾
٣٤٥	٨	﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله . . .﴾
٤٢٢	٢٠	﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل﴾
١٢٠	٤٨	﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾
٢٢٧	٧٥	﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول﴾
٣١٧	٩٢	﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾
٤٠٤، ٢٤٢	١٠١	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم﴾
٤٠٥	١٠٢	﴿قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾

١٣٥	١١٧	﴿ماقلت لهم إلا ما أمرتني به﴾
		سورة الأنعام:
٥٨١، ٢٢٦	٩، ٨	﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر﴾
٣٨٠	١٢	﴿قل لمن مافي السموات والأرض قل لله . . ﴰ
١٩٠	٢٥	﴿ومنهم من يستمع إليك﴾
١٩١	٢٦	﴿وهم ينهون عنه ويتنون﴾
٥٠٨، ٤٧٩	٣٣	﴿قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون﴾
٢٠١	٣٨	﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾
٤٩١	٥٣، ٥٢	﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾
١١٤	٧٩	﴿إني وجهت وجهي للذي فطرني﴾
٢٨٩	٨٣	﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾
٢٩٠	٩٠، ٨٩	﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكمة والنبوة﴾
٧٣	٩٠	﴿فبهدهم اقتده﴾
٢٢٦	٩٣، ٩١	﴿وما قدروا الله حق قدره﴾
٥٠٣	١٢١	﴿وكذلك﴾
٢٨١	١٢٤	﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى﴾
٢٤٧	١٤١	﴿وأتوا حقه يوم حصاده﴾
٢٨٨	١٤٨	﴿هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعوه إلا الظن﴾
٢٨٩، ١٤١	١٤٩	﴿قل فله الحجة البالغة﴾
٣٤٤	١٥٢	﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾
٥٥٤	١٥٣	﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾
٣٣٣، ٩٣	١٦٣، ١٦٢	﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي﴾

سورة الأعراف:		
٤٢٦	٥٦	﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾
٢٣٤	٥٧	﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته﴾
٥٥٢، ٤٢٦، ٢٠٧	٥٩	﴿لقد أرسلنا نوحا﴾
٥٣٧	٦٠	﴿قال الملائكة من قومك إننا لنراك في ضلال مبين﴾
٩٤	٦١	﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني﴾
٢٠٧	٦٥	﴿والذي عاد أخاهم هودا﴾
٥٣٧	٦٦	﴿قال الملائكة الذين كفروا من قومك إننا لنراك في سفاهة﴾
٥١٤	٧٠	﴿قالوا اجتنبوا لعبادة الله وحده﴾
٢٠٧	٧٣	﴿والذي ثمود أخاهم صالحا﴾
٥٣٧	٧٥	﴿قال الملائكة الذين استكبروا من قومك﴾
١٢٩	٧٩	﴿فتولى عنهم وقال يا قوم﴾
٥٦٥	٨٥	﴿يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾
٥٣٨	٨٨	﴿قال الملائكة الذين استكبروا من قومك لنخرجنك﴾
٥١٤	١١٠، ١٠٩	﴿قال الملائكة من قوم فرعون إن هذا لساحر﴾
٤٨٢	١٣٣، ١٣٠	﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات﴾
٤٨٢	١٣٥، ١٣٤	﴿إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين﴾
٥٦١	١٥٤	﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح﴾
١١٣	١٧٢	﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم﴾
٣١٧	١٨٤	﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبي من جنة﴾
٣٧٥، ١٩٧	١٨٨	﴿وما منسي السوء﴾
١٩٧	١٩٩	﴿وأعرض عن الجاهلين﴾

١٨٧	٢٠٣	﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا﴾ سورة الأنفال:
٥٠٥، ١٦١	٣٢	﴿وإذا قالوا اللهم إن كان هذا﴾
١٥٢	٤٢	﴿إذا أنتم بالعدوة الدينا﴾
٢٤٣	٤٦	﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾
٤٢٠	٦٣	﴿لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم﴾ سورة التوبة:
٢٥٠	٥	﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾
٤٦٠	٣١	﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً﴾ سورة يونس:
٥٥٤	٣٢	﴿فذلكم الله ربكم الحق . . .﴾
٤١٤، ١١٦	٣٦-٣١	﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾
٥٠٥	٤١	﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم﴾
٣٨٠، ٣٧٠، ٣١٢	٦٨	﴿إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالا . . .﴾
٣٣٤	٧٢	﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر﴾
٣٣٤	٧٣	﴿فكذبوه من فنجيناه ومن معه﴾
٤٦٦، ٣٣٧	٧٨	﴿قالوا أجتنا لنفتنا عما وجدنا عليه آياتنا﴾
٥١٣	١٠٠	﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ سورة هود:
٣١١	١٦، ١٥	﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزيتها نوف إليهم﴾
١٣٤	١٨	﴿ومن أظلم ممن افترى على الله﴾
٨٤	٢٧	﴿فقال الملأ الذين كفروا﴾

٣٨،١٣٦	٣٢	﴿قالوا يا نوح قد جادلنا﴾
٣٨	٣٥	﴿وأنا برئ مما تجرمون﴾
١٣١	٣٦	﴿وأوحى إلى نوح أنه﴾
١٢٩	٥٧	﴿إن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به﴾
٨٣،٨٤	٦٢	﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا﴾
٥٢٩	٩١	﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾
٧٥	٩٥	﴿تلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا﴾
١٣٩	١٠٠	﴿ذلك من أنباء القرئ نقصه﴾
٨٩	١٢٠	﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل﴾
		سورة يوسف:
٥٣٠	٢١	﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته﴾
٤١	٥٤	﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾
٥٣٠	٥٦	﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾
٨	١٠٨	﴿قل هذا سبيلي أدعو إلى الله﴾
١٨٦،٨٦	١١١	﴿لقد كان في قصصهم﴾
		سورة الرعد:
٤١٠	١٩	﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾
		سورة إبراهيم:
٥١٩،٢٩٤،١٢٩،٩٣،٨	١	﴿آلر كتاب أنزلناه إليك لتخرج النلس من . .﴾
٥٨١،٣٢٩،١٣٧،٧٢	٤	﴿وما أرسلناه من رسول إلا بلسان قومه﴾
٣٢٣	٥	﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك﴾
٢٢٣،٧٢	١٢،٩	﴿ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح﴾

٤٥٢، ١١٤	١٠	﴿قالت رسلهم أني الله شك﴾
٢٢٧، ٢٢٤	١١	﴿قالت رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم﴾
٤٣٧	٢٥، ٢٤	﴿الم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة﴾
٤١٠	٣٤	﴿وأتاكم من كل ما سألتموه﴾
٥٥٢	٥٢	﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به . .﴾
سورة الحجر:		
١٧٩، ١٧٨	٦	﴿وقالوا يا أيها الذي﴾
١٨٦	٨٧	﴿ولقد أتيناك سبعمائة من المثنى﴾
١٨٩	٩١	﴿الذين جعلوا القرآن﴾
سورة النحل:		
٤١١	١٤، ١٠	﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم﴾
٤١٢	٢١، ٢٠	﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً﴾
٤١٢	٢٢	﴿إلهكم إله واحد ما للذين لا يؤمنون﴾
٤١٣	٢٤	﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم﴾
٥٦٥، ٢٠٨	٣٦	﴿ولقد بعثنا في كل أمة﴾
٢٤١، ٢٠٢، ٢٠١	٤٤	﴿وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل﴾
٤١٠	٥٣	﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾
٣٨٨	٧٨	﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون﴾
١٨٧	٨٩	﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً﴾
٢٧٥، ٢٧٤	٩٠	﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾
٥١٣	١١١	﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾
٢٧٨، ١٩٤، ٤٣، ٣٧	١٢٥	﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾

		سورة الإسراء:
١٤٢	١٥	﴿وما كنا معذيين﴾
٢٣٧، ٢٣٦	١٧	﴿وسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم﴾
٢٨٨	٣٦	﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد﴾
٤٠٩	٤١	﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾
٢٣١	٤٩	﴿وقالوا أنذا كنا عظاماً ورفاتاً أننا لمبعوثون خلقاً﴾
٢٤٥	٧٩	﴿ومن الليل فتهدد به نافلة لك عسى أن يبعثك﴾
٣٨٨، ١٩٩، ١٩٨	٨٥	﴿وسألونك عن الروح﴾
٢٥	٩٥، ٩٠	﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا في الأرض ينبوعاً﴾
١٩٦، ١٩٥	٩٥، ٨٩	﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾
٢٢٥	٩٤	﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى﴾
٤٧٨	٩٣، ٩٠	﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾
		سورة الكهف:
٨٦	٣	﴿نحن نقص عليك﴾
٢٤٣	٢٦	﴿ولا يشرك في حكمه أحد﴾
٣٦، ٢٨	٣٧، ٢٣٤	﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾
٤٩٣	٤٤، ٣٢	﴿وزضرب لهم مثلاً جعلنا لأحدهما جنتين﴾
٢٢٨	١١٠	﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾
		سورة مريم:
٤٥	١٢	﴿وآتيناه الحكم حياً﴾
٤٨٩	٧٣	﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾
٤٩١	٧٥	﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن حداً﴾

٢٣٠، ١٩٢	٧٧	﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾
		سورة طه:
٥٢٨	٣٩، ٣٧	﴿ولقد متنا عليك مرة أخرى...﴾
٤٣٨، ٥١	٤٤، ٤٣	﴿اذبها إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لينا﴾
٤٣٥	٤٤	﴿فقولا له قولاً لينا﴾
		سورة الأنبياء:
٢٢٨	٧	﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم﴾
٢٠٨، ٨٩	٢٥	﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾
٣٧٩	٦٨، ٦٢	﴿قالوا أنت فعلت هذا بالهتأ يا إبراهيم﴾
٣٠٧	٧٩	﴿فهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾
٤٢٨	٩٠	﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾
٢٢١	٩٨	﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾
١٩٤	١٠٠، ٩٨	﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾
		سورة الحج:
٥٠٣	٨	﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾
٤٣٧	٢٤	﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾
٢٨٢	٧٥	﴿الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله﴾
٢٥٨	٧٨	﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾
٢٨٨	٨٠	﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾
		سورة المؤمنون:
٤٦٧، ٣٣٧	٢٤	﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا﴾
٤٦٦	٤٧	﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا﴾

٢٣١	٨٢	﴿قالوا آئدنا متنا وكنا قراباً وعظاماً آئنا﴾
٣٨١	٩١ ، ٨٤	﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . . ﴾
		سورة النور:
٣٠٥	٣٥	﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾
		سورة الفرقان:
١٩٣	٥	﴿وقالوا أساطير الأولين﴾
١٧٩	١٠ ، ٤	﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك﴾
٢٥٩	٧٦	﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾
		سورة الشعراء:
٧٦	٨	﴿إن في ذلك لآية وما كان﴾
٨٣	٢٧	﴿قال إن رسولكم الذي أرسل﴾
٣٣٥	٤١	﴿أئن لنا لأجر إن كنا نحن الغالين﴾
١١٦	٧٧	﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾
٤١٥	٨٢ ، ٦٩	﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾
٤١٦	٧٠ ، ٦٩	﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾
٨١	٨٤	﴿واجعل لي لسان صدق﴾
٧٥	١٠٥	﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾
٣٣٣ ، ١٨٥	١٠٩	﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾
٥٦٥	١٦١	﴿إذ قال لهم أخوهم لوط . . . ﴾
		سورة النمل:
٥٦٦	٢٢	﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به . . ﴾
٥٣٦	٢٣	﴿إني وجدت امرأة تمهلکم . . ﴾

٣٩٠	٢٥	﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء﴾
٥٣٦	٢٩	﴿قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلى الله كتاب كرم . .﴾
٣٧	٦٤	﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾
		سورة القصص:
٥٢٨	٨	﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدداً وحزناً﴾
٣٢٠	٣٤	﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾
٣١٠	٨٠ ، ٧٩	﴿فخرج على قومه في زيته قال الذين يريدون الحياة﴾
		سورة العنكبوت:
٤٤٣	٢	﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً﴾
٤٣٨ ، ٥٩	٤٦	﴿ولا تجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾
٢١٣	٦٣ ، ٦١	﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض﴾
		سورة الروم:
١١٢	٣٠	﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾
٢١٣	٣٣	﴿وإذا مس الناس ضرّاً دعوا ربهم﴾
		سورة لقمان:
٤٦	١٢	﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾
٤٧٥	١٨	﴿ولا تصغر خلك للناس﴾
٥٠٣ ، ٤١٠	٢٠	﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات . .﴾
١١٥	٢٥	﴿ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض﴾
٣٠١	٣٤	﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم﴾
		سورة السجدة:
٢٣٠	١٠	﴿وقالوا أنذا ضللنا في الأرض أتنا لفي خلق جديد﴾

٢٤٥	١٦	﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم﴾ سورة الأحزاب:
٣٨٨	٦٣	﴿يسألك الناس عن الساعة . . ﴾
٥٣٨	٦٧	﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا . . ﴾
		سورة سبأ:
٣٤٦	٢٤	﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض قال الله﴾
٥٠٥	٢٧، ٢٤	﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله . . ﴾
٤٨٤	٢٨	﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾
٤٩٢	٣٥	﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾
٢٨٨	٣٦	﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله . . ﴾
		سورة فاطر:
٤٨٦	٥	﴿ولا يفرنكم بالله الغرور﴾
١٦٦	٨	﴿أفمن زين له سوء عمله فراه حسناً فإن الله يضل من . . ﴾
		سورة يس:
٣٣٤	٢١	﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾
٥٥٣-١١٤	٢٢	﴿مالي لا أعبد الذي فطرني﴾
٢٢٩	٨٣، ٧٧	﴿ولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾
٢٢٣	٧٩، ٧٨	﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾
٢٣٣	٨٣، ٨١	﴿وليس الذي خلق السموات والأرض﴾
		سورة الصافات:
٤٧٣	٣٥	﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله﴾
٩٥	٣٧، ٣٦	﴿يقولون أننا لتاركوا آلہتنا﴾

		سورة ص:
٥١٦	٢،١	﴿ص والقرآن ذي الذكر...﴾
٢٠٨	٥،٤	﴿وعجبوا أن جاءهم منذر﴾
٤١٢،١٢٦	٥	﴿اجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾
٥٣٨،٤٧٠	٦	﴿وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا﴾
٤٠٩	٢٩	﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾
		سورة الزمر:
١١٦	٣٨	﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾
٢٥٩	٥٣	﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾
١٩٨	٦٧	﴿وما قدروا الله حق قدره﴾
		سورة غافر:
٥٠٣	٥،٤	﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾
٥٥٣	٢٨	﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون...﴾
٥٣٧	٢٩	﴿ما أرىكم إلا ما أرى...﴾
٨٢،٨١	٤١،٣٠	﴿وقال الذي آمن يا قوم إنني أخاف﴾
٤٨٠	٥٦	﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان﴾
		سورة فصلت:
٢١٥	١٣،١	﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم وكتاب فصلت آياته قرآناً﴾
٨٢	١٣،١	﴿عربياً لقوم يعلمون﴾
١٩٢،١٩١	٥	﴿وقالوا قلوبنا في أكنة...﴾
٢٤٦،٢١٦	٦	﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد﴾
٢١٩	١٢،٩	﴿قل أنتم لتكفرون بالذي خلق...﴾

٨٢	١٣	﴿فإن عرضوا فقل أنذرتكم﴾
١٨٧، ١٩٠	٢٦	﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن﴾
٢٨٠	٣٣	﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً﴾
٢٧٩	٣٤	﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن . . .﴾
٢٨٠	٣٥	﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾
١٧١	٤٣	﴿يقال لك إلا ما قد قيل للرسل﴾
٥٨٢	٤٤	﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت﴾
سورة الشورى:		
٨٩	١٣	﴿شرع لكم من الدين ما وصى به . . .﴾
٣٣٤	٢٣	﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾
٣٣٥	٢٣	﴿ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا﴾
٣٧١	٣٧	﴿إذا ما غضبوا هم يغفرون﴾
١٤٢	٤٨	﴿فإن عرضوا فما أرسلناك عليهم﴾
٣٣٥	٥٠	﴿قالوا لا ضير إننا إلى ربنا منقلبون﴾
٣٠٤، ٢٩٧	٥٢	﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾
٢٤٣	١٠٠	﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾
سورة الزخرف:		
١١٦	٩	﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض﴾
٤٥٣	٢٣	﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية﴾
٥٤٤، ٢٢٧	٣١	﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل﴾
٣٨٩	٤٥	﴿واسأل من أسرلنا من قبلك من رسلنا﴾
٢٢١	٦٠، ٥٧	﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾

٥٣٧	٥١	﴿ونادى فرعون في قومه﴾
٥٠٢	٥٨	﴿ماضربوه لك إجلالاً بل هم قوم خصمون﴾
٢٢١	٦٤	﴿إن الله هوربي﴾
٣٨٨	٨٧	﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولون الله﴾
		سورة الجاثية:
١٩٣، ١٩٢	٩، ٧	﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾
٤٥٣	٢٥	﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾
		سورة الأحقاف:
٠٩، ٩٦، ٨٩، ١٧٥	٩	﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل﴾
٣٢٢	١٢	﴿وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً﴾
٤٨٩	١١	﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً﴾
٧٨	٢٤	﴿هذا عارض ممطرنا﴾
٧٧	٢٧	﴿ولقد أهلكتنا ما حولكم من القرى . . .﴾
		سورة ق:
٣٤	١٨	﴿مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾
٢٣٣	١٥	﴿أفعمينا بالخلق الأول﴾
٤١٠	٣٧	﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع﴾
		سورة الذاريات:
١٧٩	٣٩	﴿فتولى بركته﴾
١٧١، ٩٥، ٨٣	٥٢	﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم﴾
١٧١، ٨٣	٥٣	﴿أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾
٩٣	٥٦	﴿وما خلقت الجن والإنس﴾

		سورة الطور:
١٧٩	٢٩	﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك﴾
٢١١	٣٦،٣٥	﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم...﴾
		سورة النجم:
٢٤١،٣٠١	٥،٣	﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾
١٥١	٥٦	﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾
		سورة القمر:
٢٥٣	٤٦	﴿بل الساعة موعدهم الساعة أدهى وأمر﴾
		سورة الرحمن:
٣٢١	٤،٣	﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾
		سورة المجادلة:
٣٨٩،٥٢،٣٦،٢٨	١	﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها...﴾
		سورة الحشر:
١٨٧	٢١	﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾
		سورة الصف:
٤٨	٣،٢	﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند...﴾
		سورة الجمعة:
٣١٠	٥	﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها﴾
		سورة الملك:
١٥٣	١٠	﴿وقالوا كنا نس أو نعقل...﴾

		سورة القلم:
٢٨٥	٤	﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾
		سورة نوح:
١٣٠	٩٠٥	﴿قال رب اني دعوت قومي...﴾
٤٢٦	١٢٠١٠	﴿فقلت اسغفروا ليكم انه كان غفراً...﴾
		سورة المزمل:
٢٤٤	٨٠١	﴿يا ايها المزمل قم الليل اقليلاً...﴾
		سورة المدثر:
١٤٣	٢٠١	﴿يا ايها المدثر قم فانذر﴾
٢٩٤	٢	﴿قم فانذر﴾
١٨٩٠١٨٨	٢٥٠١١	﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾
		سورة القيامة:
٣٠٠	١٩٠١٦	﴿لا تحرك لسانك لتعجل به﴾
		سورة عبس:
١٤٤	٢٠١	﴿عبس وتولى، ان جاءه الاعمى﴾
		سورة الإنشقاق:
٢٨	١٤	﴿انه ظن ان لن يحورا...﴾
		سورة الأعلى:
٣٠٠	٦	﴿سفرتك فلا تنسى﴾
٥٨٠	٩	﴿فذكر ان نعمت الذكرى﴾

٥٨٠	١٠	﴿سبذكر من يخشى﴾ سورة الفجر:
٥١	١٠	﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾
٥١٣	٢٧	﴿يا أيها النفس المطمئنة﴾ سورة البلد:
٣٢١	١٠، ٨	﴿ألم نجعل له عينين ولساناً وشفهتين وهدينا له النجدين﴾ سورة الشمس:
٥١٣	٧	﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ سورة الضحى:
٢٩٧	٧، ٦	﴿ألم يجعلك يتيماً فأوى، ووجلك ضالاً فهدى﴾ سورة سورة العلق:
٢٩٤	٥، ١	﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق﴾ سورة الهمزة:
١٩٢	١	﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ سورة الكافرون:
٥٠٥	٣، ١	﴿قل يا أيها الكافرون، لا أعبد وما تعبدون...﴾ سورة المسد:
١٥٣	٢، ١	﴿تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾

فهرس الأحاديث النبوية



فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	الحديث
	أ -
٧٧	أعوذ بالله أن أكون كوافد عاد
٩٨	الإيمان بضع وسبعون باباً أفضلها لا إله إلا الله
٩٩	أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة
١٠٦	أن يسلم قلبك لله عز وجل
١٠٦	أن تشهد أن لا إله إلا الله
١٠٧	أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم
١٠٧	إن شئت حدثتك يا معاذ برأس هذا الأمر
١٠٧	الإسلام أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
١١٧	أول من غير دين إبراهيم عمرو بن لحي
٥٦٣ ، ١١٩	أنا أولي الناس بعيسى بن مريم
١٢٠	إن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله
١٢٢	أمرت أن أقاتل المشركين
١٢٣	إذا سُئلت عن مفتاح الجنة
١٢٥	أتدري ما رأس الأمر يعني الإسلام
٥٧٢	انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب وقال فقلت
٤٤٣	أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون
١٢٥	الإيمان أربعة وستون باباً
١٢٦	أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تُدين لهم بها العرب
١٢٦	أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟

١٢٧	أقول أسلمت وجهي وتخليت
١٣٢	أي يوم هذا فسكتنا حتى أنه سيسميه سوى اسمه
١١٣	اقرأ عليك وعليك أنزل
٢١٠	أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال عن يطع الله ورسوله
٢٣٧	إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق السماء
٢٤١	إن عينية قد سألتني مضمّن تمر نخلكم
٥٨٥ ، ٣٠٦ ، ٢٥٤ ، ٢٤٩	إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جنتهم فادعهم
٢٥٠	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله
٢٥١	الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة
٢٥٦	إرجع إلى قومك فأخبرهم
٢٦١	إنما بعثت لأتم صالح الأخلاق
٤١٧	ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟
٤٣٠	أفرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم . قال : اسمع حتى
٤٣٢	أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم
٤٣٥	أن التفت إليه فضحك ثم أمر له بعتاء
٤٣٩	أطيب الكلام وأفضل السلام وصل الأرحام
٤٣٩	الكلمة الطيبة صدقة
٤٣٩	أنه قدم إلى مكة سويد بن الصامت الأنصاري حاجاً .
٤٦٠	أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي : يا عدي
٤٧٣	الكبير بطر الحق وغمط الناس
٥٢٥	أتيت الرسول ﷺ وهو جالس في المسجد فقال القوم . .
٥٢٦	أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو في مكة وهو حين
٥٥٦ ، ٥٥٥	أتى النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد

٥٥٧	إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل زمريء مانوى
٥٦٧	أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله دلني على . .
٥٦٩	أنه سئل من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم
٢٦٩	إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم
٢٧٣	اتق الله حيث كنت وأتبع السيء بالحسنة
٢٨٤	أيها الناس أفشوا السلام واطعموا الطعام
٢٦٦	البر حسن الخلق
٣٦٢، ٢٧	إن فيك خلقين يحبهما الله الحلم والأناة
٢٧٤	وأنا أدعوكم إلى عبادة الله عز وجل
٣٢٥، ٣٠١	أوتيت القرآن ومثله معه
٣٠٢	إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا
٣٠٣	ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه
٣٠٨	إن عبداً خيره الله
٣١٢	ألك من إبل؟ قال نعم. قال: ما ألوانها؟
٣٢٤	إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم
٣٢٤	إن من البيان لسحرا
٣٢٥	إن الله ييغض البليغ من الرجال الذي
٣٢٦	أنا أعربكم أنا قرشي واسترضعت في بني سعد
٣٢٨	أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم
٣٢٨	أنا محمد النبي الأمين
٣٣٠	أخاف إن أمرت يهودياً بأن يكتب لي كتاباً إلى اليهود
٥٠٦، ٣٤٣	إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له
٣٤٩	أن الرسول ﷺ ذهب إلى بيت الصحابي عتبان بن مالك

٣٥٠	أقد فرغت يا أبا الوليد
٣٦٥	أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج
٣٦٧	أن أعرابياً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فصلني
٣٧١	استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس
٣٨٣	أسألك بربك ورب من قبلك الله أرسلك إلى الناس كلهم
٣٩٧	إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال من القوم
٤٠٠	إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال
٥٦٨، ٤٠٢	أي الإسلام خير
٤٠٢	أي الإسلام أفضل
٤٠٥	أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم
	ب —
٦٨	بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد
٢٤٩، ١٢٢، ١١٠	بني الإسلام على خمس
١٥٧	بلى إني رسول الله ونبيه
١٥٧	بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق
١٦٢	بينما نحن في المسجد خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال . .
٢٦٦	البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن
٢٩٩	بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه
٣٢٦، ٣١٣	بعثت بجوامع الكلم
٣٩٨	بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل . .
٥٧٣	بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاء أعرابي
	ت —

٣٤٠	ترون هذه الشمس فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم
٤٣٥	تبسمك في وجه أخيك صدقة
	ث -
١٠٢	ثم ادعهم إلى الإسلام
	ج -
٢١٠	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال أنت سيد قريش فقال النبي
٢٤٧	جاء إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد نائر الرأس دوي صوته
٢٦٨	جاء الأعراب ناس كثير من هاهنا وهاهنا
٣٦٧	جاء إليه فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي ﷺ
٤٠٠	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله وُلد غلام أسود
٥٢٤	جاءه رجل نصراني يُقال له عداس ومعه قطف عنب فقدمه
	ح -
٤٢١ ، ١٦	حضرت عصابة من اليهود للنبي ﷺ يوماً قالوا: يا أبا
٤٣٢	حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
	خ -
١٠٦	خمس صلوات في اليوم والليلة
٤٣٣	خرج ﷺ على صناديد قريش في يوم واستلم البيت يطوف
٤٧٦	خرج إلى البطحاء فصعد إلى الجبل فنادى يا صاحبه
٥٨٤	خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلين فمر
	د -
١٢٠	دعى رجلاً إلى الإسلام فقال: أجدني كارهاً
٣٩٥	دعوني ماتركم فإنما أهلك من كان قبلكم

	ذ -
٣١٠	ذاك أو أن ذهاب العلم
	ر -
٧٩	رجل ذو عز وضعة في قومه
	س -
٩٨ ، ٩٧	سُئل الرسول ﷺ بما بعث وإلى ما يدعو فأجاب بالإسلام
٢٥٦	سيصدقون ويجاهدون إذا أسلموا
٤٤٠	سلوني عن ما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله
٥٦٨	سُئل أي الإسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على
	ص -
٣٢٥	صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم
٤٨٨	طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله
	ع -
٢٧٣	علمني ما ينفعني قال اتق الله
٣٦٤	علقت رسول الله ﷺ الأعراب يسألونه
	ف -
١٢٦	فقال من أين أقبلت
١٣٤	فقال يارب هذا علي من أنا بيمين ظهريه فكيف بمن لم أره
١٥٤	فانطلق نبي الله ﷺ إلى رضمه من جبل
١٥٦	فقال ما هذا يا محمد : قال دين الله الذي اصطفى لنفسه
١٦٠	فقال هلم يا أبا الحكم هلم أدعوك إلى الله وإلى رسوله

٢١٤	فقال يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله ﷺ
٢٩٧	فتزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم
٣٤٨	فقال رسول الله ﷺ يا حاطب ما هذا؟ قال
٣٧٢، ٣٥٢	فقال زكبت بسم الله الرحمن الرحيم
٥٣٩	فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين
٥٧١	فخياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية
	ق —
١٠٠	قال : أنا رسول الله بعثني إلى العباد
١٠٧	قال رجل يا رسول الله ما الإسلام
٢٠٩	قولوا بقولكم ولا يستجركم الشيطان
٢٣٤	قلت سا رسول الله كيف يحيي الله الموتى
٢٥٥	قال للرسول ﷺ فأتبعك يا رسول الله؟ قال لا ولكن إلهي
٣٠٢	قال رسول الله ﷺ يا أبا المنذر أتدري أي آية
٣٦٤	قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شر
٣٨٥	قلنا أعرض علينا الإسلام فعرض وقال
٣٩٣	قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي
٤١٦	قلنا أعرض علينا الإسلام ، فعرض وقال : من خلق . .
٥٦٧	قال آمنت بالله ثم استقم
٥٦٨	قال لا تغضب فردد مراراً قال لا تغضب
	ك —
٧٨	كأني انظر إلى موسى عليه السلام
٧٨	كأني انظر إلى يونس ابن متى عليه السلام على ناقة حمراء

٨٠	كان بين آدم ونوح عشرة قرون
١١٧	كم إله تعبد يا حصين
١١٧	كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة
٣٤	كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه
٢٣٧	كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة
٢٧١	كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه
٣٠٨	كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار
٣٢٥	كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام
٣٥٣	كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود
٣٦٣	كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد بخرانى
٣٦٦	كأنى انظر إلى رسول الله ﷺ يمسح الدم عن جبهته ويقول
٣٩٧	كان النبي ﷺ بارزاً يوماً بارزاً للناس
٤٠٤	كتب عليكم الحج
٥٥٨	كنت عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود
	ل -
١٣٦	لن يهلك الناس حتى يعذروا أو يُعذروا من أنفسهم
١٤٥	لا أكره أحداً منكم على شيء
٤٠١، ٢١٠	لا عدوى ولا هامة ولا صفر
٣٥١	لا يقضين حكم بين آئين وهو غضبان
٣٥٧	ليليني منكم أولو الأحلام والنهي
٣٥٨	ليليني منكم أولو الأحلام والفهم
٣٧٢	ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند . .

٤٥٤	لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ
٥٣٨	لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود
	م —
٧٣	مثلي ومثل الأنبياء السابقين كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه
١١٣	مامن مولود إلا يولد على الفطرة
١٢٤	مامن أحد يشهد أن لا إله إلا الله
١٢٩	من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً
٥٤٢ ، ٤٣٣ ، ١٦٥	من محمد بن عبدالله ورسوله إلى هرقل
٣٩	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
١٩٥	مالي ماتقولون . ما جتكم بما جتكم به أطلب أموالكم
٢٦٦	من معك على هذا الأمر؟ قال : حر وعبد
٣٠١	مامن الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما قبله آمن عليه
٣٠٣	ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه
٣٧٠	مر ﷺ على قوم يصطرعون فقال هذا
٣٨٣	ماذا يضرك يا عدي
١٨٤	مرّ على النبي ﷺ محمداً مجلوداً فدعاهم ﷺ
٤٣٥	ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ولا أراني إلا تبسم
٤٨٣ ، ٤٧٠	مر بمجلس فيه عبدالله بن أبي وذلك قبل أن يسلم عبدالله
٥٦٨	من سلم المسلمون من لسانه ويده
	ه —
١٢٧	هذا جبريل جاءكم ليعلم الناس معالم دينهم
١٤٥	هل من رجل يحملني إلى قومه

٣٩٧	هذا جبريل جاء يعلمكم أمر دينكم
٥٤٥، ٥١٦	هل لك في الإسلام الحنيفية ملة أبيك إبراهيم
٥١٩	هل نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فأجابه ﷺ
٥٣٣	هل لكم في خير مما جئتم له
	— ٩ —
٧٤	وان تؤمن بالله وملائكته
٧٩	ونحن أحق من إبراهيم
١١٢	وأنى خلقت عبادي كلهم
١٣٦	ولا أحد أحب إليه العذر من الله
١٤٤	وما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً
١٥٢	وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه
٣٠٣	والذي نفسي بيده لأقضين بينكما
٣٢٨	ولا نبي بعدي أو تيت فواتح الكلم وخواتمه
٣٤٩	وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر
٤١٩	والله لكأنك تريدنا يا رسول الله
٥٣٩	وإن لم تدخل في الإسلام فلا تخل بين الصفاحين وبين
٥٤٢	ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم
	— ي —
١٠١	يا معشر يهود أسلموا تسلموا
١٠٣، ١٠٢	يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا
١١٧	يُبعث أمة وحدة
١٢٥	يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله

١٥٣	يا بني فهر، يا بني عدي - لبطن قريش
٢٠٨	يا عم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم .
٢٢٢	يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا
٢٧٣	يا معاذ اتق الله وخالق الناس بخلق حسن
٣٠٥	يا بني عبدالله إن الله قد أحسن اسم أييكم
٣٤٦	يا ابن أخي ماذا ترى وأخبره ﷺ ما رأى
٥٠٩	يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير
٥٧١	يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر

فهرس الأعلام



فهرس الأعلام

رقم الصفحة	اسم العلم
١٠٦، ٩٦، ٨٠، ٣٨	آدم
، ١١٢، ٩٦، ٨٧، ٨٦، ٨١، ٧٩، ٧٦، ٧٥، ٦٢، ٣٨، ٣٧	إبراهيم عليه السلام
، ٤١٤، ٣٧٩، ٣٧٨، ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٣٢، ١١٦، ١١٣	
٥٦٧، ٥٦٦، ٤١٦، ٤١٥	
، ٢٨٩، ٢٧٨، ٢٤٠، ٢٣٩، ٢١٢، ٢٨٩، ١١٩، ٥٧، ٣٧	ابن تيمية
٣٩٥، ٣٧٥	
٩	ابن باز - رحمه الله -
، ٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٤، ٣٢٤، ١٦٢، ١١٣، ١١٢، ١٠٥	ابن حجر
، ٤١٨، ٣٦٦، ٣٦٤، ٣٤٩، ٢٦٤، ٣١٨، ٢٥٥، ٢٩٢	
٥٤٠، ٤٨٨، ٤٨٦، ٤٥٦	
١٥٩	ابن حزم
١٤٤	ابن إسحاق
١٤٤	ابن أم مكتوم
١٣٤	ابن جريج
٣١٧	ابن رجب
٥٠٩، ٤٨٧، ٤٧٤، ١٥١، ٧٦، ٦٠، ٥٤، ٣٠، ٢٩، ٥، ٤	ابن عاشور
، ٣٨٨، ٣٣١، ٢٥٩، ٢٤٦، ٢١٧، ١٦، ١٢٤، ٨٠، ٦٤	ابن عباس
٥٤٧، ٤٢١، ٣٩٩	
٤٨١، ٢٩٢، ٥	ابن العربي
٣٣٧، ٥٣، ٤٣	ابن حميد

٢٤٦،٥٣،٥٠	ابن جرير الطبري
١٤٩،٧٧	ابن سعدي
٣٨١،١٤٨	ابن عطية
٢٤٧،٥٨	ابن عثيمين
١١٢	ابن عبدالبر
٤٨٦	ابن فارس
٤٣٥	ابن قدامة
٤٦١،٤٦٠،٤٥٩،٤٢٥،١٢٥،٥٩	ابن القيم
٣٦٦،٣٢٥،١٣٤،١١٣	ابن مسعود
٣٤٧،١٥٩،١٥٨،١٥٠،١٢٤،٩٩،٥٩،٥٦،٥٤،٥٠	ابن كثير
٤٤٩،٤٤٣،٤١٢،٢٩٧،٢٧٩،٢٤٥،٢٣٩،١٩٣	
٥٣٩،٥٣١،٥٠٩،٤٩٥،٤٨٩	
١٤٤،١٤٤،١٤٣	ابن هشام
٥٤٠،٥٢٣،٥٢٢،٣٧٣،٣٠٨،١٥٧،١٠٠،٩٩،٣٨	أبو بكر - رضي الله عنه -
٥٣٣	أبو الحيصر أنس بن رافع
٥٨،١٥٩	أبو بكر الرازي
٥٤٧،٤٧٧،٤٦٩،١٩١،١٨٢،١٨،١٦١،١٦٠	أبو جهل
٢٣٤	أبوزرين العقيلي
٥٧٢	أبورفاعة
٢٧٤،٢٥٦،٢٠٢،١٦٣،١٥٨	أبو ذر
٣٠٨	أبو سعيد
٢٦٤	أبو حامد الغزالي
٥٤٣،٥٤٢،٢٥٢،٢٤٦،٢٢٠،٢١٧،٨٤	أبو سفيان

٥٣٠، ٤٧٩، ٤٥٦، ٤٥٤، ٤٣٢، ٢٠٨، ١٨١، ٣٤٠، ١٢٦، ٨٤	أبو طالب
٤٧٧، ٣٤٠، ١٧٣	أبو لهب
٣٦٧، ١٢٥	أبو هريرة
٤٢٨، ٤٠٧، ٣٩٢، ٢٦٤، ٢٦٣، ١٤٠، ١٣٩، ٤٩، ٢٨، ٣	الراغب الاصفهاني
٤٦٤، ٤٢٩	
٣٦٣، ٢٨٢	أنس بن مالك
٥٣٣، ٢٧٥، ٢٧٤	أكرم بن صيفي
٣٦٢، ٢٧٠	أشبح عبدالقيس
٢٣٣، ٢٢٩	أبي بن حلف
٨٦	إسماعيل - عليه السلام -
١٩٢	إسفنديار
١٢٠	الأحنف
٢٨٠، ٥٦، ٥٤	البقاعي
١٦٤، ١٦٣، ١٥٨، ١٥٣، ١٢٣، ١١٢، ١٠٦، ١٠٥	البخاري
١٨١، ٢٩٢، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٩٥، ٤٧٦، ٥٤١، ٥٤٢	
٥٨٤، ٥٧٠	
٣٢٥	الترمذي
٤٧٤	الجاحظ
٢٦٥، ١٤٢	الجرجاني
٧٧	الحارث بن حسان البكري
١٠٦، ٥٢	الزمخشري
٢٦٤، ٢٧٠	الزرقاني
١٣٤	السدي

٦٢	السيوطي
٥١٥، ٣٣٨	الشافعي
٣٠٥	الشعبي
٤٤٤، ٥٤، ٥٢	الشوكاني
٥٢٣، ١٨٢	الطفيل بن عمرو الدوسي
١٢٣	العلاء بن الحضرمي
٣٢٥	العرباض بن سارية
٤٨٦، ٤٧٤، ٤٢٥، ٢٩٢، ٢٦٤، ٣٣٨، ٥٥	الغزالي
٣٩٢	الفيروزآبادي
٨٠	القاسمي
٤٧٤، ٣١٧، ٣١٣، ١٤٨، ١٤٧، ٣٦	القرطبي
٢٦٩	القاضي عياض
١٥٩	الماوردي
٤٣٤، ١١٣	النووي
٨٧، ٣٧، ٥٥٩، ٥٥١، ٢٧٥، ٢٢٣، ١٧٧، ١١٨، ٧٩	النجاشي
٥٨	النيسابوري
٢٣٥، ١٩٤، ١٩٣، ١٩٢	النضر بن الحارث
٥٤٧، ١٩٤، ١٩٣، ١٨٨، ١٧٩، ١٤٤	الوليد بن المغيرة
٥١٤	أمية بن أبي الصلت
٥٣٣	إياس بن معاذ
٦٧	ثمامة بن أثال
٢٧٥، ٢٢٣	جعفر - رضي الله عنه -
٥٥٩، ٥٥١، ٤٦١، ٤٦٠، ١١٨	جعفر الطيار

٢١٢	جابر بن سليم
٢١١	جبير بن مطعم
٥٨١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٤ ، ٣٠٠ ، ٢٤٤ ، ١٢٧ ، ٧٤	جبريل - عليه السلام -
٣٤٧	حاطب بن أبي بلتعة
٤٨٥	حيي بن أخطب
١٣	خالد بن عبدالله القاسم
٤٨٧	خباب بن الأرت
٥٢٢ ، ٢٨٥ ، ٢٤٤ ، ١٥٦ ، ١٥٥	خديجة بنت خويلد
٣٠٧	داود - عليه السلام -
٥٨١	دحية الكلبي
١٩٢ ، ٦٣	رستم
٣١	زاهر الألمي
٥٢٢	زيد بن حارثة
٣٦٥	زيد بن سعة
١٧٣ ، ١١٧	زيد بن عمرو بن نفيل
٣٢٩	زيد بن ثابت
١٩٨	سعيد بن جبير
١٥٩	سيد محمد الشنقيطي
٢٤١	سعد بن معاذ
٣٠٩ ، ٢٠٣	سلمان الفارسي
٢٤١	سعد بن عباد
٦٩	سيد الأحايش
٣٧٣ ، ٣٧٢ ، ٣٥٢	سهيل بن عمرو

٢٥٧	سلمة بن صخر
٥٦٦، ٣٠٧	سليمان - عليه السلام -
٥٣٢، ٤٤٠، ٤٣٩	سويد بن الصامت
٥٦٥، ٥٥٣، ٥٣٨، ٥٢٩، ٨٢، ٧٦	شعيب - عليه السلام -
٥٣٧، ١٢٩، ٨٣، ٧٦	صالح - عليه السلام -
٤٨٥	صفية بنت حيي
٥٨٣، ٤٠٣، ٣٩٩، ٣٩٨، ٣٨٣، ٢٤٨، ١٦٥	ضمام بن ثعلبة النجدي
٥٠٦، ٣٤٣	ضمام
٤٦٩	عامر بن الطفيل
١٩٤	عبدالله بن الزبيري
١٨١	عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة
٤٠١، ٣٠٨	عبدالله بن عمر
٥٥٦، ٥٤٠، ٤٧٠، ١٩٧، ١٧٥	عبدالله بن أبي بن سلول
١٧، ٤	عبدالحليم حنفي
١٨٦، ١٨١، ٨٤	عبدالمطلب
٣٥١، ٣٥٠، ٢٨٣، ٢٤٦، ٢٢٨، ٢١٤، ٢٨٤، ٨٢، ٤٣٠	عتبة بن ربيعة
٥٤٤، ٣٧٤، ٦٩	عمرو بن مسعود
١٨٠	عبد شمس
٢٣٥	عقبة بن أبي معيط
٢٨٤	عبدالله بن سلام
٥٢٤	عداس
٤٩٦، ٤٥٨	عمرو بن العاص
٥٣٩	عمرو بن لحي الخزاعي

٥٥٩،٥٢٢،٥١٩،٢٤٤،١٥٦،١٠٢،٦٤	علي بن أبي طالب
٣٩٩،٣٧٣،٢٧٩،٢٦٩،٣٤٨،٣٢٦	عمر بن الخطاب
٥٢٦،٢٦٦،٢٥٥،١٥٨،١١٧،٩٩	عمرو بن عبسة
٤٦١،٤٦٠،١٧٧،١٣٥،٧٥	عيسى - عليه السلام -
٤٣١،٣٦٣،٢٨٥،٢٦٩،٢٦٦،٢٥٣	عائشة - رضي الله عنها -
٥٢٥،٥١٦،٤٧٢،٤٦٠،٣٨٣،٣٠٦،٢٨٤	عدي بن حاتم
٢٦٩	عمرة
٥٣٦،٥٢٩،٤٨١،٤٦٦،٣٣٧،٣٣٥،٣٢٠،٨٣،٣٨	فرعون
٥٤٥،٦٩	قيصر
١٧٣	قس بن ساعدة
٤٧٦،١٠٣،٦٩	كسرى
٥٦٥،٥٥٣،٧٩،٧٦	لوط
٣٦٤	ليد بن الأعصم
٢٦٤	مالك بن أنس
٣٢،٦	محمد الأمين الشنقيطي
٨٨	مريم - عليها السلام -
،٢٧٣،٢٥٤،٢٤٩،١٦٤،١٢٥،١٢٤،١٠٧،٣٤	معاذ بن جبل
٥٨٥،٥٦٤،٣٠٦	
٢٨٣	مسيلة الكذاب
٣٠٤	مسروق
،٣٣٧،٣٢١،٣٢٠،١٣١،٨٣،٧٦،٧٥،٥١،٣٨	موسى - عليه السلام -
٥٢٨،٤٨٢،٤٦٦	
١٢٠	مصعب بن عمير

٨١	مؤمن آل فرعون
٣٣٤، ١١٤	مؤمن سورة يس
١٣٤	مقاتل
، ١٨٥، ١٧١، ١٣٣، ١٣٠، ١٢٩، ٧٦، ٧٥، ٣٨، ٣٦	نوح - عليه السلام -
٥٣٧، ٤٩٠، ٤٦٧، ٤٤٤، ٤٢٦، ٣٣٧، ٣٣٣، ٢٠٧	
٢٥٢، ٢٤٦، ٢١٩، ٢١٦، ١٨٥، ٣٢٨، ١٦٥، ١٠٣، ٨٤	هرقل
٣٥٩، ٤٦٨، ٤١٩، ٣٥٤	
٤٦٦	هارون
٥٣٧، ٢٠٧، ١٢٩، ٧٦، ٧٥	هود
٤٤٧، ١٧٣، ١٥٥	ورقة بن نوفل
٣٣٦	وهب
٦٣	يزدجرد
٥٧٠، ١٠١	يعقوب - عليه السلام -
٥٧٠، ١٠٢، ٧٩، ٤١	يوسف - عليه السلام -

فهرس المصادر والمراجع



فهرس المصادر والمراجع

أ - القرآن الكريم.

ب - علوم القرآن.

١ - ابن الجوزي، أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محم الجوزي، القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي بيروت، (ط: ٤)، ١٤٠٧هـ.

٢ - ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب (أسباب النزول)، دار ابن الجوزي، (ط: ١)، ١٤١٨هـ.

٣ - ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٤ - ابن عطية، أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون بالمغرب، (ط: ٢)، ١٤٠٣هـ.

٥ - ابن العربي، محمد بن عبدالله، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط: ١)، ١٤٠٨هـ.

٦ - ابن قدامة، حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البداعة، مكتبة الرشد، الرياض.

- ٧- ابن القيم، تحقيق: محمد حامد، التفسير القيم، دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان، (ب:ت).
- ٨- ابن كثير، الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر ١٤٠٨هـ.
- ٩- ابن نجم الحنبلي، الإمام ناصر الدين عبدالرحمن، استخراج الجدل من القرآن، تحقيق: د. زاهر عواض الألمعي، (ط:٢)، ١٤٠١هـ.
- ١٠- أبي السعود، محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب:ت).
- ١١- أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، (ط:٢)، ١٤٠٧هـ.
- ١٢- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني.
- ١٣- البغوي، الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- ١٤- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط:١)، ١٤١٥هـ.
- ١٥- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد

الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط: ١) ١٤٠٨ هـ.

١٦ - الثعالبي، أبي منصور عبد الملك بن محمد، الإقتباس من القرآن الكريم، تحقيق: د. ابتسام مرهون الصغار، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، (ط: ١)، ١٤١٢ هـ.

١٧ - ثروت أباطة، السرد القصصي في القرآن، دار نهضة مصر، (ب: ت).

١٨ - جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجمال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، مكتبة مصطفى البابلي الحلبي، مصر، (ط: ٣) ١٣٧٤ هـ.

١٩ - حسن الشرقاوي، الجدل في القرآن، منشأة المعارف، الإسكندرية، (ب: ت).

٢٠ - الخازن، لبابا التأويل في معاني التنزيل.

٢١ - الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت.

٢٢ - الرازي، الفخر الرازي، التفسيري الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط: ٣)، (ب: ت).

- ٢٣- الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابلي الحلو، بدون تاريخ للطبع ورقم.
- ٢٤- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة ومطبعة صطفى البابلي الحلبي، مصر، ١٣٩٢هـ.
- ٢٥- د. زاهر عواض الألمي، مناهج الجدل في القرآن، (ط: ٣)، ١٤٠٤هـ، لم تذكر دار النشر.
- ٢٦- سعيد حوبى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، (ط: ١)، ١٤٠٥هـ.
- ٢٧- السيوطي، الإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط: ١)، ١٤٠٣هـ.
- ٢٨- السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين لسيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم، بيروت، (ط: ٢)، ١٩٧٩م.
- ٢٩- السيوطي، الإمام عبدالرحمن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط: ٣)، ١٤١٥هـ.
- ٣٠- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، مطابع دار أخبار

اليوم، بدون رقم تاريخ .

٣١- الشنقيطي، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي،
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب، بيروت، بدون رقم
وتاريخ .

٣٢- الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار الفكر،
١٤٠١هـ، بدون رقم .

٣٣- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، طبعة
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط: ١) ١٤١٢هـ .

٣٤- عبدالحليم حفني، أسلوب المحاوراة في القرآن، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، (ط: ٢) ١٩٩٥م .

٣٥- عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسر الكريم الرحمن في تفسير
كلام المنان، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، (ط: ١)
١٤١٩هـ .

٣٦- عبدالرحمن بن محمد الدوسري، صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير
القرآن العظيم، مكتبة الرشد، الرياض (ط: ٢) ١٤٠٤هـ .

٣٧- عبدالعزيز سيد الأهل، من الأشباه والنظائر في القرآن العظيم،
القاهرة، ١٤٠٠هـ بدون رقم للطبع .

٣٨- الفيروزآبادي، محم بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، بدون رقم وتاريخ للطبع.

٣٩- اقرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، (ب: ت) للطبعة.

٤٠- الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، (ط: ١) ١٤١٢هـ.

٤١- محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، دار الفكر (ط: ٢) ١٣٩٨هـ.

٤٢- محمد رشيد رضا، تفسري القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيوت، (ط: ٢) ١٣٩٣هـ.

٤٣- محمد نسيب الرفاعي، تسي العلي القدي لاختصار تفسري ابن كثير، مكتبة المعارف، الرياض، (ط: ٥) ١٤٠٨هـ.
ج - الحديث وعلومه.

٤٤- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة، ب: ث.

٤٥- الشيخ أحمد عبدالرحمن البناء، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام

أحمد بن حنبل الشيباني، القاهرة، مطبعة دار إحياء التراث العربي،
بيوت، بدون رقم وتاريخ.

٤٦- أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، بيت الأفكار الدولية للنشر
والتوزيع، ١٤١٩هـ.

٤٧- أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي الشهير
بابن رجب، فتح الباري شح صحيح البخاري، دار ابن الجوزي للنشر
والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤١٧هـ.

٤٨- أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، (الموسوعة الحديثية)، أشرف
على تحقيقه الشيخ شعيب الأرنؤوط وشاركه آخرون، مؤسسة الرسالة
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ.

٤٩- أبو عمر بويوف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمر الأندلسي،
الإستذكار، دار قتيبة للطباعة والنشر، القاهرة ط: ١، ١٤١٤هـ.

٥٠- الحافظ جلال الدين السيوطي، شرح سنن النسائي، دار المعرفة،
بيوت، ط: ٣، ١٤١٤هـ.

٥١- الإمام الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، المكتب الإسلامي،
بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣هـ.

٥٢- حمد بن محمد الخطابي (أبو سليمان)، معالم السنن شرح سنن أبي

داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ.

٥٣- شرف الدين الحسين بن عبدالله بن محمد الطيبي، شرح الطيبي
على مشكاة المصابيح، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط: ١،
١٤١٧هـ.

٥٤- الشيخ خليل أحمد السهارنغوري، بذل المجهود في حل أبي داود،
دار الكتب العلمية، ب: ت.

٥٥- سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، مسند الطيالسي الفارسي
البصري، بيروت، لبنان، دار المعرفة، توزيع مكتبة المعارف، الرياض،
ب: ت.

٥٦- سيدي محمد الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك،
دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤٠٩هـ.

٥٧- القاضي عياض الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض
اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار
الوفاء، مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١، ١٤١٩هـ.

٥٨- محمد بن خليفة الوشتاني الأبي، صحيح مسلم مع شرحه المسمى
إكمال إكمال المعلم، وشرحه المسمى مكمل إكمال الإكمال، الإمام محمد
بن محمد بن يوسف السنوسي الحسني، تصحيح محمد سالم هاشم، دار

الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.

٥٩- محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت ط: ١، ١٤١٠هـ.

٦٠- محمد بن علي بن عمر المازري، المعلم بفوائد مسلم، تقديم وتحقيق: الشيخ محمد الشاذلي، النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٢م.

٦١- محمد عبدالرؤف المناوي، فيض القدي شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤١٥هـ.

٦٢- محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المكتبة السلفية بالمدينة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ.

٦٣- ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ط: ١، ١٤١٢هـ.

٦٤- ناصر الدين الألباني، صحيح سنن النسائي باختصار السند، مكتبة التربية العربي لدول الخلية، المكتب الإسلامي، ط: ١، ١٤٠٩هـ.

٦٥- ناصر الدين الألباني، صحيح سنن الترمذي باختصار السند، مكتب التربية العربي لدول الخليج، المكتب الإسلامي، ط: ١، ١٤٠٩هـ.

٦٦- ناصر الدين محمد الألباني ، صحيح سنن أبي داود باختصار
السند، مكتب التربية العربي لدول الخليج، المكتب الإسلامي، بيروت،
ط: ١، ١٤٠٩هـ.

٦٧- ناصر الدين محمد الألباني ، صحيح سنن ابن ماجه باختصار
السند، مكتب التربية العربي لدول الخليج، المكتب الإسلامي، بيروت،
ط: ١، ١٤٠٨هـ.

٦٨ ناصر الدين محمد الألباني ، صحيح الترغيب والترهيب، المكتب
الإسلامي، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٦هـ.

٦٩- ناصر الدين محمد الألباني ، صحيح الأدب المفرد للبخاري ، مكتبة
الدليل، المملكة العربية السعودية، الجليل الصناعية، ط: ٢، ١٤١٧هـ.

٧٠- ناصر الدين محمد الألباني ، صحيح الجامع الصغرى وزيادته الفتح
الكبير، المكتب الإسلامي، ط: ٣، ١٤٠٢هـ.

كتب السيرة.

٧١- إبراهيم العلى ، صحيح السيرة النبوية، دار النفائس للنشر
والتوزيع، الأردن، ط: ٢، ١٤١٦هـ.

٧٢- أبو الحسن الندوى، السيرة النبوية، دار الشروق، ط: ٨.

٧٣- أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى، الوفاء بأحوال المصطفى،

المؤسسة السعيدية بالرياض، ب: ت.

٧٤- إسماعيل بن كثير القرشي، السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت،
١٣٩٦هـ.

٧٥- أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العبيكان،
ط: ٢، ١٤١٧هـ.

٧٦- الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ
الإسلام (السيرة النبوية) دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١، ١٤٠٧هـ.

٧٧- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، رابطة العالم
الإسلامي، ط: ٢، ١٤١٨هـ.

٧٨- علي بن سعيد بن حزم الأندلسي، جوامع السيرة النبوية، دار
الجيل، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٤هـ.

٧٩- عبد الملك بن هشام معافري، السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت،
١٩٧٥م.

٨٠- القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق
المصطفى، مؤسسة علوم القرآن، دار الفحيا، عمان، ط: ٢، ١٤٠٧هـ.

٨١- الإمام محمد بن يوسف الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد
في سيرة خير العباد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١،

١٤١٤هـ.

٨٢- محمد الغزالي، فقه السيرة، دار إحياء التراث العربي، ط: ٧،
١٩٧٦م.

٨٣- محمد الصوباني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث
الصحيحة، مطابع شركة الصفحات الذهبية، الرياض، ط: ١، ١٤١٢هـ.

٨٤- محمد عزة دروزه، سيرة الرسول مقتبسة من القرآن الكريم، المكتبة
العصرية، بيروت.

٨٥- نور الدين القاري، شرح الشفاء في شمائل صاحب الإصطفاء،
دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١، ١٣٢٧هـ.

كتب الدعوة.

٨٦- إبراهيم بن صالح الحميدان، أسلوب المناظرة في دعوة النصارى
إلى الإسلام، (رسالة دكتوراه غير مطبوعة)، مقدمة لكلية الدعوة
والإعلام، قسم الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،
١٤١٤هـ.

٨٧- أبو الحسن الندوي، حكمة الدعوة وصفة الدعاة، دار البشائر
الإسلامية، بيروت، ط: ١، ١٤١٣هـ.

٨٨- أحمد عبدالعزيز الخلف، منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله،

أضواء السلف، ط: ١، ١٤١٩هـ.

٨٩- د. أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط: ٢، ١٤٠٧هـ.

٩٠- توفيق الواعي، الدعوة إلى الله الرسالة الوسيلة، دار اليقين، مصر، ط: ٢، ١٤١٦هـ.

٩١- د. حمد بن ناصر العمار، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، دار إشبيليا، الرياض، ط: ١، ١٤١٦هـ.

٩٢- د. صالح بن عبدالله بن حميد، مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط: ٢، ١٤١٥هـ.

٩٣- عبدالرب نواف الدين، الدعوة إلى الله، دار القلم، دمشق، ط: ١، ١٤١٠هـ.

٩٤- عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله، دار القلم، دمشق، ط: ١، ١٤١٧هـ.

٩٥- د. عبدالرحيم محمد المغدوي، منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي ﷺ لمبعوثه إلى اليمن معاذ بن جبل، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١، ١٤٢٠هـ.

٩٦- د. عبدالغني محمد سعد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة

ومنهاجاً، مكتبة وهبة، مصر، ط: ١، ١٤٠٣هـ.

٩٧ - الشيخ عبدالعزيز بن باز، الدعوة إلى الله سبحانه وأخلاق العاة، مكتبة دار اليقين، الرياض، ب: رقم وتاريخ.

٩٨ - د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، منهج ابن تيمية في الدعوة، دار إشبيليا، الرياض، ط: ١، ١٤١٧هـ.

٩٩ - الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، الدعوة إلى الله (وجوبها، فضلها أخلاق الدعاة) دار طويق للنشر والتوزيع، ط: ١، ١٤١٤هـ.

١٠٠ - عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، ط: ٤، ١٤١١هـ.

١٠١ - عبدالوهاب لطف الديلمي، معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، دار المجتمع، جدة، ط: ١، ١٤٠٦هـ.

١٠٢ - الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، زاد الداعية إلى الله، دار الوطن للنشر، الرياض، ط: ٣، ١٤١٣هـ.

١٠٣ - محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٣، ١٤١٥هـ.

كتب العقيدة.

١٠٤ - ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، مكتبة المعارف،

الرياض، ١٤٠٢هـ بدون رقم.

١٠٥ - ابن خلدون، المقدمة، مكتبة لبنان، ط: ٢، ١٩٩٠م.

١٠٦ - ابن جماعة الكناني، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم.

١٠٧ - ابن رجب الحنبلي، بيان فضل علم السلف على علم الخلف.

١٠٨ - ابن رجب الحنبلي، زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بغداددي، جامع العلوم والحكم، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ.

١٠٩ - ابن عبدالبر أبو عمر، يوسف بن عبدالله بن محمد النمر الأندلسي، بهجة المجالس وأنس المجالس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢، ١٩٨١م.

١١٠ - ابن القيم، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ.

١١١ - ابن القيم، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، مفتاح السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ب: ت.

١١٢ - ابن القيم، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي

الدمشقي، أعلام الموقعين عن رب العالمين .

١١٣ - ابن القيم، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي
الدمشقي، هداية الخيري في أجوبة اليهود والنصارى، مؤسسة مكة
للطباهة (توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) ب: ت .

١١٤ - أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، الاعتصام، دار المعرفة، بيروت،
١٤٠٦هـ .

١١٥ - أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، مكتبة الكليات الأزهرية
القاهرة، ط: ٢، ١٣٩٨هـ .

١١٦ - أبو حيان التوحيدى، الإقناع والمؤانسة، منشورات المكتبة
العصرية، بيروت، صيدا، ب: ت .

١١٧ - أبو الحسن الجزري بن الأثير، أسد الغابة في تمييز الصحابة، دار
المعرفة، بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ .

١١٨ - د. عبدالمجيد تركي، مناظرات في أصول الشريعة بين ابن حزم
والباجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٤٠٦هـ .

الكتب العامة.

١١٩ - أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية)، ط: ٧، مطبعة
السعادة، القاهرة، ١٣٩٦هـ .

١٢٠ - (شيخ الإسلام) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الإستقامة، طبعة

- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط: ١، ١٤٠٤هـ.
- ١٢١ - شيخ الإسلام، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الرسالة التدمرية، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط: ٢، ١٤٠٠هـ.
- ١٢٢ - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: ١، ١٤٠٣هـ.
- ١٢٣ - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الرد على المنطقيين، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط: ٢، ١٣٩٦هـ.
- ١٢٤ - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، المغرب، بدون تاريخ.
- ١٢٥ - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، إقتضاء الصراط المستقيم، لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق وععليق: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط: ١، ١٤٠٤هـ.
- ١٢٦ - د. أحمد عبدالرحمن إبراهيم، الفضائل الخلقية في الإسلام، دار العلوم، الرياض، ط: ١، ١٤٠٢هـ.

- ١٢٧ - أحمد عبدالرحمن الصويان، الحوار، أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، دار الوطن، ط: ١، ١٤١٣هـ.
- ١٢٨ - أحمد موسى سالم، قصص دار الجليل بيروت، ب: رقم، ١٩٧٨م.
- ١٢٩ - أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، قصص الأنبياء، نسخة قديمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بدون تاريخ.
- ١٣١ - أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني، المعروف بابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٣٢ - أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري، نسيم الرياض في شرح شفاء القاض عياض، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٣٢٧هـ.
- ١٣٣ - (أبو نعيم)، أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: ٥، ١٤٠٧هـ.
- ١٣٤ - (أبو نعيم)، أحمد بن عبدالله بن أحمد الصّبّهاني، معرفة الصحابة، مكتبة الدار، المدينة المنورة، مكتبة الحرمين، الرياض، : ١، ١٤٠٨هـ.

- ١٣٥- د. أركان أنجل، أساليب البحث العلمي، دراسة مفاهيم البحث لأخصائي العلوم، إصدار معهد الإدارة العامة بالرياض، ب: ت.
- ١٣٦- الإمام إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط: ١، بدون تاريخ.
- ١٣٧- الإمام بدر الدين العيني، عمدة القاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب: ت.
- ١٣٨- برايان تريس، علم نفس النجاح، ط: ١، ١٤١٢هـ.
- ١٣٩- البيانوني، محمد أبو الفتوح، جهاد الكلم، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ.
- ١٤٠- توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم، النهضة المضري، القاهرة، ط: ٢، بدون تاريخ.
- ١٤١- التوحيد، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ب: ت.
- ١٤٢- الإمام الجويني، الكافية في علم الجدل.
- ١٤٣- د. حسن إبراهيم عبدالعال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية (التربية والطبيعة الإنسانية)، دار عالم الكتب، الرياض، ط: ١، ١٤٠٥هـ.

حسن الشرقاوي، الجدل في القرآن، منشأة المعارف، الإسكندرية،
ب: ت .

١٤٤ - د. حسن محمد وجيه، التفاوض وإدارة المقابلات، مكتبة
العبيكان، الرياض، ط: ١، ١٤١٨ هـ.

١٤٥ - د. حكمت العرابي، البحث الاجتماعي، المنهج وتطبيقاته (لم
يذكر دار للنشر)، ط: ١، ١٤١٠ هـ.

١٤٦ - د. حلمي محمد فودة، د. عبدالرحمن صالح عبدالله، المرشد
في كتابة الأبحاث، دار الشروق، جدة، ط: ٦، ١٤١٠ هـ.

١٤٧ - خالد عبدالله القاسم، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه ف
الكتاب والسنة، دار المسلم، الرياض، ط: ١، ١٤١٤ هـ.

١٤٨ - سعد مصلوح، الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية)، عالم الكتب
القاهرة، (ط: ٣) ١٤١٢ هـ.

١٤٩ - د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، وظيفة الإخبار في سورة
الأنعام، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، ط: ٤، ١٤١٨ هـ.

١٥٠ - د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، الرأي العام في ضوء
الإسلام، دار عالم الكتب، الرياض، ط: ١، ١٤١٠ هـ.

١٥١ - د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ركائز الإعلام في دعوة

إبراهيم عليه السلام .

١٥٢ - د . سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، العلاقة بين العلماء والناس ،
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ط : ١ ، ١٤١٩ هـ .

١٥٣ - السيد سابق ، العقائد الإسلامية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،
ب : ت .

١٥٤ - السيد سابق ، رفقة السنة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط : ٨ ،
١٤٠٧ هـ .

١٥٥ - السيوطي ، الخصائص الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
ط : ١ ، ١٤٠٥ هـ .

١٥٦ - شوقي ضيف الله ، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف ، مصر ،
ط : ٧ ، ب : ت .

١٥٧ - د . صالح بن عبدالله بن حميد ، أصول الحوار وآدابه في
الإسلام ، دار المنارة ، جدة ، ط : ١ ، ١٤١٥ هـ .

١٥٨ - . الطاهر عزيز ، المناهج الفلسفية ، المركز الثقافي العربي ،
بيروت ، ط : ١ ، ١٩٩٠ م .

١٥٩ - د . عبدالحليم حفني ، أسلوب المحاوراة في القرآن العظيم ، الهيئة
المصرية للكتاب ، ب : ت .

- ١٦٠ - عبدالرحمن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، بدون رقم وتاريخ.
- ١٦١ - عبدالرحمن بن ناصر السعدي، قصص الأنبياء، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط: ١، ١٤١٦هـ.
- ١٦٢ - (أبو الفرج) عبد الرحمن بن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق: أحمد شومان، مكتبة المؤيد، الطائف، ب: ت.
- ١٦٣ - عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط: ١، ١٣٩٩هـ.
- ١٦٤ - عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني، ضوابط وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، ط: ٢، ب: ت.
- ١٦٥ - د. عبدالله الشاذلي، مدخل إلى الاستدلال القرآني، ط: ١، ١٤٠٧هـ.
- ١٦٦ - عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، قواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات، دار المسلم، الرياض، ط: ١، ١٤١٤هـ.
- ١٦٧ - علي بن سعيد بن حزم الأندلسي، التقريب بحد المنطق والمدخل إليه، منشورات دار مكتبة الحياة، بدون رقم وتاريخ للطبعة.
- ١٦٨ - د. عبدالأمير شمس الدين، الفكر التربوي العربي الإسلامي،

الشركة العالمية للكتاب .

١٦٩ - عبدالعزيز الجليل ، رسالة (وإذا قلتُم فاعدلوا) .

١٧٠ - د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان ، البحث العلمي صياغة جديدة ، دار الشروق جدة ، ط : ٣ ، ١٤٠٨ هـ .

١٧١ - عبدالعزيز بن يحيى بن مسلم الكنانى المكي ، الحيدة ، مكتبة التوعية الإسلامية ، بدون رقم وتاريخ .

١٧٢ - عز الدين إسماعيل ، نصوص قرآنية في النفس الإنسانية .

١٧٣ - عمر سليمان الأشقر ، الرسل والرسالات ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط : ٣ ، ١٤٠٥ هـ .

١٧٤ - أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح : عبدالسلام محمد هارون ، دار الجليل ، بيروت ، ب : ت .

١٧٥ - د. علي جريشة ، أدب الحوار وللمناظرة ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط : ١ ، ١٤١٠ هـ .

١٧٦ - علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التعريفات ، عالم الكتاب ، ط : ١ ، ١٤٠٧ هـ .

١٧٧ - فخر الدين الرازي ، الفراسة ، تحقيق : مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن ، ب : ت .

- ١٧٨ - د. مأمون جرار، خصائص القصة الإسلامية، دار المنار، جدة.
- ١٧٩ - د. محمد عبدالله دراز، من كنوز السنة.
- ١٨٠ - د. محمد عبدالله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة السراة، ط: ٦، ١٤٠٥هـ.
- ١٨١ - (أبو عبدالله) محمد بن فرج المالكي، أقضية رسول الله ﷺ.
- ١٨٢ - د. محمد الخرعان، العلم (أصوله، ومصادره، ومناهجه)، دار الوطن للنشر، ط: ١، ١٤١٢هـ.
- ١٨٣ - محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: ١، ١٤١٥هـ.
- ١٨٤ - محمد محيي الدين عبدالحميد، رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة.
- ١٨٥ - محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، ط: ٤، ١٤٠٩هـ.
- ١٨٦ - الشيخ محمد الغزالي، خلق المسلم، دار الكتب الحديثة، مصر، ط: ٨، ١٣٩٤هـ.
- ١٨٧ - الشيخ محمد الغزالي، الحق المرّ، دار الجليل، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٧هـ.

- ١٨٨ - محمد أبو حامد الغزالي، القسطاس المستقيم .
- ١٨٩ - محمد الصادق عرجول، محمد رسول الله ﷺ منهج رسالة (بحث وتحقيق) .
- ١٩٠ - الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، أدب البحث والمناظرة، دار ابن تيمية، القاهرة، ب: ت .
- ١٩١ - د. محمد عبدالقادر خليل (تحقيق وتعليق)، المناظرة الكبرى بين الشيخ - رحمه الله - والدكتور غندر، دار ابن تيمية للنشر، ط: ٢، ١٤١٢هـ .
- ١٩٢ - محمد عبدالله الشيباني، المجتمع الإسلامي الأول، دار عالم الكتب .
- ١٩٣ - محمد السيد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، دار القلم، دمشق، ط: ١، ١٤١٥هـ .
- ١٩٤ - شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، مسائل أهل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية .
- ١٩٥ - محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، ب: ت .
- ١٩٦ - الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، حكمة إرسال الرسل .
- ١٩٧ - أبي بكر محمد بن الحسن الأجزبي، الغرباء، تحقيق: برالبر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط: ١، ١٤٠٣هـ .

- ١٩٨ - محمد بن مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب: ت.
- ١٩٩ - (شمس الدين) محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤود، محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٠٥هـ.
- ٢٠٠ - (أبو جعفر) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار سويدان، بيروت، لبنان، ب: ت.
- ٢٠١ - محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي.
- ٢٠٢ - (أبو عبدالله) محمد بن عبدالرحمن بن عمر العصامي الحبشي، البركة في فضل السعي والحركة، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ بدون رقم.
- ٢٠٣ - محمد العفيفي، مقدمة في تفسير الرسول للقرآن الكريم، منشورات ذات السلاسل.
- ٢٠٤ - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة والبيان، دار الفكر العربي، ١٤١٦هـ، بدون رقم.
- ٢٠٥ - د. محمود حامد عثمان، القاموس القويم في إصطلاحات الأصوليين، دار الحديث، القاهرة، ط: ١، ١٤١٦هـ.
- ٢٠٦ - مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة المعارف، الرياض، ط: ٢، ١٤١٧هـ.

٢٠٧- الإمام ناصر الدين عبدالرحمن الأنصاري المعروف بابن الحنبلي، أقسية النبي
المصطفى محمد ﷺ، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٥هـ بدون رقم
للطبعة.

٢٠٨- يحيى محمد حسن زمزمي، الحوار (آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة)
، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، بدون رقم وتاريخ للطبعة.

٢٠٩- يحيى بن معين، كتاب التاريخ، دراسة وترتيب وتحقيق: د. أحمد محمد
نور سيف، إصدارات جامعة الملك عبدالعزيز، ط: ١، ١٣٩٩هـ.

٢١٠- أصول الحوار، جمع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط: ٢، ١٤٠٨هـ

٢١١- مقال (واجب العلماء في تبليغ الأحكام الشرعية) . مجلة (المستقبل
الاسلامي) العدد (٩١) ذو القعدة ١٤١٩هـ .

٢١٢- د. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول،
ب: ت.

٢١٣- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل،
بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ

٢١٤- ابن منظور، لسان العرب، دال لسان العرب، بيروت، ب: ت.

٢١٦- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ب: ت.

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢	المقدمة المنهجية
٣	التعريف بمصطلحات البحث:
٤	١- التعريف بالجوار : أ- لغة:
٤	ب- في الاصطلاح
٥	٢- الجدل أ- في اللغة:
٥	ب- في الاصطلاح
٦	٣- المناظرة: أ- في اللغة
٦	ب- في الاصطلاح
٧	٤- التعريف الاجرائي للعنوان
٨	٥- مدخل الدراسة.
١١	٦- أسباب اختيار الموضوع
١٣	٧- الدراسات السابقة
١٣	٨- الرسائل السابقة
١٦	٩- التراكمات المعرفية
١٧	١٠- تحديد المشكلة البحثية
١٩	١١- منهج البحث:

الصفحة	الموضوع
٢٠	١٢ - تقسيم الدراسة
	الفصل التمهيدي
٢٥	توطئة:
٢٦	المبحث الأول: مفهوم الحوار
٢٧	١ - الحوار في اللغة
٢٨	٢ - معاني الحوار في القرآن الكريم
٢٩	٣ - الحوار في الإصطلاح
٣٠	٤ - الجدل في الفقه
٣٠	٥ - الجدل في الإصطلاح
٣١	٦ - المناظرة في اللغة
٣٢	٧ - المناظرة في الإصطلاح
٣٢	٨ - الفرق بين هذه المصطلحات
٣٤	٩ - حكم الحوار
٤١	المبحث الثاني: مكانة الحوار في الدعوة إلى الله من بين الأساليب القولية
٤١	١ - الأسلوب في اللغة

الصفحة	الموضوع
٤٢	٢- الإصطلاح الدعوي
٤٣	٣- أساليب الدعوة
	أولاً: الحكمة
٤٥	أ- الحكمة في اللغة
٤٥	ب- الحكمة في القرآن
	ج- التعريفات الإصطلاحية للحكمة ٤٦
٤٩	ثانياً: الموعظة الحسنة
٤٩	أ- الموعظة في اللغة
٤٩	ب- الموعظة في الإصطلاح
٥٢	ثالثاً: المجادلة بالتي هي أحسن
٦١	٤- أهم الملامح التي تميز الحوار ومكانته في الدعوة
٧٢	المبحث الثالث: الحوار عند الأنبياء السابقين
٧٢	التمهيد
٨٠	١- التدرج في الحوارات
٨١	٢- الحوارات السابقة ذكر باق للأنبياء (عليهم السلام)
٨١	٣- الاعتبار بسنة الغابرين أسلوب قديم

- ٨٣ ٤ - تشابه المواقف مع اختلاف الزمان والمكان
- ٨٦ ٥ - أهمية دراسة الحوار لدى الأنبياء السابقين
- ٨٩ ٦ - أغراض الحوار القرآني

الفصل الأول

- ٩٢ المبحث الأول : أهداف الحوار النبوي
- ٩٣ التمهيد
- ٩٦ المطلب الأول : الدعوة إلى الإسلام
- ١٠٤ ١ - ما الإسلام الذي يدعو إليه ﷺ
- ١١٢ ٢ - الإسلام دين الفطرة
- ١١٢ ٣ - الشهادة مفتاح الإسلام
- ١٢٥ ٤ - الدعوة إلى لا إله إلا الله
- ١٢٨ المطلب الثاني : إقامة الحجة
- ١٢٩ التمهيد
- ١٣٩ ١ - التعريف بإقامة الحجة
- ١٣٩ أ - تعريف الإقامة
- ١٤٠ ب - تعريف الحجة
- ١٤٢ ٢ - إقامة الحجة في الحوار النبوي

الصفحة	الموضوع
١٤٦	٣- مهمة الرسول الكريم ﷺ البلاغ المبين
١٦٧	المطلب الثالث: دفع الشبه
١٦٨	التوطئة
١٦٩	١- التعريف بدفع الشبه
١٦٩	أ- الدفع
١٦٩	ب- الشبه
١٧٢	٢- قدم الشبه بقدم الرسائل
١٧٨	٣- الشبه في عهد النبوة
٢٠٠	المبحث الثاني: موضوعات الحوار
٢٠١	توطئة
٢٠٥	المطلب الأول: موضوعات عقديّة
٢٠٥	١- تعريف العقيدة
٢٠٥	أ- في اللغة
٢٠٥	ب- في الإصطلاح
٢٠٧	٢- العقيدة جوهر الرسائل السماوية
٢٠٨	٣- الحوار النبوي في الدعوة إلى توحيد الله

الصفحة	الموضوع
٢١٧	٤ - الحوار مع أهل الكتاب في أمر التوحيد
٢٢٣	٥ - موضوع إنكار بشرية الرسل
٢٢٩	٦ - موضوع إنكار البعث والجزاء
٢٣٥	٧ - موضوع حقيقة الروح
٢٣٩	المطلب الثاني : الموضوعات التشريعية
٢٣٩	١ - التعريف بالتشريع
٢٣٩	أ - في اللغة
٢٣٩	ب - في الإصطلاح
	التمهيد
٢٤٤	٢ - التشريع في الحوار النبوي
٢٥٣	٣ - خصائص التشريع في ضوء الحوار النبوي
٢٥٣	أ - التدرج في التشريع
٢٥٥	ب - قلة التكاليف
٢٥٦	ج - التيسير وعدم الحرج
٢٥٩	د - الإسلام يحب ما قبله
٢٦٠	المطلب الثالث : الموضوعات الأخلاقية

الصفحة	الموضوع
٢٦١	التمهيد
٢٦٣	١ - تعريف الأخلاق
٢٦٣	أ - في اللغة
٢٦٤	ب - في الإصطلاح
٢٦٦	٢ - حقيقة الأخلاق
٢٦٩	٣ - الأخلاق بين الفطرة والاكْتِسَاب
٢٧٣	٤ - حاجة المحاور إلى حسن الأخلاق
الفصل الثاني	
صفات المحاور في الهدى النبوي	
٢٧٧	المدخل
٢٧٨	المبحث الأول : العلم والفهم الدقيق
٢٨٨	توطئة
٢٩٢	١ - ما العلم
٢٩٤	٢ - علاقة الدعوة بالعلم
٢٩٧	٣ - التكوين العلمي للمحاور الكريم ﷺ
٢٩٩	٤ - حقيقة علمه ﷺ

الصفحة	الموضوع
٣٠٥	٥ - العلم بدين المدعو وبتقاليده
٣٠٧	٦ - الفهم الدقيق
٣٠٩	٧ - من الفهم الدقيق
٣١٥	المبحث الثاني : البلاغة والبيان
٣١٦	١ - معنى البلاغة
٣١٦	أ - في اللغة
٣١٧	ب - في الإصطلاح
٣١٩	٢ - أهمية البلاغة والبيان في الدعوة إلى الله
٣٢٢	٣ - البلاغة والبيان في الهدى النبوي
٣٣٣	المبحث الثالث : التجرد والإنصاف
٣٣٣	المطلب الأول : التجرد
	توطئة
٣٤٠	أبرز مظاهر التجرد في حياة المحاور الكريم
٣٤٠	أ - قوة الإيمان بالفكرة
٣٤٣	ب - استقامة الحوار
٣٤٤	المطلب الثاني : الإنصاف

الصفحة	الموضوع
٣٥٦	المبحث الرابع : الحلم والأناة
٣٥٧	١ - التعريف بالحلم والأناة
٣٥٨	التمهيد
٣٦١	٢ - الحلم والأناة في العهد النبوي
الفصل الثالث: أساليب الحوار النبوي	
المبحث الأول : التقرير	
٣٧٨	١ - التقرير هو
٣٧٨	٢ - التقرير في الحوار القرآني والنبوي
٣٨٧	المبحث الثاني : التساؤل
٣٨٧	التمهيد
٣٩٢	حقيقة السؤال
٣٩٢	السؤال في ضوء النصوص القرآنية والنبوية
٤٠٦	المبحث الثالث : التذكير بالنعم
٤٠٧	١ - التعريفات
٤٠٧	أ - التعريف بالتذكير
٤٠٨	ب - التعريف بالنعم

الموضوع	الصفحة
٢- التذكير بالنعم من خلال الحوار النبوي	
المبحث الرابع : الترغيب والترهيب	٤٢٣
التمهيد	٤٢٤
١- تعريف الترغيب والترهيب	٤٢٨
٢- الترغيب والترهيب في الحوارات النبوية	٤٣٠
الفصل الرابع: معوقات نجاح الحوار النبوي	
المدخل	٤٤٢
أ- تعريف المعوق	٤٤٥
ب- المعوقات في العهد النبوي	٤٤٧
المبحث الأول : التعصب للميراث الفكري	٤٥١
المبحث الثاني : حب الشرف والرئاسة	٤٦٣
١- التعريفات	
أ- كلمة «حب»	٤٦٤
ب- كلمة «الشرف»	٤٦٥
٢- حب الشرف والرئاسة من خلال الحوارات	٤٦٦
الواردة في القرآن والسنة	

الصفحة	الموضوع
	المبحث الثالث : التكبر والغرور
٤٧٣	المطلب الأول : التكبر
٤٧٣	١ - تعريف التكبر
٤٧٣	أ - في اللغة
٤٧٣	ب - في الإصطلاح
٤٧٤	٢ - أقسام التكبر
٤٧٦	٣ - آثار التكبر السيئة من خلال الحوارات النبوية
٤٨٦	المطلب الثاني : الغرور
٤٨٦	١ - التعريف بالغرور
٤٨٦	أ - في اللغة
٤٨٦	ب - في الإصطلاح
٤٨٧	آثار الغرور السيئة من خلال الحوارات في العهد النبوي
٥٠١	المبحث الرابع : الجدل والمراء
٥٠١	التمهيد
٥٠١	١ - حقيقة الجدل والمراء
٥٠١	٢ - الهدف منهما

الموضوع	الصفحة
٣- الفرق بين الجدال والممدوح والجدال والمراء المذمومين	
٤- الجدال والمراء وأثرهما في الحوار	
المبحث الخامس : الانتصار للنفس	٥١١
١- التعريفات	٥١٢
أ- التعريف بالنفس	٥١٢
ب- التعريف بالنفس	٥١٢
ج- التعريف به إصطلاحاً	٥١٢
٢- آثار الانتصار للنفس من خلال الحوارات النبوية	٥١٥
الفصل الخامس: آثار الحوار	
التوطئة	٥١٩
المبحث الأول : قبول الدعوة	٥٢٢
المبحث الثاني : كسب مؤيدين	٥٢٧
١- حاجة الدعوة إلى التأييد	٥٢٨
٢- آثار الحوارات النبوية في كسب المؤيدين	٥٣١
المبحث الثالث : تحييد بعض أصحاب التأثير	٥٣٥
تمهيد	٥٣٦
تحييد أصحاب الملك	٥٤٢

الصفحة	الموضوع
٥٤٦	تحديد الملأ
	الفصل السادس: سمات الحوار النبوي وأوجه الإستفادة
٥٥٠	المبحث الأول: تحديد الهدف
	التمهيد
٥٥٤	١ - تحديد الهدف في العهد النبوي
٥٥٧	٢ - الركائز التي يعتمد عليها الهدف
٥٦٣	المبحث الثاني: مراعاة الأولويات
٥٦٣	أ- في اللغة
٥٦٤	ب- في الإصطلاح
٥٦٥	٢- مراعاة الأولويات في ضوء الحوار القرآني
٦٦٧	٣- مراعاة الأولويات في ضوء الحوار النبوي
٥٧٧	المبحث الثالث: المخاطبة على قدر العقل
٥٨٦	المبحث الرابع: أوجه الإستفادة من الحوار النبوي
٥٨٧	توطئة
٥٨٨	أولاً: طرق الإستدلال النبوي
٥٨٩	١ - الأدلة النبوية على ثلاثة أضرب

الصفحة	الموضوع
٥٩٣	٢ - القياس الإضماري
٥٩٥	٣ - قياس التمثيل
٥٩٧	٤ - بيان تناقض الخصم وأنه لا يعتمد في حجته التشهبي والتحكم
٥٩٨	ثانياً: أهم الفوائد العامة المفادة من البحث
٥٩٨	١ - الحوار بعيداً عن الجماعة
٦٠٠	٢ - أهمية ثقة المحاور بنفسه
٦٠١	٣ - اختيار المكان المناسب
٦٠٢	٤ - استتلاف المحاور باحترام ما يقده
٦٠٣	٥ - عدم التوقف عن الدعوة
٦٠٥	٦ - تشجيع المدعو بالحديث والدفاع عن نفسه
٦٠٨	٧ - استغلال كلام المدعويين للرد عليهم منها
٦٠٩	٨ - الإستئناس برأي أهل الخبرة من المدعويين
٦١١	الخاتمة
٦١٢	أولاً: أهم النتائج
٦١٤	ثانياً: توصيات

الصفحة	الموضوع
	الفهارس العامة
٦١٦	١ - فهرس الآيات
٦٣٥	٢ - فهرس الأحاديث
٦٤٦	٣ - فهرس الأعلام
٦٥٤	٤ - فهرس المصادر والمراجع
٦٨١	٥ - فهرس الموضوعات